حاصدة الأمنيات

رانيا حجاج

الكتـــــــــــــاب: حاصدة الأمنيات

المـــــؤلـــــــــف: رانيا حجاج

تصميم الغـــــلاف: شيماء صلاح

المراجعـة اللغوية: خلود محمد عاشور

رقـــم الإيـــــداع: 2019-23096

الترقيم الدولى 978-977-6757-29-5

الإخـراج الفنـــي: MK

المدير العام: محمد عبدالعال قاسم

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 6 ش احمد عبد الرحيم - الملك فيصل -جيزة

موبايل: 01003002847

البريد الإلكتروني: mkbookstor@gmail.

حاصدة الأمنيات

رواية

رانيا حجاج

M.K
Publishing
Distribution

إلى....
الظانين بأن أمانيهم لا تحمل لهم
إلا الخير كله...

الواقع نقطة والخيال عدة نقاط

البداية....

بأحدى أكبر المكتبات التي يمكن لكاتب في عصره امتلاكها، جلس السيد جورج أوكلهام على مقعد مكتبه الوثير يحدج ضيفه بنظراتٍ بدت حادة ومخيفة بعض الشيء، نظرًا لما يملكه من عينين جاحظتين، ووجه تخطه ملامح غليظة، جامدة، لا تنقص حتى أن ابتسم. مما جعل ناشره ينصحه بعدم وضع صورته على أغلفة اصداراته، كي لا يتسبب للعامة بحالة من النفور أو الرهبة، موضحًا بأن ملامح الكاتب يجب أن تبعث في نفوس قراءه الراحة.

ولما أصر على عدم وضع صورته، ذكره بصورة أخيه مايكل، ناصحًا إياه باستخدامها، طمعًا في ضمان جيد لمبيعات الكتاب.

لما يملكه مايكل من ملامح هادئة، تصلح لأن تكون وجهة مثالية لكاتبٍ مثله.

كان ذلك منذ سنواتٍ عديدة، لم يجد السيد جورج فيها وقتها ما يمنع ذلك -خاصةً وأن أخاه قد توفى منذ عدة سنوات- وآثر الأنطواء على نفسه، بغية إخراج أفضل الأعمال، التي ما زالت تشق طريقها إلى رأسه الشيطاني كما كان أحد أصدقائه -الذي اعتاد قراءة مخطوطاته قبل نشرها- يصفه مازحًا. مما جعل لقاءه غير متاح كثيرًا، خاصةً بعد رفضه التام للقاء الصحفيين، ومقدمي الإذاعة الراغبين باستضافته في برامجهم، وغيرهم.

كان يعلل دائمًا رفضه بكثرة انشغاله، مخفيًا بذلك خوفه من تعليقهم على شكله. بيدّ أن هذه المرة كانت مختلفة، لانخراط

ناشره فيها، الذي أجبره نوعًا ما على لقاء هذا الشاب الصحفي، كونه يمد بصلة قرابة لزوجته التي تعشق مؤلفاته –على حد قوله- مما لم يُتح له مساحة للرفض، وإن كان قد قبلّ ذلك على مضض، بعدما أُخذ تعهدًا كتابيًا منه بعدم الكتابة عن شكله أو التقاط الصور له.

-"حسنًا سيد ويليام، يمكنك البدء بطرح أسئلتك".

أسرع الصحفي الشاب بإخراج أدواته -كطالب يسأله أستاذه عن واجباته المنزلية- بتوتر:

-"في الحال سيدي، لا تعلم كم أشعر بالسعاد...."!

قاطعه السيد جورج باستياء:

-"أرجوك اسرع، فلا أملك اليوم كله لهذا".

-"بالطبع، بالطبع سيدي". وهو يزدرد لعابه.

مضت النصف ساعة، وويليام يطرح أسئلته، التي بدت وكأنها تنبثق من صندوق الحكايات، قديمة وغير مبتكرة. يجيبه السيد جورج بإجابات مختصرة، وهو يتساءل متى ستنتهي هذه المهزلة. فقط إكرامًا لناشره، لم يقم بطرد ويليام لتسببه في إضاعة وقته الثمين.

قاطع ويليام شروده، بانتصابه السريع والمفاجئ، وتوجهه نحو مكتبته يتأملها:

-"يا إلهي!، كل هذا الكم من الكتب، كافٍ لفتح مكتبة لبيع الكتب. لا أصدق، هل قرأت كل تلك الكتب حقًا؟"

كان سؤاله هذه المرة ينم عن سذاجة مطلقة، حاول معها السيد جورج التقاط أنفاسه قبل أن تخرج لتحرق هذا الفتى الأخرق. ولم يكد الرجل يكتم غيظه، حتى فوجئ به يقدم على عملٍ أكثر حمقًا منه، بمحاولة لمس بعض الكتب التي كان قد وُضع بجانبها لافته تحمل عبارة "ممنوع اللمس" بخطٍ عريض.

-''أيا أحمق لا تعرف القراءة أنت!
ألا ترى ما كتب على اللافتة؟'' قال قبل أن يلفظ بفظاظة عبارة ''ممنـــــــوع اللمـــــــس'' ها قد قرأتها لك''.
-''إعتذر، لكن لما هذه الكتب بالذات قد مُنع على الأخرين لمسها؟''.
-''الكتب قديمة كما ترى، لن أجازف بأحمق...'' مشيرًا برأسه نحوه قبل أن يُكمل: ''قد يعبث بها، مما قد يتسبب في تمزق اوراقها''.
-''لكن، عما تتحدث هذه الكتب؟ لا بد أنها قيمة''.
-''أعتقد أن وقتك هنا قد انتهى، سعدت بلقائك''.
ثم أشار بيده بلا مبالاة مشيرًا نحو الباب، في محاولة يائسة لطرده.
ليعود بعدها للملمة أوراقه، مغادرًا وهو يشكر السيد جورج على وقته –الذي لم يستفد منه شيئًا-، بينما عيناه معلقتان بالكتب ها هناك، وبداخله يتنامى فضول كبير حول ماهيتها.
حيث تبدا به الشك بأن السيد جورج يمارس أعمال سحر أسود أو خلافه، لتطرئ فجأة فكرة شيطانية بعقله الأحمق، ابتسم لها بسماجة قبل أن يغلق الباب خلفه.
في اليوم التالي، كان عنوان المقالة يحتل الواجهه الأولى للصحيفة ''السيد أوكلهام وكتب السحر خاصته'' لتتحول المقابلة بذلك، إلى مقالة عريضة عن امتلاك الكاتب المعروف لكتب سحر قديمة يخفيها في مكتبته، حتى أنه قد منع الأخرين من لمسها، خوفًا من اكتشافهم لمحتواها الذي يُخفيه بذكاء –على حد قوله-. ثم بدأ بطرح أسئلته الشيطانية عن سر تلك الكتب التي لا يسمح لأحد بقراءتها أو حتى الاقتراب منها.
ذلك الصباح ألتم كمّ من الصحفيين ومذيعي التلفاز خارج

منزله يحاولون الالتقاء به لكشف حقيقة الكتب، مما سبب له إزعاجًا كبيرًا. فأتصل بناشره غاضبًا، يلومه على حماقة ما فعله ذلك الصحفي الأحمق، متوعدًا بمقاضته هو وصحيفته الصفراء لتشويههما سمعته.
وقبل أن يبرر له الناشر البائس فعلت الأخر، كان قد أغلق الهاتف في وجهه، ليُعيد الإتصال بمحاميه يطلب منه إتخاذ الإجراءات القانونية ضد ويليام وصحيفته.
لكن القدر لم يمهله كثيرًا، حيث وافته المنيه ليلًا بعدها بيومين.
ليترك بذلك مساحة لكل متساءل وفضولي بطرق باب وريثه الوحيد البروفيسور جيمس، لسؤاله عن سر والده الذي يخفيه.
كما انهالت عليه العروض المالية لكشف ذلك، إلا أنه أوضح بحنق أن هذه الكتب ما هي إلا ميراث عائلي، تنتقل ملكيته من جيلٍ إلى جيل، لذا لا يحق لأيًا كان من غير العائلة الوارثة لمسها أو الإطلاع عليها.
وما كان منه إلا أن إتهمهم بعدم احترام الموتى، عندما أزعجوه بأصرارهم على معرفة السبب في جنازة والده.
مسلطين كاميراتهم عليه، يتدافعون لسؤاله من كل حدبٍ وصوب.
لم يكن لديه أجابة مُرضية لهم، فلا يعرف أسرار الكتب إلا أصحابها كما علق سابقًا.
لم يجد صوابًا في فتح الباب أكثر لفضولهم، خاصةً بعد عودتهم بعد عدّة أيام من الوفاة لطرق أبواب المنزل مرة أخرى.
عاد جيمس لعمله بالمختبر، الذي كان قد أنشأه في الطابق السفلي من المنزل، في محاولة بائسه أخرى لاختراع ما لا يمكن اختراعه.
حيث يقضي جل وقته هناك، يفكر ويحاول. مع ازدياد اهتمامه

بالمختبر، كان اهتمامه بعائلته يقل، حتى طلبت سوزان منه الطلاق، واصطحبت معها ابنهما أدم، بعيدًا عنه.
ما زال الحديث في الهاتف مع ابنه، يختصر الوقت والمسافات بالنسبة له.
لكنه لم يكن كافيًا لسد الثغرات، التي بدأت تتجوف في علاقته بولده الوحيد. فكل شيء في حياته، عدا المعمل، عبارة عن هوامش. ربما كانت وصية والده الخاصة بالكتب العشر، الشيء الوحيد الذي لم يلقى في صندوق هوامشه أبدًا.
لا يتذكر أحد متى بدأت القصة بالضبط، أو يعرف كيفية انتقال ملكية الكتب لهم؟ حيث تداول الجميع قصصًا كالأساطير عن ذلك. فعلى سبيل المثال، أعتقد بعضهم أن جدّ العائلة الأكبر، قد قام بشرائها في أحد أسفاره من أحد الباعة المتجولين، الذي اختفى على نحوٍ غريب بعدها. بينما اعتقد آخرون بأنهم من سلالة ملكية قديمة، أصيبت بلعنة أحد أقوى السحرة على شكل كتب، وآخرون يقصون أسطورة عن عشر مماليك امتلك كل واحدٍ منهم هبة، لم يستعملها في الخير، فتم لعنهم وحبسهم ومملكاتهم على شكل قصص في تلك الكتب، ثم سلمت لأحد الكهنة الموثوقين لحراستها، وانتقل أمر حراستها لأحفاده جيلًا بعد جيل.
في الحقيقة، لم يحاول أحد تقصي حقيقة الأمر، الجميع نظر للكتب على أنها أمرٌ مسلم به. فمعرفة الحقيقة على أي حالٍ لم تكن لتجدي نفعًا.
حتى جيمس كانت الكتب أخر همه، فقد اعتاد قضاء أوقاته حتى في أيام البرد القارص، في معمله، الذي قضى فيه نحبه بعد أن انفجر به، بسبب أحدى تجاربه الفاشلة. سبب صوت الانفجارتلك الليلة ذعرًا شديدًا لسكان الحي، الذين سارعوا

بالإتصال بالطوارئ.
أقيمت له بعد ذلك جنازة، كان هو الغريب فيها، فلم يخل الحضور من بعض الجيران أو معارف والده، الذين لم يعرفهم حيًا، لكنهم عرفوه من حديث والده عنه أو رمقوه مره وهو مسرع نحو معمله غير آبه لوجودهم. شغل أمره والده كثيرًا، كونه كان نزقًا وأنطوائيًا إلى حد عدم امتلاكه لأصدقاء. منذ صغره وهو يهتم بالمعارض العلمية. حتى حين قرر الزواج، أعتقد والده بأن الأمر قد يساعده على التغيير، لكنه بات أسوء من ذي قبل، بسبب انشغاله غير المنقطع بمعمله.
كان إنجاب أدم أفضل شيء قام به جيمس -على حد قول والده-حيث لعب الصغير في حياته دورًا عوضه عن أبنه المنشغل دائمًا، كما عوض وجود السيد جورج حفيده عن والده الحقيقي. حيث كان يقضي معه جل وقته، يتحدث إليه كثيرًا، حتى بعد طلاق والدته ومغادرتهما.
بعد عدة أيام، أتصل به المحامي لينقل إليه خبر وفاة والده، ورغبته في الحضور لتسليمه ميراثه من أبيه، كما سيسلمه وصية جده التي تركها له في حال أصيب جيمس بسوء. وكأنه كان على علمٍ بأن ما يفعله ولده، لن يثمر عن الخير أبدًا. كان أدم في ذلك الوقت قد تعدى الثامنة عشر بعام، مما يسمح له قانونيًا بتسلم ميراثه بنفسه، وهذا ما كانت ترفضه والدته حينها،مما تسبب في نشوب خلافٍ بينهما.
في ذات الوقت، كانت الفوضى تعم الكتب العشر، فبعد موت جيمس، أصبح معروف إلى ماذا ستؤول الأمور؟ سقط كل عالم من عوالم الكتب العشر في هرجٍ ومرج، بحثًا عن حلٍ سريع ينقذهم مما سيحدث لهم.
فابن جيمس، لم يظهر في الصورة حتى اليوم، كما أنه قد لا

يكون على علمٍ بميثاق العهد –الخاص بالكتب- الذي يتناقلة الورثة.. لذا كان لا بد من إيجاد حل، قبل أن تقضي عليهم اللعنة، كما ستقضي عليه أيضًا. فقرروا البحث في كتبهم القديمة -كل عالمٍ من عوالم الكتب على حدا- عن أسطورة قديمة قد تنجيهم مما هو قادم.

* * * *

كتاب الأمنيات...

هناك في القصر البعيد بمملكة الأمنيات، كان التوأمان ريجينسي وزورا –أبناء الملك- يتحضران لحضور دعوة أبيهما لعقد اجتماع طارئ فيما يخص البلاد.
كان كلاهما على علمٍ بخطورة ما يحدث، بعد أن سُربت بعض الأخبار من المجلس الملكي. حيث حيث ورد إلى مسامعهما رغبة الملك في اختيار أحدهما لمهمة أنقاذ المملكة. هكذا أخذ زورا يتفاخر بين أصدقائه، بأحقيته لهذا الفعل النبيل -على حد قوله-، وأن حب والده الجم له، سيسهل عليه الحصول على ذلك النبل.
مع التقليل من شأن أخته التوأم، بوصفها بالفتاة المدللة -على الأقل هكذا كان يصفها لأصدقائه- التي لا تصلح لشيء.
موضحًا أن إنقاذ المملكة، يحتاج إلى أميرٍ قوي، لا يُضيع وقته في الحياكة. منهيًا حديثه بضحكة سمجة، كان يجاريها أصدقائه بغباء.
في ذات الوقت، كانت أخته الأميرة ريجينسي تجلس شاردة على كرسيها الخشبي المتحرك، تُحيك لوالدها كنزة أخرى كعادتها. وبجانبها مولي –وصيفتها-، تثرثر بتلك القصص التي تسمعها في الأسواق، مبدية لوهلة شعورًا بالقلق حيال ما قد يحدث للمملكة، دون أن تدري بأن سيدتها لا تشاركها ذات الانتباه.
-"هل أنتِ قلقة؟" قاطعت شرودها.
-"قليلًا". أجابت باستسلام.
-"لا تقلقي، فأنا على يقين بأن الملك سيفعل الصالح للجميع".

-"أتمنى ذلك". همست..

نظرت ريجينسي إلى عيني مولي اللاتي لم تستطيعا أخفاء خوفها وقلقها. كانت على يقين بأن الجميع يثرثر في خوفٍ عما هو قادم.

حتى وصيفتها، لم تستطع هذه المرة إخفاء ذلك. أتخذت ريجينسي مولي كصديقة وكاتمة أسرار، منذ عينها والدها الملك وصيفةً لها منذ الصغر.

بيدّ أنها على ذلك القدر من التقارب، لم تكن تشارك أميرتها شغفها في القراءة، لتفضيلها اللهو أو الحياكة على إضاعة وقتها في قراءة القصص. كما أن الأمر لم يكن ملزمًا لها بشيء، فكان من السهل التملص منه بسهولة.

طُرق الباب عدّة طرقات، قبل أن تدخل رئيسة الخدم، لتطلب من ريجينسي التحضر للقاء والدها. تبادلت النظر ومولي في قلقٍ متبادل، قبل أن تومئ برأسها بالموافقة.

في الوقت المحدد، تقدم التوأمان نحو باب المجلس، بحلتهما الملكية، حيث ارتدى زورا قميصًا من الكتان رمادي اللون وبنطال من الجلد الأسود، حاملًا سيفه المطعم بالياقوت والزمرد في غمدة، بينما ارتدت ريجنسي فستانًا مخمليًا جميلًا بلون الزمرد وازدانته بعقد من اللؤلؤ الأسود حول رقبتها.

كما بدا جناحيهما قد لُمعا مؤخرًا، حيث كادا يضيئان في الظلام من شدة بريقهما. التفت الجميع نحوهما، ينظرون إليهما إعجابًا، كأنهما ملاكان من الجنة.

ارتفع صوت الوزير، يأمر الجميع بالتزام الصمت والإنصات جيدًا لما سيقوله الملك. هدئ الحضور تدريجيًا، ثم رفعوا رؤوسهم نحو المنصة، يحدجون الملك وأبنائه بنظراتهم.

-"الوزراء الأعزاء، بعد ما آلت إليه الأمور في الفترة الأخيرة،

وما قد يحدث لنا من تهديد لسلامتنا وسلامة مملكتنا. إن لم يُفتح الكتاب في موعده الرسمي كما تعلمون، سنتلاشى جميعًا من الكتب، وستتحول مملكتنا إلى صفحاتٍ بيضاء.
كما ستُصيب حفيد السيد جورج، أدم. لقد توصلنا بعد بحثٍ طويل في مخطوطات المملكة الأثرية، إلى مأثورٍ قديم، يقص حدثًا مشابهًا لما يحدث الآن، وقع منذ ألفي عام. وعليه قررنا العمل بما جاء به، آملين أن تعود الأمور إلى نصابها. حتى نجد حلًا مع المدعو أدم".
دوى أزيز همهماتٍ خافتة في المكان، مما أضطر الوزير لمعاودة إسكاتهم، ليستطيع الملك إكمال حديثه.
-" ونظرًا لحالتي الصحية. فأني سأولي أحد أبنائي، ممن ستقع عليهم القرعة، مهمة إنقاذ المملكة".
أحنت ريجينسي رأسها، وهي تشعر بالخيبة:
-"رباه، ليس القرعة".
في حين أشار الملك لوزيره بالمتابعة:
-"سيختار أحدكم متفضلًا ورقة من هذه الأوراق. وبعد فرز الأصوات، سُيطلب ممن وقع عليه الاختيار، تحضير نفسه للمهمه".
تبادل الجميع النظرات القلقة فيما بينهم، وما كادوا ينطقون بكلمة حتى أسرع أحد الوزراء إلى التقاط إحدى الوريقات، ليسلمها -بعد ذلك- بهدوء لمساعد الوزير، ليتبعه الجميع في ذلك. حدج الوزير جيدًا بورقة النتيجة النهائية، التي سلمها إياه مساعده، قبل أن يقرر إعلان الاسم المدون بها.
* * * *
بعد مغادرة الجميع، طلب الملك من ابنته -التي وقع عليها الاختيار- أن تحدد وقتًا بالغد للمغادرة.

-"ربما لو وقع الاختيار عليّ، لأستطعت أن أنجح بكل المهام الموكله إليّ، أنه لشيءٌ يسير". زورا مقاطعًا حديثهم في تبجح.
أومئ الملك برأسه قلقًا:
-"ليس من السهل منح الأمنيات يا صغيري، فالحياة ليست بتلك السهولة التي تعتقدها".
ثم حدج ريجينسي بنظرة حازمة:
-" تعلمين القوانين عزيزتي، لكيّ أحقية اختيار عشرة أشخاص لتحققي لهم أمنياتهم. المهم ألا تفشل جميع نتائج الأمنيات، يجب عليكِ النجاح في ذلك. واعلمي بأن انتهاء الأمنيات جميعًا بشكلٍ مزري سيؤدي إلى خسارة المملكة للأبد. أن كل نجاح لأمنية، سيمنح المملكة فترةً للبقاء".
ثم أصر لها بصرّة، شادًا على يديها:
-" بهذه الصرة بعض رذاذ السحر الأبيض، انثرية عليك حين تقررين العودة فقط. سيساعدك على العودة بأمان، واعلمي أن فقدان الصرة، يعني عدم استطاعتك العودة إلى مملكة الأمنيات.. للأبد". ثم عقب مؤكدًا: "أنا أعنيها.. للأبد".
تقوس حاجبيها استياءً، قبل أن تلتفت نحو زورا -الذي تغبطه على نعمة البقاء هنا- المبتسم بسماجة. لم تفهم يومًا سر تلك الابتسامة، التي تبدو بوضوحٍ شامتة. "كأنني لن أنقذك أيضًا؟" فكرت.
نعم، أول درس قد يُعطى لك في الحياة، هو الاعتماد على النفس. وعندما أعطيت الفرصة لريجنسي للاعتماد على نفسها، مثل لها هذا أصعب الدروس، التي قد تعطى لفتاة لم تعرف يومًا إلا العيش كأميرة.
لذا كان عليها أولًا أن تقرر الوقت المناسب لمغادرتها المملكة، ولما لم يكن أمامها خيارًا آخر، بعد أن وُضعت في موقع المنقذ

إلا أن تغادر مبكرًا، علها تستطيع فعل شيء مفيد سريعًا.
اختارت وقت شروق شمس اليوم التالي، موعدًا.
في مساء ذلك اليوم، وقبل الموعد بساعات، كانت في غرفتها تحضر ما تحتاجه في صرة صغيرة، حيث الضروريات ولا شيء غيرها.
كان كل شيء مبعثرًا على الأرض، وهي تحاول لملمة ما تستطيع حمله. تنبهت لصرة والدها ذات الأهمية، فربطتها حول خصرها خوفًا من ضياعها. وانطلقت بعد انتهائها مع مولي، التي أصرت على مرافقتها، في رحلتها تلك. كان الوزير في انتظارهما في تلك اللحظة، ليتمنى لهما النجاح، قبل أن ينثر عليهما رذاذ المنفى -كما يطلقون عليه، والذي لا يسمح لأحدٍ بحمله أبدًا، إلا الملك ووزيره. وقد أطلق عليه المنفى، لاستخدامه الخطير في إبعاد الجنيات عن مملكتهم، ونفيهم للأبد خارجها. وقبل مغادرتهما أصر لها الوزير سرًا بصرة من الأحجار البيضاء النقية:
-"ستساعدك هذه الأحجار على الانتقال بسهولة من زمنٍ إلى أخر أو من مكانٍ إلى أخر، في حال كنتِ في حاجة لذلك. فقط سمي الحجر بالوقت أو المكان الذي ترغبين، وأقذفيه في الماء".
ثم تمنى لها النجاح أخيرًا في مهمتها.

* * * *

الفصل الأول

تحرر من ذاتك، بأن لا تحبها كثيرًا.

(1)

أفاقتا لتجدا جسديهما مسجىً على أرضٍ أسمنتية، وهن يشعرن بالقليل من الألم والدوار. بعد أن تم جذبهما في نفقٍ بلوريٍ ضخم، ألقى بهما كالنفايات خارجًا. رمش جفناها قليلًا، تحاولُ مقلتيها استيعاب كمية الضوء التي تحوطهما، قبل أن تفرك عيناها لتتضح لها الرؤية. لتفاجأ بجموع من البشر المتحملقين حول مكانهما، كالفراشات حول النار. بينما تسير العربات تقود نفسها –كما بدا لهن في البداية- من غير أحصنة.

كانت الأصوات فيما بينها تتهامس عن السبب الذي أودى بالفتاتين أرضًا:

-" لعلهما تعثرتا.. لعلهما مريضاتان..لـ".

ليصرخ أحدهم بسذاجة، وكأنه اكتشف اكتشافًا مريبًا:

-"يالهما من بائستين، ربما حاولتا الانتحار، برمي نفسيهما من أعلى البناية".

هشه الجميع ككلبٍ يعوي، فلا يعقل أن تسقطا من أعلى بناية مكونة من عشرين طابقًا، دون أن تُصابا بخدش. أبدى البعض انزعاجًا تبعه قليل من عدم المبالاة، بينما أبدى آخرون رثاءً لحالهما. حين قاطع المشهد صوت عجوزٍ تمر بجانبهما على نحوٍ مزعج:

-"لا شيء يستحق الموت لأجله. شباب أخرق".

صرخ أحدهم بأذن العجوز:

-" لم يحاولا الانتحار، أنهما فقط..". ثم توقف قليلًا ليُصيغ كلماته: " أنهما فقط متعبتان". ثم التفت نحو الفتاتين يسألهما: "أليس كذلك يا فتيات؟". وبقي يحدجهما بنظراته على أمل أن

يوثقا كلامه بالإيجاب، وهذا ما كان.
تقدمت إحداهن تساعد ريجينسي على النهوض، متذمرة من تباطئ الأخرين في فعل ذلك. حين تذكرت الأخيرة جناحيها فجأة، فالتفتت في ذعرٍ تتفحصهما، لتجدهما محفوظان خلف معطفها الجلدي الكبير، كما أخفتهما. هزت رأسها للمرأة ممتنة لمساعدتها، وأنحنت تجذب مولي –التي ما زالت تفترش الأرض- على نحوٍ سريع، ليختفيا بعدها بين زحمة المارة ودخان السيارات. أن تكون غريبًا بإرادتك، خيرًا من أن تكون غريبًا رغمًا عنك. .
هكذا شعرت ريجنسي حالما استطاعت التقاط أنفاسها بعد هروبٍ قصير. غريبة في عالم لا تعرف ماهيته الحقيقية، تحاول غذّ الخطى فيه لاكتشافه.
-"ربما علينا إيجاد مكانٍ للراحة ولتناول الطعام. فقط لنعيد ترتيب أفكارنا". اقترحت مولي بصوتٍ يشوبه التردد.
أومأت لها ريجينسي بالموافقة، قبل أن تبدأ جولتهما في شوارع المدينة المكتظة بالبشر والحيوانات، الالآت والمحال، التي ازدانت نوافذها بالملابس والحلي وغيرها من الأشياء التي تتسع العين بهجةً لرؤيتها.
حين استوقفت صورة لها قد انعكست على إحدى واجهات المحال الزجاجية، كان اختلاف الهيئات جليًا لها:
-" ربما علينا أولًا أن نرتدي ملابس آخرى كملابسهم، هو أسهل للاندماج. ألا تعتقدين ذلك؟".
- "أتشمين الرائحة؟!" مولي وعقلها في مكانٍ أخر يتأوة من اللذة.
-"أي رائحة؟!"
أشارت مولي إلى عربة الطعام، في الجهة المقابلة للمحال.

هزت ريجينسي رأسها مازحة:
ـ" ربما علينا سد جوعك أولًا، أخاف أن تشرعي في أكل البشر،إن أشتد بكِ."
ـ" يا للقرف!". مولي تخرج لسانها مشمئزة.
كان الطريق إلى حيث العربة مكتظًا بالسيارات، التي يحاول أصحابها المرور قبل أن يستحيل لون إشارتها إلى الأحمر. مما حال دون قطعهما الطريق بأمان، حيث كانتا تتخبطان بالسيارات، وهما تركضان في محاولة لعبور الطريق. حتى كادت إحدى السيارات أن تودي بحياتهما، لتنجوا منها بأعجوبة.
وصلتا أخيرًا للعربة، وهما تحاولان التقاط أنفاسهما بعد تلك التجربة المريرة، لتتفاجأ باصطفاف طابور طويل من العملاء الجائعين، أمامهما. كان الرجل يصنع سندوتشات النقانق -الذي أكد أحدهم على أنها من أفضل السندويتشات التي تذوقها في حياته- على عجل ليلم بكل تلك الفئة المنتظرة.
وما أن حان دورهما، حتى أسرعتا تطلبان اثنين من تلك السندويتشات الشهية. ابتسم الرجل نصف ابتسامة متعبة، قبل أن يكمل عمله في تحضير السندوتشات خاصتهما.
مد لهما السندوتشين بيدٍ، حالما انتهى، وهو يطالبهما بدفع خمس دولارات عن كل ساندويتش باليد الأخرى. تبادلتا النظر فيما بينهما عن غير فهم. فضم الرجل أصبعية الأبهام والسبابة يحكهما ببعضهما، صارخًا:
ـ"نقود.. نقود". ظنًا منه بأنهما لا تتقنان الأنجليزية.
ـ"لكننا لا نملك دولارات.. أو تلك المسماه نقود".
جذب الرجل السندويتشات بقوة، محدجًا إياهما بحنق، وهو يحرك يده بحركة قاطعة:

-"لا نقود، لا طعام".

شعرت مولي بالغيظ من وقاحة الرجل، فصاحت به تطالبه باحترامهما لما يملكانه من مكانه عظيمة. فجذبتها ريجينسي بعيدًا، في محاولة بائسة لمنعها من الاسترسال أكثر، وهي تعتذر للرجل، الذي كان يحدجهما بازدراء وهو يغمغم منزعجًا:

-"الجميع في هذه المدينة أصبحوا مهمين". ثم عقب بلا مبالاة: "بؤساء".

لكن مولي لم تتوقف عن تأنيب الرجل، بينما يزوال عمله متجاهلًا ما يسمع.

قاطعتها إحداهن، تشير للرجل بالمال:

-" لا بأس اعطهن طعامهن، هاك عشر دولارات".

ثم ولت مبتعدة بسرعة -تحمل سندويتشها- بينما تحاول ريجينسي تعقبها بعينيها في فضول. لم تتبين وجهها جيدًا، فقط القليل من الشعر البني المسدل للخلف، على قميصها الحريري الأخضر، كان كافيًا قبل أن تختفي في الزحام. عادت تنظر لمولي بشيءٍ من التفاؤل، بينما كانت الأخرى تنقض على الطعام بنهم:

-"يبدو أن مهمتنا ليست صعبة كما كنت أعتقد".

هزت مولي رأسها، مبادرةً إياها بفمٍ ممتلئ عن أخره:

-" يجب علينا أولًا الحصول على الدولارات التي يتحدث عنها الرجل وإلا متنا جوعًا".

تذكرت ريجنسي صرة الذهب التي حرصت على وضعها في حقيبتها، لكنها لم تجد الحقيبة برمتها. حتى قرار عودتهما للبحث عنها، آل بالفشل، حيث كان الطريق مضللًا، خفن معه الضياع. خمنت بعد ذلك دون شك، أنها قد تعرضت للسرقة

في أول يومٍ لها في مملكة البشر، وبدافع اليائس عادت لبائع النقانق ذاك، أملًا في ان تحصل منه على أي معلومة قد تفيد، أو حتى عن كيفية الحصول على دولاراته تلك. حاول طردهما في البداية، لكن مع رجاء ريجينسي له، وافق لكن بشرط أن تبتعد مولي عن وجهه. برطمت الأخيرة قليلًا وهي تبتعد، في حين أجاب الرجل سؤالها باستخفافٍ واضح:
-''من البنك طبعًا، أيتها الحمقاء''.
فأعادت سؤاله عن غير فهم عما يقصده بالبنك؟ أتسعت عيناه عن غير فهم لما يحدث.
- ''البنك مكان يوضع فيه النقود''. أجاب متأففًا.
-''هل يمكن للبنك أن يعطينا النقود مثلك؟'' مولي بسذاجة، بعد أن تعبت من التنصت عليهما.
هنا أخذ الرجل يقهقه، حتى كاد يسقط أرضًا، ليجيبها بسخرية لاذعة:
-''عزيزتي البلهاء، لتحصلي على النقود عليكِ بالعمل''. ثم عاد للضحك مرة أخرى، وهو يكمل عمله: ''تعتقد أن البنك يهب المال لمن يُريد''.
-''أين يمكننا الحصول على عمل؟'' سألته ريجنسي.
هنا تغيرت ملامح الرجل فجأة، فأخذ يهشهما بعيدًا:
-''اذهبي وازعجي شخصًا غيري بأسئلتك''.
* * * *
بدت الطرق لهما كالمتاهة التي وقعتا بها، يمشيان فيها عن غير هدى، لا يعرفان طريقًا للخروج. فكرتا في طلب المساعدة، لكن بملابسهما تلك، لم يشغل أحد فكرة حتى بالتوقف لمعرفة ما تريدانه.
حتى استوقفت مولي رجلًا عن غير رضًا منه، تتوسله أن

يساعدهما. توقف الرجل قليلًا وهو يخرج محفظته بغية إعطائهما بضع دولاراتٍ، لينهي الأمر. لكن ريجينسي رفضت ذلك، موضحة حاجتهما الملحة للعمل فقط.
هز الرجل رأسه إيجابًا وهو يُعيد النظر لساعته في قلق، ثم أشار لهما مسرعًا إلى مطعم للوجبات السريعة -كان قد تناول فيه طعامه منذ قليل- في نهاية الطريق. موضحًا بأنهم قد وضعوا لوحة هناك، يطلبون فيها عمالًا. شكرنه بامتنان، ثم توجهتا من فورهما إلى حيث أشار.
كان المطعم مزدحم بالزبائن، الذين أخذوا يحدجونهما بنظرات متعجبة ومتسائلة عن كينونة هاتين الغريبتين، وقد بدتا كمن سقطتا توًا من أحد الأفلام الهوليودية. أتجهتا نحو المنضدة، يسألن عامل الطلبات عن حاجتهم لعمال بالمطعم. هز العامل رأسه إيجابًا، قبل أن ينادي مديره للتحدث معهما. في البداية لم يعجب المدير بمنظرهما، ولكي ينهي المقابلة التي لم تتعدى تلك المنضدة - على غير العادة-، سألهما أن كانتا قد سبق لهما العمل من قبل -على يقينٍ منه بأن مثل هؤلاء لن يقبلهم أحد في وظيفة-. هزتا رأسيهما نفيًا، فأسرع يشير لهما متأسفًا، بالمغادرة.
كانت ريجينسي مصرة على عدم الاستسلام لأي رفض، فأخذت تتوسله أن يهبهما تلك الوظيفة، موضحة بأنهما لا يرغبان بشيء في المقابل سوى الطعام ومكان للمبيت. ولما كان المدير أكثر جشعًا من أن يرفض ذلك، قبل بإطعامهما وكفى. وأمرهما بالعودة غدًا صباحًا للبدء بالعمل.
الآن وقد حُل جزءٌ من المشكلة، لم يعد لدى ريجينسي غير إيجاد مكانٍ للمبيت. بعيدًا عن فكرة السكن في نزل -كما نصحهما أحد العمال- لم يكن أمامهما أي خيار أخر متاح.

-"لا بأس يا مولي، لا بد من وجود حلٍ ما". قالت في محاولة للحد من قلق الأخرى.
يمكن للمرء أن يضيع في طرق لا يعرفها، وقد يهتدي أحيانًا إلى أماكن أخرى لا يعرفها سواه. هكذا ظلتا تجولان المكان، بحثًا عن سبيل لهذه المعضلة الغريبة. بين يوم وليلة، يمكنك ببساطة التحول من أمير إلى.. لا أحد.
نكزتها مولي بمرفقها، لتقطع بذلك شرودها، تشير إلى أحد البنايات الضخمة، المزينة كالقصور. اقتربتا قليلًا من المبنى الكبير، حيث تغطية الألواح الزجاجية من أسفله إلى أعلاه، كما يغطى مدخله بسجاد أحمر أنيق. أثار دهشتهما ذلك الباب الذي يبتلع الناس –على حد قولهما- بداخله. كان المكان لهما أشبه بقصر كبير، غريب قليلًا، لكن الفخامة لم تُفقد منه.
تساءلتا في سذاجة عمّن يملك هذا القصر؟ على اعتقاد بأن صاحبه قد يرفأ لحال ملكة -لا يقل قصرها جمالًا عن قصره، ويساعدها في مهمتها. تعجب حارس البوابة في البداية من سؤالهما عن هوية صاحب المكان، ودون تفكير اجابهما بأن صاحبه يدعى السيد جون مولان.. موضحًا بأنه ليس الفندق الوحيد الذي يملكه، فله في أنحاء العالم فنادق أخرى.
-" هل الملك جون موجود؟" سألته بفضول.
-""السيد مولان، لا يحضر هنا كثيرًا. هل أنتما هنا لمقابلته؟"
-"لا، لكن رغبنا بسؤاله أن كان يمكنه السماح لنا بالمبيت هنا الليلة ". أجابته ريجينسي.
لم يفهم الحارس مقصدهما، فأشار بأصبعه إلى حيث مكتب الاستقبال:
- "يمكنكما الدخول، وهناك سيطلعانكما على المطلوب".
منذ وقعت قدماهما داخل الفندق، حتى فُتنتا بتصميمه الرائع.

كانت ثرياه تتدلى من السقف كجوهرة لامعة ليس لها مثيل، والأثاث الجلدي يلمع كما لم يريا من قبل،كما أن عبق المكان كان خاطفًا للأنفاس.
ظلتا تجوبان المكان بنظرهما قليلًا في دهشة، قبل أن تتقدما نحو مكتب الاستقبال. أتجهت ريجيسي إلى أحد موظفيه المنتصبين هناك كسيقان البامبو، وقد ارتسمت على وجوههم أبتسامة ترحيبٍ بدت كشمسٍ لا تغيب. أخبرته بكل لباقة رغبتهما في المبيت هنا، رحب بها الموظف على الفور، وبدأ رسميًا في إجراءات الحجز. وقبل أن ينهي ذلك، سألها إن كانت ترغب في الدفع كاش أو فيزا. سألته في فضولٍ عما يعنيه، فأخذ يشرح لها الفرق، ثم عاد يسألها أن كانت ستدفع نقدًا أم بطاقة.
-"لكننا لا نملك مالًا. في الحقيقة كنا نأمل في لقاء الملك جون لنطلب منه بعض المساعدة". ثم أنحنت للأسفل قليلًا للتعريف بنفسها: "أنا الأميرة ريجينسي".
تجهم الرجل -وقد أيقن بأنه أمام إحدى المجانين- كاظًا على أسنانه:
-عذرًا سيدتي، لا يمكنك المبيت هنا حتى تقومي بدفع ثمن أجرة الغرفة".
-"إذًا، هل يمكنني مقابلة الملك جون. لا بد له أن يساعدنا، يبدو أنك لا تفهم نحن ضيوفٌ على مملكته". قاطعته مولي بتبجح.
حدج الرجل بهما غاضبًا، ثم أشار بيده للحرس أن يطردوهما للخارج. تقدم الحراس منهما بسرعة، يطلبان منهما ترك المكان بهدوء. كادت مولي لوهلة أن تبدأ وصلتها من النباح المعروف لريجينسي، لولا أنها أمرتها بالصمت. وما أن عادتا للشارع البارد مرة أخرى، حتى بدأت ريجينسي بالاعتراف

بصعوبة مهمتهما، متمنية سرًا لو أن زورا من يحدث له هذا.
-"ذلك المتغطرس الأبله". تمتمت.
-"يا إلهي!، كم يبدو حاكم هذه المدينة جلفًا. أنه يطرد ضيوفه ويهينهم. ماذا سنفعل الأن يا أميرتي؟".
-"لا أعرف، لكن علينا الآن إيجاد مكانًا للمبيت في هذه المدينة قبل شروق الشمس".

* * * *

(2)

أشرقت شمس اليوم التالي كسلى، بعد قضائهما ليلتهما الأولى في أحد الأزقة، حيث سمحت لهما امرأة عجوز لا تجتمع أسنانها في فكٍ واحد، شعرها أشعث مليء بفضلات وبقايا الأشياء، لا يكسو جلدها المجعد إلا حفنة من الملابس التي لا تميزها من شدة اتساخها، بمشاركتها المبيت.

كان الجو باردًا، فلم يسعهما إلا احتضان بعضهما للحصول على بعض الدفئ، نظرًا لأن قطعة الكرتون التي أعارتها لهن المرأة للنوم عليها، لم تُفد في شيء.

استيقظتا على صوت خرفشاتٍ، قريبة المصدر، ففزعتا لذلك. قبل أن تكتشفا بأنها مجرد أصواتٍ صادرة عن تلك المرأة العجوز، التي كانت بدورها تبحث عن بعض الطعام في صناديق القمامة. والذي قدمته لهما فيما بعدّ ليأكلاه، بفائضٍ من الكرم.

لم يكن ذلك الطعام الذي قد تحلم به فتاة كريجنسي، فقد أصابها القرف والحرج وقتها في آنٍ واحد. فرغم كون المرأة كريمة إلى حدٍ لا يوصف مع غريبتين مثلهما، إلا أنها في ذات الوقت لا تستطيع أكل فضلات الطعام، ولو على سبيل المجاملة. فأكتفت بمنحها وعدًا قبل أن تغادر بالعودة لها بطعام جيد هذا المساء، كهدية شكر. هزت المرأة رأسها وكأنها على يقين بأن عودتهما باتت مستحيلة، وأن عليها العودة لوحدتها مرة أخرى.

لم يكن مكان العمل بعيدًا عن مكان مبيتهما –لحسن الحظ–، حيث حرصت ريجينسي ليلتها على ألا تضيع إليه طريق.

وهكذا اتجهتا إلى محل عملهما الأول، ليلتقي بهم أحد العاملين الموكل بإعطائهما فكرة عن العمل وتسليمهما الزي.
كان عليهما البدء بالعمل في إعداد الطعام بالمطبخ ، لتصبح كلًا منهما في جهة تحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه. فلمولي كان العمل إلى حدٍ ما متعب -لاعتيادها غير الدائم على مساعدة الخدم بالقصر- لكنه كان صعبًا على ريجنسي التي لم تعتد عمل شيء، غير الحياكة -إن اعتبرت عملًا- لذا كان نصيب الطعام في يومها الأول هو الحرق، والتمرمغ في الأرض.
كادتا أن تطردا في يومهما الأول، لولا تعذرهما بكونه كذلك.
وبما أنهما لا يستلمان راتبًا، فلم يرى صاحب العمل سوءً في إعطائهما فرصةً أخرى، محذرًا إياهما بأنها المرة الأخيرة.
انتهى اليوم شديد الصعوبة، بما فيه من تذمر، وصراخ، وطلبات مستعجلة من قبل الزبائن، وهي منهكة من التعب إلى حد أفقدها شهية الطعام، فحفظته كاملًا للمرأة العجوز.
الترنح سمة السكارى وعادة المتعبين، وهكذا مشيتا حتى وصلتا إلى زقاقهما العفن. كانت العجوز ما تزال مستيقظة، وكأنها تنتظرهما، أو ربما تنتظر تلك الوجبة التي وعدت بها.
ابتسمت لها ريجينسي وهي تقدم لها كيسًا مملوءً بالطعام، جعل المرأة تفغر عينيها دهشة، غير مصدقة. أسندت ريجنسي جزعها للحائط محبطة، تراقب العجوز تنهل من الطعام بسعادة.
-"أنها حقًا مهمة صعبة".
ربتت مولي على كتفها تهدئها:
-"لا بأس يا أميرتي، لا بد للأمورمن أن تُحل".
-"لقد تعبت يا مولي. لن أقضي حياتي كلها أعمل في مكانٍ كهذا، حتى الآن ننام بالشارع ولا نأكل إلا من بقايا الطعام. لم

أعتد على عيش هكذا حياة".
-"وماذا تنوين فعله يا أميرتي؟"
-"لا أدري، اخلدي للنوم الآن. أنا أشعر بالتعب الشديد".
ألقت كل منهما بجسدها على ذات الكرتون، لعله يمنحهما السلام الذي يفتقدنه.
ليستيقظا على كونه مجرد حلم، بل ربما أكثر من ذلك، كابوس.
لكن ساعات الظلام الدامس لم تمنحهما القليل من الراحة، كما لم تفعل قذارة المكان الذي لا تنفك رائحته الكريهة عن دغدغة أنفهن، حتى تنفرن منها كما تنفر معدتهن بإلقاء طعام جوفها خارجًا.
فقط صوت أنين العجوز هو ما دفعهما لترك تلك المحاولات جانبًا، والاستيقاظ. اقتربت ريجينسي منها تسألها عما يؤلمها، لتُفاجأ بجسدٍ يرتجف، وحرارة مرتفعة، بينما صاحبته تهذي بما هو غير مفهوم.
-"المرأة تحتاج لطبيب" همست لها مولي.
-"لكن من أين لنا بطبيب في وقتٍ متأخرٍ كهذا؟" فكرت.
لم يكن أمام ريجينسي الكثير من الحلول، فلم تُقدّم صرخات المرأة المؤلمة، إلا الكثير من الرهبة والخوف لكلاهما.
فما كان منها إلا أن أمرت مولي بالاعتناء بالعجوز، حتى تجد من يساعدها، لكن مولي رفضت تركها تجول وحدها مدينة لا تعرفها، بيد أن وضع المرأة الذي بدأ يتطور إلى لحظات من الإغماء، جعلها تنصاع لأوامرها على مضض.
جابت ريجنسي الشوارع بحثًا عمّن يقدم لها المساعدة، لكن الوقت كان متأخرًا، والجميع نيامًا بأسرتهم. لم تطق فكرة العودة خاوية اليدين، كان عليها فعل شئ لإنقاذ تلك المرأة، لكن من أين لها بذلك؟

قاطع شرودها اصطدامها برجلٍ بدى من جهته في غاية العجلة، حتى ليعتذر منها. كان الرجل يرتدي معطفًا شتويًا، يغطي نصف وجهه بوشاح رمادي، ويحمل بيديه حقيبة صغيرة، قد تقشر عنها لونها. صاحت به عدة مرات، لكن الرجل لم يُبد اهتمامًا، وهو يرتقي سيارته.
-''أرجوك، ساعدني. جدتي تموت''.
توقف الرجل قليلًا لما سمعها، يرافقه شعور بالتوتر من وجودها، ظنًا منه -في البداية- بأنها أحد أعضاء عصابة الجانك، الذين يجوبون الشوارع ليلًا لسرقة المارة. لكن وجهها البرئ وملابسها التي رغم غرابتها، لم تحمل شعارهم، جعلته يطمئن قليلًا.
-''أرجوك، احتاج إلى طبيب. جدتي مريضة، تكاد تموت''.
-''يال السخرية!''.
همهم قبل أن يكمل على عجل: ''حسنًا، أنا طبيب. لكني متوجه الآن إلى أحد المرضى، لذا ليس لدي وقت أضيعه في رؤية جدتك. يمكنك إحضارها غدًا إلى عيادتي''.
ثم ناولها كارته الخاص، وهو يهم بإغلاق باب السيارة. ليجدها تقف بجوار نافذة سيارته تطرقها وهي ترجوه أن يستمع إليها.
-''أرجوك، لن أخذ من وقتك الكثير، أنها بضع دقائق فقط. المكان قريب، يمكننا الوصول إليه بسرعة بهذه''. مشيرة لسيارته ثم ضمت يديها ببعضهما تتوسله مرة أخرى: ''أرجوك''.
-''حسنًا، أين هو المكان؟'' سألها بعد أن دعاها لركوب سيارته.
-'' إنه في الزقاق هناك حيث الـــ.....''.
قاطعها، كابحًا الفرامل فجأة:
-''زقاق! أنتم فقراء إذًا، يا إلهي! هذا ما كان ينقصني. الآن

كيف ستدفعين لي؟".
حكت رأسها من آثار ألم ارتطامها بالكرسي الأمامي، نظرًا لتوقفه المفاجئ:
-"لا أملك نقودًا، لكن المرأة ستموت. ألا تملك بعض الرحمة؟!"
ضحك الرجل وكأن شيطانًا يدغدغه:
-"رحمة! لم أسمع بهذه الكلمة منذ كنت بالجامعة أدرس الطب. عزيزتي أنا لا أعمل بدون مقابل، والآن أرجوكِ ترجلي من السيارة. أحتاج للذهاب لذلك المريض، الذي سيقوم بالدفع لي".
-"أرجوك، يمكنني إعطائك أي شيء في مقابل رؤيتك للعجوز، عدا النقود".
ضحك مرة أخرى، وهو ينظر إليها هذه المرة بازدراء:
-"أوه، لست من أولئك عزيزتي، لا أقبل بأقامة هذا النوع من العلاقات.أنا أفضل المال، والمال فحسب".
-"هذا النوع من العلاقة!" لم تفطن لما يقصده بتلك الجملة، لذا عادت توضح له ما تريد بكلماتٍ أوضح:
"لا يمكنني منح علاقة على حد قولك، لكن يمكنني منحك أمنية لقاء علاج العجوز".
حدجها بنظرة صارخة تتهمها بالجنون:
-"يا إلهي، هذا ما كان ينقصني، الجنون. مجنونة!".
-"أوه، لست كذلك صدقني يمكنني منحك أمنية واحدة بالمقابل". ثم أخرجت عصاها السحرية لتثبت له صدق كلامها: "سأمنحك أي أمنية تتمناها الآن، على أن تتحقق غدًا. وأن لم أصدّق فيما وعدت فبأمكانك فعل بي ما تشاء.. حتى تسليمي للحراس".

أنصت الرجل لهذيانها، وبداخله يزداد يقين بصعوبة التخلص منها. لعن كل شيء أدى إلى نزوله من منزله، ليصطدم بهذه المعتوهة، في هذه الليلة المشئومة. لاحظت ريجينسي ما أصابه من جزع وحيرة، فأخبرته بأنها تملك برهانًا على امتلاكها قدرة منح الأماني. ثم أرته جناحيها، الذي فزع لرؤيتهما، لاعتقاده بأن أجله قد دنى، وأن عزرائيل قد جاءه في زياره.
-''هل صدقتني الآن؟'' قالت بحماس.
كان خوف الرجل، أكبر من أن يجيب. فلم يرى بُدًا من إظهار ملامح من صدّق هذا الجنون. كان الوقت متأخرًا على أي حال، ولديه موعد آخر أكثر أهمية. لكن خوفه من عدم تنفيذ طلبها، وما قد ينتج عنه، جعله ينصاع لها.
-''حسنًا، لا بأس بالقليل من التجربة؟''
أتجها بعد ذلك صوب الزقاق، حيث قام بفحص العجوز المريضة وإعطائها بعض -عينات- الأدوية، من ما كان يحمل بحقيبته التي تصادف وجودها –الأدوية- معه الليلة، بعدما لم يجد وقتًا لإفراغها حين عودته للمنزل. انتهى الطبيب من كشفه ومد يده هازئًا وكأنه يصدقها، يطالبها بما وعدت:
-''الآن أمنيتي من فضلك؟''
نظرت له وهي تحرك عصاها نحوه: ''الآن تمنى''.
* * * *

"الأمنية الأولى"

في صباح اليوم التالي، استيقظ مارك مبكرًا. ليلحق بزوجته إلى المطبخ، ليفاجأها بقبلة أسفل عنقها، وهي تُعد البيض المقلي، والبيكن المدخن. سألها برفق عن ولدهما:

-"لقد أفقت مبكرًا اليوم.. أنه بالمدرسة كما تعلم، يبدو عليك الأجهاد من عمل البارحة.

-"لم أستطع النوم ليلة الأمس، ذهبت لرؤية مريضين في وقتٍ متأخر كما تعلمين. ولم أستطع، فقط..لم أستطع العودة إلى النوم".

-"رباه، ليت المال يأتيك كثيرًا كما تعمل. أعرف الكثير من الأطباء ممن حققوا ثروات لا بأس بها في بداية حياتهم".

أكملت حديثها كالعادة –كلما أُتيح لها ذلك- بالشكوى من سوء أحوالهم، وكم كانت تتمنى لو أنها امتلكت منزلًا كبيرًا، غير هذا المنزل الضيق المقرف –على حد تعبيرها- وبضجر أعلنت عن رغبتها في نقل طفلهما إلى مدرسة أفضل.

فهو دائم الشكوى –مثلها- من عجزه عن الاندماج بمدرسته الحالية، لوجود المتنمرين الذين يضايقونه باستمرار.

-"أنها المدرسة الثالثة، التي يتم نقله إليها، بسبب التكاليف الباهظة التي تطلبها المدارس الأخرى هذه الأيام". قال مذكرًا.

لم تعره اهتمامًا، وأكملت تذكره بعدم قيامهم بدفع قسط المصاريف الخاص به منذ شهر تقريبًا. وأن مدير المدرسة أضطر لمحادثتها بهذا الشأن البارحة.

-"سيضطرون لفصل ابننا، أن لم نقم بدفع المصاريف خلال أسبوع". قالت آسفه.

ارتشف قهوته محبطًا:
-"جين، أنا أعمل بجد. صدقيني".
تحسست يده الموضوعه على الطاولة بلطف:
-"أعلم عزيزي، لكن وضعنا بائس. أفكر في بيع خاتم الزواج، لتسديد بعض الفواتير وقسط مدرسة بيل".
-"لكن....".
قاطعهما صوت رنين الهاتف، أنها الممرضة بالعيادة تطلب التحدث إليه على وجه السرعة.
-"يا إلهي!، لا بد أنها تريد مرتبها هذا الشهر. أن المصائب تحل على رأسي، كالطيور على فتات الخبز".
رفع سماعة الهاتف، وقبل أن يحاول تطيب خاطرها. أسرعت بالقول:
-"أيها الطبيب، عليك المجئ للعيادة فورًا العيادة مزدحمة بالمرضى".
-"مادلين، هل تسمين أربعة أشخاص، ازدحام؟"
-"سيدي، لقد حطمنا هذا الرقم اليوم أنا أتحدث عن المئات منهم، أنهم يجلسون أمام بوابة العيادة مما يسبب المشاكل للمارة صعودًا ونزولًا، أرجوك أسرع بالمجئ".
شرد قليلًا، وهو يتمتم:
-"معقول! هل يمكن أن تكون أمنيتي قد تحققت فعلًا؟"
قاطعت الممرضة شروده:
-"عن أي أمنيةٍ تتحدث؟ أنا أحدثك عن الواقع، أرجوك لا تتأخر".
انتهت المكالمة، ومارك ما يزال ممسكًا بالسماعة، لا يعي صفير الهاتف. يُعيده –فقط- صوت زوجته إلى واقعه، تسأله عما حدث، ليجيبها وهو يرتقي الدرج مسرعًا "المرضى

بانتظاري".
مطت شفتيها ساخرة وهي تتمتم: "نعم.. المرضى". ثم عادت لارتشاف الشاي.

* * * *

صف مارك سيارته على بُعد قطاعين مضطرًا، بعد أن حاول بدون فائدة إيجاد مكان شاغر لها، مقابل البناية حيث العيادة. لم يجد أمامه حال وصوله المبنى، غير مزاحمة المرضى المتجمهرين أمام بابها قليلًا، ليتمكن من الصعود لأعلى.
هناك كانت مادلين على مكتبها، بزيها الأبيض -الذي يتحول أحيانًا إلى وردي حسب رغبتها-. كان بامكانها فعل ما تشاء، فقلما كان مارك يعارضها، كونها لا تتطالبه بأجرها حين يتأخر في دفعه. كما أنها الوحيدة التي رضيت بالعمل مع طبيبٍ نزق مثله.
أسرع مارك نحو مكتبه تتبعه مادلين:
-"رباه، ما كل هؤلاء المرضى؟" وهو يخلع الجاكيت استعدادًا لتبديله ببالطوه الأبيض.
-"نعم، أنا لا أصدق حتى الآن ما يحدث. وكأنها معجزة".
-"نعم، أظنها كذلك".هازًا رأسه بالإيجاب.
-"أتصدق كل من بالخارج حتى باب البناية مرضى، حتى أنهم قاموا بدفع ثمن الكشف مقدمًا، كي يضمنوا دخولهم لك لفحصهم. لقد جمعنا ثروة اليوم دكتور".
ابتسم لها متحمسًا:
-"ابدأي بإدخالهم، هيا.. لا نريد أن نتأخر، تعلمين.. العدد كبير".
بعد دقائق، سمحت مادلين للمريض الأول بالدخول. رحب به مارك، ثم بدأ يسأله عن سر شكواه.

-"لا أدري دكتور، لقد استيقظت هذا الصباح، وأنا أشعر بالتعب على حين فجأة" أجاب المريض.
دعاه متفهمًا، لأخباره بدقة عما يشعر به، بينما يعج رأسه بالثرثرات:
-"لا بد من أنها تلك الأمنية، لا بد من أنها الأمنية.. الأمنية.. الأمنية".
ظل مارك على تلك الحالة، من مريض إلى آخر حتى انتصف الليل، وأصبح غير قادرٍ جسديًا أو ذهنيًا على معاينة بقية الحالات. فقرر تأجيل ما تبقى منهم للغد، سائلًا مادلين أن تعتذر لهم.
-"سيدي، المرضى يتوافدون بلا انقطاع وكأن هناك جارور من الأمراض قد صُب على المدينة".
-"لا بأس يا مادلين، فلنستفد من هذا الحظ الممنوح لنا سأعود إلى المنزل الآن".
هكذا أخبرها وهو يلبس جاكته استعدادًا لحمل حقيبته.
-"انتظر أيها الطبيب".
تسمر في مكانه لحظة ضجرًا، يسألها عما تريده مدت مادلين يدها بمظروف كبير:
-"هذا هو إيراد اليوم".
سحبه من يدها ببطئ يتأمله، اغتصب ابتسامة، وتمنى لها ليلة سعيدة ثم هم مغادرًا وهو يضع المظروف بجيب جاكته، تاركًا مادلين تعتذر لمن تبقى منهم.

* * * *

تسلل مارك إلى غرفتهما، ولم يكد يخلع عنه ملابسه، حتى أضاءت جين المصباح بجانبها، لترى زوجها العائد في منتصف الليل.

-"مارك، لماذا تأخرت إلى هذا الوقت؟"
تقدم منها مارك حاملًا المظروف بيديه، ثم أفرغ ما بداخله أمامها على السرير.
أتسعت عيناها على أوجهما، وفغرت فمها عن أخره:
-" يا إلهي! ما كل هذا؟ هل قمت بسرقة أحدهم؟"
-"أنه إيراد العيادة اليوم. يمكنك الآن دفع الأقساط وتسديد الديون".
أخذت تُحصيه متململة:
-"لكن هذا لا يكفي لسد جميع الديون".
-"سددي قسط بيل المدرسي، وحاولي تسديد ما يمكنك تسديده، حتى يصلني إيراد الغد". ثم أمسك بذراعها مبتهجًا، قبل أن يعقب: "من الآن فصاعدًا، سنحقق كل ما كنا نأمل به. سنشتري منزلًا جديدًا، وسنقوم بنقل بيل إلى مدرسة أفضل. سنحيا كما يحيا الأثرياء".
رفعت حاجبها مستنكرة، وهو في حالة الانتشاء تلك:
-"عزيزي، لا تكثر من الشراب مرة أخرى. أرجوك".
أخذ يقسم لها بأنه لم يستطع تناول أي شيء اليوم، لكثرة المرضى، عدا قطعه من الكورواسون وفنجان من القهوة.
ثم بدأ يصف لها ما حدث معه اليوم، وعن كل أولئك البشر الذين توافدوا إلى عيادته، طلبًا للعلاج. أخذ يطيل الشرح بسعادة، بينما هي لا تلقي بالًا لما تسمع، فكل ما شغل تفكيرها طريقة تبديد المال الذي بحوزتها. ولكيلا يغضب من شرودها ذاك، كانت تهز رأسها وتقول "ممتاز" وهي تعاود عدّ النقود.
دقائق حتى طُرق باب غرفتهما، لقد كان بيل الصغير، يرغب بالذهاب إلى الحمام.
أحاط مارك خصره بيديه يرفعه لأعلى بمرح،، ثم عاد

واحتضنه بقوة، منهالاً عليه بالقبل.
-''أبي، أنت تؤذيني. أريد الذهاب للحمام''.
-''آسف عزيزي، لكني أشتقت إليك كثيرًا اليوم''.
-''حسنًا ، يمكنك تركِ الآن. لن أستطيع احتباس البول أكثر''.
وضعه مارك بهدوء أرضًا. وقبل أن يغادر الغرفة، التفت نحو والدته متجهمًا:
-''أمي، لا تنسي، يجب عليك الحضور معي غدًا للمدرسة. فالمدير لن يسمح لي بالدخول''.
-''لا تقلق يا عزيزي، قريبًا لن نحتاج إلى إذنه للدخول''.
تثائب الصبي:
-''ماذا تقصدين؟ ألن أذهب للمدرسة بعد اليوم؟''
-''اذهب أنت الآن لقضاء حاجتك وعد للنوم. ولا تلقي بالًا لشيء دع كل شيء لوالدتك''.
إتجه الصبي نحو الحمام، ليفرغ مثانته، ثم عاد للنوم سريعًا تبعًا لتوجيهات والدته. أما مارك فقد غط في نومٍ عميق من شدة التعب الذي ألم به، بينما قضت جين ليلتها تفكر، فيما عليها فعله بالغد.

* * * *

تتالت الأيام ومارك يزداد ثراءً، والمرضى يتوافدون إلى عيادته بلا انقطاع. حتى أضطر هو إلى شراء عيادة أكبر حجمًا لاستيعابهم اختارها هذه المرة في مكانٍ راق، لجذب الطبقة الراقية أيضًا.
بعد عدة شهور أغلق عيادته القديمة، وانتقل إلى الجديدة نهائيًا، لعدم قدرته على التواجد في كلتيهما.
في هذه الأثناء، كانت زوجته جين، تبحث عن منزلٍ جديد. فأصبحت تقضي معظم وقتها بالخارج، مع سماسرة العقارات،

تتنقل من منزلٍ إلى آخر، بحثًا عن ما سينال إعجابها. ظلت على هذه الحال لفترة، حتى وجدت مبتغاها. منزل الأحلام المكون من طابقين وحديقة كبيرة، في حيٍ راق، بعيدًا كل البعد عن الحي الذي كانت تقطن فيه.
فكرت في البداية، أن لا بد لها أن تدعو جميع صديقاتها ممن كن ينظرن إليها بتعالٍ أو بشفقة، ويدعونها سرًا بالفاشلة، للاحتفال بانتقالهم إلى منزل جديد. كما أرسلت بعض الدعوات أيضًا إلى أولئك ممن كن يرفضن اقراضها المال، حين كانت تقصدهن لذلك، حين كانت تقصدهم لذلك. ”لا بأس من أن تصدر للعالم أنفك، ثم تبصق في وجوههم، فرحًا بنجاحك“. هكذا فكرت.
-”من هم الفاشلون الآن؟!“ همست وهي تخبز الكعك.
في اليوم المحدد للحفل تأنقت بفستان مخملي أسود، وارتدت معه عقدًا، كان مارك قد أهداه أياها في ذكرى زواجهما، الذي قلما كانا يحتفلان به سابقًا لقلة الموارد.
كما حرصت على تأنق طفلها بيل، وزوجها؛ الذي لم يستطع حضور حفلها ذاك، لكثرة انشغاله بالمرضى الذين يمطرون على عيادته.
وصل المدعوين للحفل، يحملون بعض الهدايا، مبديين افتتانهم بجمال المنزل منذ اللحظة الأولى، بينما أخذت النساء تثرثر عن سر تلك الثروة التي هبطت على مارك فجأة.
لم تكن جين حمقاء لتجاهل ما يدور حولها، لكنها لم تعر إحداهن أي اهتمام، فجل ما كانت تبغاه ليلتها هو الانتقام منهم والتشفي، لما فعلوه بها فيما مضى.
استقبلت ليلتها أحاديثهم بابتسامة جوفاء، لم تسقطها عن وجهها، إلا بعد انفضاض الحفل ومغادرة الجميع.

حتى عندما تجرأت إحداهن متبخترة -وهي تتأبط ذراع زوجها- على سؤالها عن سبب عدم حضور زوجها مارك حفلها. متمنية بمزاح بدا أقرب للسخرية ألا يكون سبب عدم حضوره، كونه برفقة امرأة أخرى.
ابتسمت جين ببرود، مخفية بذلك حنقًا شديدًا لتلك الإشارة الخبيثة، والتي كادت تدفعها للأنقضاض عليها، لافتراسها بلا هوادة:
-"أوه، عزيزي مارك". ثم وضعت يدها على صدرها حيث قلبها، معقبة: "لا بد أنه الآن يكد في عمله من أجل إسعادنا، لا تعتقدي أن هذه الثروة قد جُمعت وأنا أتأبط ذراعه في الحفلات".
ثم تركتها، وهي تشير بيدها إلى أحدهم، وكأنها قد شُغلت به. لتقوم المرأة بوكز زوجها بعد إفلاتها لذراعه، محدجةً إياه بازدراء. بينما تتابع جين الموقف خفية، مبتسمة.
* * * *
-"ألو، مرحبًا مادلين أرغب بالتحدث إلى مارك، فهو لا يجيب على هاتفه المحمول".
صمتت قليلًا، تُصغ السمع لمادلين التي تشرح لها انشغاله التام.
-"يا إلهي!، لم أعد أستطيع التحدث إليه منذ لعنة المرضى تلك. دائمًا مشغول. اخبريه رجاءً أن يقوم بالإتصال بي للضرورة. أرجوكِ لا تنسي ذلك.. نعم.. نعم.. شكرًا لكِ".
وضعت جين السماعة غاضبة، حتى كاد الهاتف أن ينكسر. نظرت حولها إلى ذلك الفراغ الشاسع الذي يلفها، بعد أن أصبحت الساكنة الوحيدة فيه.
-"أه، مارك. ماذا حدث لنا بحق السماء؟". قالت آيسة.

في ذات الوقت، كان مارك يفحص أحد المرضى كثيري التذمر. يأتيه كل يوم بأعراضٍ جديدة، المريض دائم الشكوى، كما كانت مادلين تدعوه. نصحه مارك كثيرًا بزيارة طبيب نفسي، فما يعاني منه ليس بالمرض العضوي، بيدّ أنه مجرد وهم يعيش فيه ويحتاج أن يعالج منه نفسيًا، أنه رهاب المرض. لكن الرجل لم يقتنع يومًا بكلامه، بل أتهمه بامتناعه عن تقديم العلاج المناسب له. مما جعل مارك يذعن له منعًا للمشاكل. يفحصة كل مرة، ويكتب له بعض أسماء الفيتامينات على أنها أدوية معالجة. فما عساه يفعل مع ثلة من المجانين؟
وبالانتهاء منه، استدعى مادلين يسألها عن العدد المتبقي بالخارج. اخبرته بهدوء بأن هناك الكثير والكثير من المتوافدين كل دقيقة، مما جعله يزفر ضجرًا:
-"رباه، أنا أشعر بالتعب. أكاد أقضي وقتي كله هنا يوميًا. ستنتهي حياتي، وأنا ما زلت هنا".
-"لكن هذا ما كنت تتمناه سيدي، وضعنا الآن أفضل بكثير من السابق".
-"نعم، هذا ما كنت أتمناه حقًا". قال آيسًا.
طأطأ رأسه للأسفل منزعجًا يفكر في حل، حين باغتته فكرة بدت لوهلة حلًا مناسبًا لبئر العمل الذي سقط فيه. أشار إليها وهو يخلع البالطو، بأن تؤجل بقية المواعيد لساعة أخرى، فهو بحاجة ماسة لقليل من الراحة. ربما سيذهب لتناول الطعام وشرب بعض القهوة، وقد يعود بعدها لمواصلة عمله. ثم استقل المصعد إلى الردهة بالأسفل، حيث تنتظره بالخارج سيارته الجديدة.
فكر قليلًا قبل أن تُدير يده مفتاح السيارة، وقد قرر ضمنيًا التوجه إلى الزقاق الذي عالج فيه عجوز ريجينسي. وباقترابه

منه، أدرك أنه خاوٍ، فلا عجوز هناك، ولا ريجينسي.
-"لقد رحل الجميع، مضى وقتٌ طويل على ما أذكر. ربما هي لعنة وليست أمنية، تلك التي جلبتها لنفسي". تمتم في إحباط.
واصل قيادة سيارته بدون هدف، وهو يُعيد تذكر تفاصيل تلك الليلة، ومحاولة ريجينسي الصادقة لجعله يفكر جيدًا فيما يتمنى. وكيف أنه كان عجولًا لتحقيقها، بعد أن بدت له أمنيته لحظتها أكثر تعقلًا وواقعية. على عكس ما قد تبدو عليه الآن، من كونها أكثر جنونًا وسادية.
شعور الجوع الذي داهمه، جعله يتوقف عند أقرب مطعم يصادفه، ليتناول شيئًا آخر غير المعكرونة التي أعتاد أكلها، لسهولة توفرها. فمنذ الصباح لم يتناول إلا فنجان قهوة، كان قد تناوله على عجل حتى لا ينتهي مصيره إلى أن يبرد كسابقيه.
صف سيارته مقابل أحد المقاهي، وولج المكان يتأمله بهدوء، قبل أن يختار مقعدًا مجاورًا للنافذة المطلة على الشارع.
أشار للنادل فور جلوسه، أن يحضر له قائمة الطعام. ولم تمضي الدقيقة حتى أحضر له النادل القائمة، وقد تحضر لأخذ طلباته.
تأملها قليلًا، قبل أن يطلب منه إعلام الشيف، برغبته في تذوق طبق خاص على ذائقته. أحنى النادل رأسه، وأتجه للمطبخ لبضع دقائق، قبل أن يعاود إخباره بأن الشيف سيقوم بتجهيز طبق خاص له، مكون من الدجاج المشوي بصوص الماغنيسيو الخاص أومأ له مارك بالموافقة ثم تنهد -بعد أن غادره- متأملًا المنظر من نافذته حيث قطرات المطر تتساقط، على زجاج النافذة بجانبه همس لنفسه في حيرة:
-"ألم يكن هذا ما تريده يا مارك؟ حياتك منذ الأزل قد بنيت على تبادل الخدمات بمقابل. بمقابل لم يكن يكفيك زاد يومك،

الآن بإمكانك شراء كل شيء".

-"لكني تعبت، في البداية كنت أشعر بالسعادة كل تلك الثروة والشهرة التي جائتني كانت ضربًا من الجنون لم أكن لأحصل على جزء صغير مما أحصل عليه الآن، حتى لو عملت ليلًا ونهارًا وزرت الجميع في بيوتهم. لكني الآن متعب، أشعر وكأني مُقيدٌ إلى كرسي العيادة". تجيبه ذاته المتعبة.

قاطع النادل محادثته تلك، بصبه بعض النبيذ في كأسه. في البداية، تأمل الكأس المملؤ لنصفه بالنبيذ الأحمر القاني:

-"رغم أنك ثمين، إلا أنك في النهاية تُصب في كوؤس، غالية كانت أو رخيصة".

لم يكد يتجرع كأسه، حتى ثنى نفسه عن ذلك، حين تذكر ما ينتظره من مرضى بالعيادة.

-"يجب أن أكون مستيقظًا، فخطأ واحد قد يقضي على كل شيء".

اقترب النادل بعدها يسأله إن كان جاهزًا لتقديم الطعام له، والذي بدى كتحفة فنية حين قُدم. تناول مارك الطعام اللذيذ ببطئ، عن غير شهية، رغم محاولته المستميتة للاستمتاع بهذه اللحظات القليلة التي منحت له للانفراد بنفسه.

تلك النفس التي دفعته منذ البداية للركض خلف المال والشهرة مهما كلف الأمر، حتى نسى طعم الحياة، وما للحياة من قيمة.

فجأة تعالى صوت ارتطام كأس بالأرض، على إثر سقوط صاحبه. كان الرجل في أشد حاجته لطبيب، بعد محاولة الجميع الفاشلة لإفاقته بالطرق المعتادة. صاح النادل بالمكان متساءلًا أن وجد طبيب بالمكان، في ذات اللحظة التي ورد مارك فيها اتصالًا هاتفيًا. "على الأرجح مادلين، تسألني أن أُسرع بالعودة للعيادة". فكر. لم يبالي بما يحدث حوله، وهو

يمسح فمه بالمنديل، إعلانًا منه عن انتهاء وقت تناوله للطعام، ثم قام بوضع بعض الدولارات على الطاولة، قبل أن يتركهم مغادرًا.

* * * *

عاودت جين الاتصال بالعيادة مرة أخرى، بعد ساعاتٍ مضت، نفد فيها صبرها، وهي تنتظر مهاتفته. تُذكر مادلين بضرورة التحدث إليه، إلا أن الأخرى وضحت لها جديًا عدم إمكانية ذلك. لقيامه بفحص مريض في الوقت الحالي، كما أن طابور المنتظرين له لا ينتهي.

توسلتها هذه المرة أن تمرر له الهاتف، فبيل مريض جدًا. فلم تجد مادلين بُدًا من إعادة إخبار مارك باتصال زوجته، لتتوجه من فورها إلى مكتبه تخبره. وقبل أن تكمل، قاطعها دون النظر إليها:

-''اخبريها بأني سأعاود الاتصال بها''.

-''لكن سيدي، أنها تقول بأن الأمر ضـ.....''.

-''قلت لك، سأعاود الاتصال بها. ألا تفهمين''. ناهرًا إياها بشدة.

فعادت تخبر جين بما حدث. وجهت جين له ولعيادته بعض اللعنات، قبل أن تغلق الهاتف أخيرًا.

بعد مرور بعض الوقت، وللحظ الجيد، كانت العيادة قد فرغت للمرة الأولى استرخى مارك على كرسيه قليلًا، قبل أن يطلب من مادلين الاتصال بزوجته، حالما تذكرها. حاولت الأخرى الإتصال بمنزله عدة مرات، لكن أحدٌ لم يجب. عادت مادلين تخبره بما لقت.

-''لا بأس، سأتصل بهاتفها المحمول ماذا كانت تريد على أي حال؟''

-''لقد أخبرتني، بأن بيل مريض. لقد حاولت الإتصال بك عدة مرات، لترشدها إلى ما عليها فعله''.
-''ولماذا إذًا لم تخبريني بهذا؟'' سألها، وهو يسرع بإمساك هاتفه المحمول.
-''لقد حاولت.. لكنك منعتني من التحدث حين جئت لإخبارك، أتذكر''.
-''اغربي عن وجهي الآن''. قال وهو يكز على أسنانه.
الهاتف يرن، لكنها لا تجيب، يعيد الاتصال بها مرات ومرات، حتى أجابته بصوتٍ باك:
-''مارك، أن بيل مريض. طفلي مريض''.
-''أين أنتي يا جين؟''
-''أنا بالمشفى العام''. ثم أخذتها نوبة من البكاء الهستيري.
-''اهدئي جين، سأحضر على الفور''.
* * * *
وصول مارك في اللحظات الأخيرة، كان أشبه بوصول سيارة الأطفاء بعد انتهاء الحريق. كل شيء تقريبًا كان منتهيًا، جين مرتكزة على ركبيتها تبكي، وتنوح طفلها، والطبيب يربت على كتفها لتهدئتها.
كان المشهد مدعاةً للرعب، مشهد يعرفه مارك ويميزه، أنه المشهد حيث عليه إمساك قلبه منعًا لسقوطه.
أسرع نحوها يحتضنها، سائلًا إياها عما حدث؟ حدجته غاضبة، تصرخ في وجهه، قبل أن تدفعه بعيدًا عنها:
-''أنت السبب. أنت من قتله''.
-''ماذا تقصدين يا جين؟''
-''بيلي الصغير مات، يا مارك. حاولت الإتصال بك عدة مرات، لكنك كالعادة لا تهتم بأمري. ارتفعت حرارته على

نحوٍ مفاجئ، قمت بإعطائه خافضًا، ووضعت الكمادات على رأسه لكن دون جدوى. حين جئت به للمشفى، أخبرني الطبيب بأن حالته سيئة، وها نحن الآن قد فقدناه فلتسعد بثروتك الآن". ثم صمتت برهة وبعينيها نظرة يملئها الذهول، تشير بأصبعها نحوه:
-"لا، بل أنا من فقدته. فأنت فقدتنا منذ انغمست في عملك ذاك".
-"ألم أعمل من أجلكم؟، ألم ترغبي بمنزل كبير ومدرسة أفضل لبيل!. الآن أنا فقط المخطئ في هذا كله؟!".
صاحت به بحنق:
-"أنت، نعم أنت لم تكن هنا حين احتاجك طفلك. ما الفائدة المرجوة مما تفعله أن كنت في النهاية، لا تتواجد حين نحتاج إليك".
مسح بيده على وجهه، وكأن ما يمر به الآن ليس إلا كابوسًا، سيفيق منه. لكن الكابوس أخذ يكبر، كالحفرة. فلا هو ينتهي، ولا هو يفيق منه. ترددت صرخة عميقة بداخله، تتمنى لو أن باستطاعة طفله العودة مرة أخرى للحياة. حينها فقط راودته فكرة مجنونة أعادت إليه الأمل من جديد. اقترب من زوجته المنهارة، أمسك بيديها، طالبًا منها انتظاره مرددًا:
-"لا تقلقي جين، سأصلح كل شيء. بيل سيعود معنا الليلة للمنزل".
ثم تركها، وهي تتحسر على عقل زوجها الذي فقده إثر الصدمة.
عاد مارك بعدها إلى ذلك الزقاق، يسابقه الأمل، في إيجاد ريجينسي، لكنه لم يعثر على أحد من جديد أخذ يبحث في الأزقة المجاورة، علها قد غيرت مكان إقامتها، لكن بلا جدوى.

حتى عثر في طريقه، على فتاة تشبه إلى حد كبير مولي، لكن بملابس تختلف عن سابقتها. ناداها ''هاي أيتها الفتاة''.
نظرت نحوه تتأمل الداعي، الذي بدا لها بادئ الأمر غير معروف. وما أن تبدت له ملامح النسيان على وجهها، أكمل محاولًا تذكيرها به:
-''أنا مارك، الطبيب مارك. أتذكريني؟! أنا من عالج العجوز في الزقاق تلك الليلة''.
-''أه، صاحب الأمنية الأولى''. هكذا أجابته وقد تذكرته.
-''حمدًا لله، نعم. أرجوكِ أنا بحاجة للتحدث إلى ريجينسي''.
-''لم تعد ريجينسي بعدّ للمنزل، يمكنك العودة غدًا''.
-''أرجوكِ، أنا بحاجة إليها الأن. لا أستطيع الانتظار للغد''. قال متوسلًا.
رفعت كتفاها، وأحنت رأسها جانبًا:
-''لا أستطيع فعل شيء لأجلك، لذا يمكنك انتظارها هنا حتى تعود''.
أغمض عينيه يائسًا، وتنهد بعمق، وهو يصلي من داخله بأن تعود بسرعة. ثم ارتقى سيارته، وابتعد عنها يجوب الشوارع بحثًا، كي لا يضيع المزيد من الوقت. حتى رآها هناك، تنتظر عند محطة الباصات. أوقف سيارته، وأسرع إليها يناديها، أشارت إليه ما أن رأته، ودعته للانضمام إليها على المقعد حيث تنتظر باصها للعودة للمنزل.
-''أرجوك ساعديني، أحتاج إلى أمنية واحدة بعدّ''.
-''آسفه عزيزي، لكن ليس باستطاعتي منحك أكثر من أمنية''.
-''أرجوكِ، لقد فقدت طفلي، كل هذا بسببي. أريد فقط أن أتمنى عودته للحياة مرة أخرى، سأقاضي هذه الأمنية بكل ما أملك''.
-''آسفة، ليس بيدي ما يمكنني فعله لأجلك''.

-"أرجوكِ، ابحثي بداخلك عن بعض الرأفة، إن والدته تكاد تموت كمدًا عليه". قال وقد عجز عن منع عبراته من الانفراط كحبات العقد الذي انقطع خيطه. مسدت يده بحنو:
-"آسفه، هذا هو قدره. وأنت من لم يستطع الاعتناء بأمنيته".
نفض يده عنها غاضبًا:
-"أليس لديكِ بعض الرحمة؟!"
تقدمت نحوه، حتى أصبح رأسه مقاربًا لرأسها، تهمس:
-"ربما لو كنت تملك بعضها، لساعدت الرجل بالمطعم".
-"تعرفين ما حدث؟" مشدوهًا.
-"أنا لا أمنح الأمنيات فقط عزيزي مارك. ولكني أعرف أيضًا ما يفعل بها أصحابها".
حط بجسده المثقل على المقعد، حيث الانتظار فقط، هو رفيق الليل الطويل. واضعًا رأسه بين كفيه، متحسرًا.
-"لقد وصل الباص. وداعًا مارك". لوحت له قبل أن تطئ قدمها داخله.

* * * *

"..... ولقد أعلنت الشرطة أن الطبيب قد لاقى حتفه، بعد عدة محاولات لثنيه عن القفز. كما صرح أحد أفراد الشرطة، ، بأنهم رغم محاولاتهم تلك قد فشلوا في أقناعه عن العدول عن الأمر، فعلى ما يبدو، كان الطبيب يعاني من مشاكل شخصية جعلت من الصعب إقناعة بالامتثال لهم بسهولة. وقد تناهى إلى مسامعنا، أن خبر وفاة ولد الطبيب الوحيد، قد يكون السبب الحقيقي وراء قيامه بالانتحار. حيث أقدم على تناول جرعات هائلة من النبيذ المسكر، قبل أن ي□ لقي بنفسه من أعلى المبنى الذي تقع فيه عيادته الخاصة. كانت معكم .....".
ضغطت زر الريموت كنترول، لتطفئ التلفاز، الذي أعلن حداده الأسود على الفور.

الفصل الثاني

الحب قدر.. والزواج اختيار

(1)

كانتا تتحدثان عن العمل، حين ألهمتها زميلةً لها الصواب. أخبرتها بأن الوقت قد حان لتطالب فيه ذاك المدير الجشع براتب، خاصةً وأنها قد بدأت في إتقان عملها بشكلٍ جيد. موضحه بأن لا أحدً يمكنه العمل دون مقابل لبقية حياته، حتى لو كان المقابل طعامًا فقط. ''لأي أنسان التزامات'' أخرى، أليس كذلك؟'' قالت متذمرة. أنصاف الشجعان يمكنهم النجاة أحيانًا. فكرت ريجينسي في الاستفادة من تلك العلاقة الفرضية بين الشجاعة والوصول للهدف، حين تقدمت نحو مديرها تطالبه بمنحها ومولي مقابلًا ماديًا لقاء عملهما.

-''لكن عزيزتي، أنت تعملين هنا بناءً على إتفاقٍ مسبق على هذا''. ثم أقترب منها هامسًا: ''كما أني أعلم باتخاذكما حمام المطعم مكانًا للاستحمام''. وأكمل معترضًا: ''وهذا غير مقبول''.

-''كان علينا تنظيف أنفسنا قبل حضور الزبائن''. ثم أمسكت بذراعه معقبة: ''سيدي، أن كنت لا تعلم فنحن نبيت بالشارع. ولن أستمر في العمل هنا إن لم تدفع لي راتبًا كالبقية''.

نظر إليها –كأنما يراها للمرة الأولى- وقد أثارت –ربما- إعجابه:

-''لقد زدتي قوة يا فتاة سأتحدث مع صاحب المطعم بهذا الشأن الليلة، يمكنك الآن العودة لعملكِ''.

تلك الليلة، وبعد انتهائهما من عملهما، عادتا إلى الزقاق حيث يقطنان، ارتمت مولي على قطعة الأسفنج البالية، التي وجدتاها بجانب مكب القمامة منذ أيام. بينما قربت ريجينسي

الطعام للعجوز، التي كانت تغط في نومٍ عميق على ما يبدو، وقد غطت جسدها بالكامل بخرقها، كما اعتادت.
كادت توقظها لولا أن صاحت بها مولي ألا تزعجها، لكنها كانت على علم بانتظار الأخيرة لها، وللطعام الذي تجلبه معها كل ليلة، فما كان منها إلا تجاهل صيحات الأخرى لتطالب العجوز بهدوء أن تستيقظ.
لكن المرأة لم تُجب، لم تتحرك، ولم تأمرها حتى بتركها وشأنها. مما أشعرها ببعض القلق، خاصةً بعد تلك الوعكة التي أصابتها. أشارت لها مولي بأن سمعها قد يكون ضعيفًا، بحكم السن، أو ربما تعمقها الشديد في النوم. مما أراحها لدقائق كون التفسير بدا لها في حدود المعقول. فآثرت هذه المرة أن تهزها بدرجة تسمح لها بالاستيقاظ، لكن المرأة ظلت كالصنم لا يحركها إلا هزات ريجينسي.
حركت الخرقة عنها قليلًا، تمسك بمعصمها بحثًا عن نبض، يبدد شكوكها. إلا أن نبضها الخائف كان الأكثر ظهورًا في تلك الحفلة، مما دفعها لإبعاد الخرقة عنها بسرعة، لتضع رأسها على صدر المرأة، الذي صرخ معلنًا توقفه.
-"لقد ماتت المرأة". قالت مولي بفمٍ فاغر.
أومأت ريجينسي برأسها في آسى، وقد أيقنت في نفسها، بأن هذا المكان لم يعد صالحًا للبقاء فيه، وإلا انتهى أمرهما. "ربما علينا الآن البحث عن مكانٍ أكثر آدمية". فكرت.

* * * *

-"صباحٌ مشرق، أليس كذلك؟". بادرتها وهي تصب القهوة بفنجانها.
-"أه يا إلهي، فتاة النقانق". همست لنفسها.
تأملتها قليلًا قبل أن تُكمل:

-"يا لها من مصادفة!، لم تسنح لي الفرصة ذلك اليوم لشكرك، فقد غادرتِ مسرعة . شكرًا لكِ على أي حال، اسمحي لي بأن أقدم لكِ فطور اليوم على حسابي".
ضحكت الفتاة برقة، تمد يدها لتقدم نفسها:
-"هذا لطفٍ منك. كاثرين، ناديني كاثرين أو كايث".
-"مرحبًا كاثرين، أنا ريجينسي وصديقتي الأخرى تدعى مولي. حسنًا، أخبريني بما ترغبين في تناوله اليوم؟"
حركت عينيها بشكل دائري، تفكر:
-"حسنًا، سأكتفي اليوم بالبيض الأومليت والخبز المحمص".
دونت ريجينسي طلبها، ثم أتجهت نحو المطبخ في عجل لتحضير الطلبات.
عادت الفتاة لقراءة صحيفتها، وشرب قهوتها بينما كانت الأخرى تخبر مولي عن وجودها بالخارج. اقتربت مولي من نافذة باب المطبخ، تجول بعينيها الطاولات بحثًا عنها:
-"أوه، نعم أنها هي بلا شك". بلا مبالاة.
عادت ريجينسي بطعام الفطور، بعد أن أضافت له بعض النقانق، ثم أعادت ملئ فنجانها بالقهوة.
-"أرى أنكما قد حصلتما على وظيفة. كيف أبليتم إذًا؟"
-"نحن بخير على نحوٍ ما. لكننا ما زلنا نبحث عن مكان للعيش فيه، فالإيجارات هنا غالية بعض الشيء".
-"صحيح. ربما بإمكانكما المجيء والسكن معي. فزميلتي بالسكن ستغادر إلى تكساس مع صديقها، لذا أبحث حاليًا عن زميلة سكن أخرى".
-"أنه أمرٌ جيد. ولا مانع لدي إذًا".
-"يمكنكما نقل أشيائكما في الغد لو أردتم، فهي ستسافر الليلة".
-"لا بأس، لا نملك الكثير لإحضاره على أي حال. سنأتي في

الغد".
-"آه، ولا تقلقي بشأن سعر الإيجار لن أخذ منكما الكثير".
شكرتها ريجينسي بامتنان بينما الأخرى منكبة تدون لها عنوان الشقة، على أحد أطراف جريدتها، قبل أن تمزقها وتعطيها إياها تمنت لها صباحًا رائعًا، ثم عادت لتكمل عملها متفائلة.

* * * *

كانت الأمور تسير بسرعة على نحوٍ جيد، مما دفعها للشعور بقليل من الراحة لم تصدق مولي ما آلت إليه الأمور، فاليوم يتمتعان بليلتهما الأولى –فعليًا- بالنوم على سرير محاط بجدران منزل، هذه المرة. كما أن مديرهما قد وضع لهما مبلغًا مناسبًا، يعتاشان منه.
تلمست مولي مرتبة السرير، وعانقت حشوة اللحاف، كما فعلت ريجينسي بالوسادة، في سعادة. لكن لون الفرح بهت قليلًا حالما تذكرت والدها، تشتاقه كثيرًا، تذكرت صرة والدها، في حال رغبت بالعودة، ما عليها إلا استخدام ما فيها، لكن لا عودة عما تنوي فعله حتى تنجح به يكفيها محاربتها لتلك الفكرة الانهزامية كلما رأت الصرّة، قرار العودة صعب، والإقرار بالهزيمة أصعب.
طرقت كاثرين بضع طرقاتٍ، قبل أن تشاركهما الغرفة.
-"أردت التأكد من أنكما تشعران بالراحة. هل أنتما في حاجة لشيء؟". سألت بود.
ابتسمت ريجينسي بامتنان، شاكرة لها اهتمامها. في حين كانت مولي تغط في نومٍ بدا لها أبديًا.
-"أرى أن صديقتك قد غطت في النوم. ما رأيك بشرب فنجانٍ من القهوة، يمكننا التحدث قليلًا، إن لم يكن لديكِ رغبة بالنوم طبعًا".

-"بالطبع، ليس لدي مانع".
وضعت ريجينسي الغطاء على جسد المولي، قبل أن تلحق بكاثرين إلى المطبخ. كانت تُعد القهوة، حين تقدمت نحوهاعلى استحياء، تحاول فتح موضوع للحديث. وقبل أن تنطق وجدت كاثرين تسألها عن كمية السكر التي ترغب بها، ابتسمت بخجل وهي تجيبها "ملعقتين". كادت كاثرين تنتهي من صب القهوة، حين فضلت ريجينسي الجلوس قليلًا، مع شعورها ببعض الفتور. شاركتها كاثرين المنضدة، وهي تقدم لها كوب القهوة.
-"إذًا، ما هو عملك؟"
-"أعمل بوكالة خاصة بالنشر".
لم تعي ريجينسي حقيقة العمل بوكالة نشر، وعلى ما يبدو أن كاثرين قد فطنت لذلك. بدأت تشرح لها طبيعة عملها بشكل مبسط، وكيف أن الوكالة مختصة بنشر الكتب، فيما أن دورها يقتصر على قراءة المخطوطات واختيار أفضلها لتقوم بعدها بتحريرها، ليقوم بعد ذلك المختص بإرسالها إلى دار النشر للموافقة على طباعتها، لتصدر بعدها كما ترى كتابًا يباع بالمكتبات.
هللت ريجينسي كالطفلة فرحًا:
-"أنا أحب القراءة".
ابتسمت كاثرين لرؤيتها على تلك الحالة:
-"حسنًا، لمن من الكتاب قد قرأتي من قبل؟"
-"آه الكثيرين، مارتي بوث، يانكي لوثر و...". وقبل أن تكمل لاحظت أن كاثرين لم تتعرف على أيٍ منهم. لتتذكر حينها أنهم كتاب مملكتها، أي أنها لن تعرف عنهم شيء فعقبت بهدوء: "إنهم كتاب مغمورين".

أومأت كاثرين برأسها تفهمًا، وقبل أن تنتهيا من شرب قهوتهما، طلبت منها أن ترافقها، لتُريها مكتبتها الخاصة.
فغرت ريجينسي عينيها حالما رأت ذلك الكم من الكتب.
ودت لو أن باستطاعتها الإبحار بهم إلى مكانٍ معزول، لتعيش هناك في عوالمهم. تلمست أغلفة أحد الكتب قبل أن تتراجع خوفًا من أن تنزعج كاثرين.
لكنها وجدت الأخرى تشجعها على فعل ذلك، بل وسمحت لها بأخذ ما ترغب منها لقراءته.
اختارت ريجنسي على إثر ذلك كتابًا، كان قد رسم على غلافة المقوى، امرأة تحمل حذائها ذا الكعب العالي خلفها. فتحته برفق، لتقرأ بعضًا من سطوره، حين لاحظت أنه مصنوع من الورق العادي. تذكرت مكتبتها وما حوته من كتب كتبت على جلود الحيوانات. بدت لها فكرة الأوراق أجمل وأكثر أناقة. "لكن عمرها الافتراضي قصير". فكرت.حملت الكتاب بلطف، وأتخذت مجلسًا.
تمعنت في القراءة لدرجة لم تلاحظ معها تثائب كاثرين، تعلن عن حلول وقت نومها. داهمها الخجل حين انتبهت لذلك، فسألتها إن كان باستطاعتها الاحتفاظ به حتى تنتهي منه، فأشارت لها إيجابًا.

* * * *

في اليوم التالي، وأثناء تناولهما العشاء معًا، سألتهم كاثرين عن اسم المدينة التي ينحدران منها. تبادلتا النظرات في البداية، قبل أن تخبرها ريجينسي بأن مدينتهم نائية وغير معروفة.
تابعت كاثرين طعامها، قبل أن تعاود سؤالهما مرة أخرى:
-"عن أي مدينة تتحدثان؟ أنا أعرف الكثير منها".
وقبل أن تنطق ريجينسي بكلمة، انطلقت مولي كالبلهاء تقول:

-"من لويزيانا".
حدجتها ريجينسي مستاءة، في حين رفعت مولي يديها في تعجب، وكأنها لم تخطأ: "ماذا؟"
-" نعم، لويزيانا أنا أعرف أحد الكتاب الشباب هناك. المسكين، رُفضت جميع أعماله للأسف، لقد كان محبطًا وقتما التقيته".
ثم حركت شوكتها في المعكرونة، كأن ذكرى ما قد داهمتها.
تركت ريجينسي صحنها نصف ممتلئ، واستأذنتها في العودة لغرفتها، ثم أشارت لمولي أن تلحق بها. فملئت الأخيرة فمها عن أخره ببقايا صحنها، ثم لحقت بها مسرعة. وما كادت تغلق الباب خلفها، حتى همست لها بصوتٍ خافت أن مارك كان يبحث عنها، وأنه كان مضطربًا وحزينًا على ما يبدو. أخبرتها بذلك اللقاء الذي جمعهما عند محطة الباص، وما كانت نتائجه في حزن.
-"يا إلهي!، هل يعني ذلك بأنك قد فشلت في أول محاولة؟ لا أدري، ربما عليك التراجع عن.....".
قاطعتها متفهمة قلقها ذاك:
-"لا يمكنني ذلك. عليّ أن أحاول، لن أقبل بأول خسارة أتعرض لها لا بد أن يأتي الوقت الذي سأكمل فيه المهمة بنجاح".
-"لا أرغب في إحباطك، لكني لا أثق بنجاحنا في هذه المهمة الصعبة".
-"ولا أنا". همست لنفسها. "نامي الآن يا مولي، لكن قبلًا أخبريني من أين أتيت بأسم لويزيانا؟"
-"سمعت أحدهم بالمطعم يتحدث مع آخر عن هذه الولاية".
-"يا لكِ من داهية!".
ضحكت مولي بفخر، ثم استلقت على السرير، لتغط في النوم

مباشرةً، بينما عجزت ريجينسي عن إغلاق عينيها. ربما يمكن لها أن ترتاح بالغد بعد أن أُعطيت ذلك اليوم كإجازة عمل، فكرت.
-"كُلاً له يومه الخاص" هكذا أجابها المدير ببرود، حين سألته أن يجعل يوم إجازتها ومولي واحدًا.
لم يمثل الأمر لريجينسي مشكلة، إلا أن إصرار مولي على قضاء يومها معها، هو ما دفعها للسؤال. وها هي الآن ستقضي يومها بالشقة، كما كانت تقضية بالزقاق، وحيدة لا تفعل بيومها شيء غير الجلوس والتفكير في أمرها.
في اليوم التالي، لحسن الحظ كانت كاثرين قد حصلت على إجازة أيضًا، رغبةً منها في الاختلاء بنفسها قليلًا -على حد قولها- كانت تأمل ببعض الاستجمام على الأرجح. لكن وجود ريجينسي لوهلة جعلها تفكر في أن استجمامها سيفسد. كونها تفضل الانعزال عن العالم يوم إجازتها. بادرتها ريجينسي بسؤالها عن سبب عدم ذهابها للعمل، لتجيبها باقتضاب: "استجمام".
-"ما هو الاستجمام؟" سألتها تستفسر، وهما يتناولان طعام الفطور الذي أعدته.
-"ممم، ربما عليكِ تجربته لتعرفي ما هو؟" ثم تناولت جريدتها من على الطاولة، وبدأت في قراءتها.
صمتت ريجينسي ولم تُعد السؤال، بعدما شعرت بتضايق كاثرين. فضلت إكمال فطورها، لعلها تحظى ببعض الوقت للتنزة بعد ذلك.
-"أشعر أحيانًا بأنك من عالمٍ آخر " قالت بنصف ابتسامة، ثم عادت تكمل قراءة جريدتها.
ازدردت ريجينسي ريقها، وأبدت لا مبالاة لتلك الإشارة

الغامضة، وكأن تلك الكلمات لا تمت لواقعها بصلة.
أنهت طعامها، ونظفت المكان قبل أن تسرع لارتداء ملابسها، استعدادًا لنزهة لا تعرف وجهتها.
هزت كاثرين رأسها ما أن رأتها في تعاطف: "يا إلهي! أنت بالفعل تحتاجين لملابس حقيقية".
تركت جريدتها جانبًا، ثم شرعت ترتدي ملابسها لترافقها لإحدى محلات الملابس، الذى اعتادت شراء ملابسها البائسة منه، على حد قولها، بعد أن اقنعتها بضرورة ذلك. كان اختيار ريجينسي لملابس أكبر من حجمها مدعاة للأشمئزاز، حيث شكل ترهل الملابس منظرًا قبيحًا، رغم جمالها. إلا أن رغبتها في إخفاء جناحيها، كان سببًا رئيسيًا في اختيارها لهذا النوع من الملابس، - والذي كانت تجهله كاثرين بالطبع -.
حتى عندما حاولت فعل ذات الشيء بالمحل، عارضتها كاثرين وهي تصر على أن تقوم بتجربة الملابس التي أختارتها لها.
ربما قطعة تظهر فيها صدرها، ذراعيها أو ظهرها ستكون جميلة، لكنها لن تساعدها على إخفاء جناحيها. ظلت ترتدي معطفها الطويل كلما جربت إحدى القطع، التي تجلبها الأخرى.
جاهدتها كاثرين على خلعه، كونه قبيحًا. إلا أن ريجينسي تمسكت به، مفسرةً فعلها بكون المعطف ذكرى من والدتها المتوفاة، ويعد خلعه انسلاخًا من ذكراها. لم تقتنع كاثرين بذلك، لكنها استسلمت على مضض لذلك، وطالبتها بتجربة باقي القطع حتى تأتيها بأخرى.
دقائق حتى عادت تسألها أن كانت قد انتهت، لتجيبها أن تصبر قليلًا، موضحة بأنها قد شارفت على الانتهاء.
-"حسنًا، أريني ما عندك؟" لفظتها كاثرين وهي تسرع بفتح ستارة حجرة قياس الملابس.

لترى ما لم يكن لها أن تراه، أسقطت ما تحمله من ملابس مذعورة، قبل أن تصرخ، وتقع مغشيًا عليها.

* * * *

(2)

لعقت ما تبقى في ملعقتها من أيس كريم، وهي تحدجها بنظرة اندهاش ملؤها الريبة. فبعد الذي حدث منذ ساعات، كان على ريجينسي إيضاح كل شيءٍ لها. ظلت كاثرين ما يقارب النصف ساعة، فاغرة العين، لا تنبس ببنت شفة، غير مصدقة لما تسمع. وكأن شخصًا ما يقص لها ما يفكر في كتابته، في روايته القادمة.

-''يمكنك اعتبارها قصة من تلك القصص التي تقرأينها''.

-''عزيزتي، هذا أقل ما يمكن فعله''. ردت في حيرة.

حدقتا بالمكان أمامهما، حيث يركض الأطفال في كل مكان يلعبون، بالحديقة الصغيرة. جلستا صامتتين لبعض الوقت، حتى قاطعت كاثرين ذلك الصمت بسؤالها عما تنوي فعله؟ لتجيبها بشيءٍ من الإحباط:

-''ما عليّ فعله؟ تحقيق الأمنيات، حتى أنجح فيما وُكلتُ به''.

-''لا أصدق أن ذلك الطبيب، كان أحد الممنوحين لهذه الأمنيات. لقد كانت سمعته الجيدة تجوب أرجاء المدينة.. مسكين، قتلته أمنية''. قالتها بنبرة لم تخلُ من الشفقة.

-''بل هو من قتل نفسه، عاجلًا أم آجلًا كان الأمر سيصل به إلى تلك المرحلة. إلا أن أمنيته قد عجلت بذلك''.

هزت رأسها:

-''أتفق معكِ، ربما عليكِ الآن البحث عن شخصٍ جديد لمنحه أمنية جديدة''.

-''نعم، على ما يبدو عليّ فعل ذلك، للأسف''.

طمأنتها كاثرين، بأن البائسين هنا، ممن يحتاجون الأماني كُثر.

موضحة بأن إيجاد شخص في حاجة لأمنية، لن يكون بالأمر الصعب. ثم عادتا إلى تناول الأيس كريم، الذي بدأ يصبح رخوًا. ''إن اليوم قد قارب على الانتهاء، دون استجمام''. فكرت.
ثم عادت تنظر لريجينسي مبتسمة، وقد داهمها شعورٌ قوي، بأنهما ستصبحان صديقتين مقربتين بالفعل.
قاطعت تفكيرها تسألها بخجل:
-''هل ستخبرين أحدًا؟''
-''بالطبع لا، أين سأجد معتوهًا غيري ليصدق ما تقولين؟''
عادت تنظر لساعتها، وقد أدركت تأخر الوقت. قذفت بعلبة الآيس كريم في صندوق القمامة بحرفية، لتسقط العلبة في المنتصف. حاولت ريجينسي تقليدها، لكنها فشلت في ذلك، فأسرعت في حرج تلتقط العلبة لتعيد وضعها بالصندوق. حملت كاثرين بعض حقائب التسوق، كما فعلت الأخرى، بعد أن قررتا العودة للمنزل.
تقدمتها ريجينسي، وتبعتها كاثرين التي توقفت على حين غرة، حين تهادى إلى مسامعها صوت شجارٍ قادم من الجهة الأخرى المقابلة لهما.
التفتت خلفها، لتجد شابًا يتشاجر مع فتاة –على ما يبدو حبيبته- بصوتٍ مسموع. انتهى الأمر بانخراط الفتاة في البكاء، بيدّ أنه تركها هكذا دون اكتراث. نادت ريجينسي تستوقفها، ثم أسرعت نحو الفتاة لتطمئن عليها. تبعتها ريجينسي بحذر، لا تعيّ ماهية الموضوع.
-''الوغد، تركني قبل موعد زفافنا بأسبوع. يقول أن علاقتنا قد فقدت بريقها. الآن فقط قرر ذلك، بعدما قمنا بترتيبات العرس وحجز القاعة. القاعة، في البلازا، هل تعلمين مدى

صعوبة الحجز هناك؟ لقد أرسلنا الدعوات للجميع. لم يبد عليه الاعتراض ونحن نقوم بكل تلك الأمور".
ثم عادت تجهش في بكاءٍ يصاحبه نشيج عالٍ. أعطتها كاثرين كل ما كان بحوزتها من مناديل، لتمسح ذلك الوجه الملطخ بالكحل، كخريطة قد سكب الحبر فوقها.
-"لكني أحبه، لقد بنيت معه أحلامي، المنزل، الأطفال والعائلة. كيف استطاع هدم هذا كله. أنا على يقين من حبه لي، نعم.. ربما هو يشعر بالخوف من الارتباط الجاد، نعم.. لعل هذا هو السبب الحقيقي وراء تغيره".
-"ربما كان من الأفضل لكِ تركه. أنه لا يستحقك على الأرجح". قالت ريجينسي.
توقفت الفتاة فجأة عن البكاء، حين سمعت ما نطقت به. تحدجها بنظرة ملؤها الدهشة. استحالت لحظة، جمعت فيها الفتاة شتاتها، وبدت فيها أكثر قوة. لكن بريق الخاتم بإصبعها، جعلها تعود للبكاء:
-"أتمنى لو يرجع في قراره".
أضاءت كاثرين بضوءٍ كأنما يسقط من السماء، تشير إلى الفتاة الباكية، وكأنها تدفع ريجينسي سرًا لمساعدتها. لتجيبها الأخرى ب "لا".
استأذنت كاثرين الفتاة، وجذبت الأخرى بعيدًا:
-"هيا يا ريجينسي، الفتاة بحاجة إليكِ. ألا ترين قلبها المكسور".
-"لا أستطيع فعل ذلك. فأنا لا أثق بها، قد تشي بي لأحدهم".
-"هيا، إلى من ستفعل ذلك؟ وحتى أن فعلت فلن يصدقها أحد. سيعتقدون أن الانفصال قد أثر على سلامة عقلها. كما أننا التقينا بها في الحديقة، فلا نحن نعرفها ولا هي تعرفنا، فكيف ستعلم أين نقطن أو من نحن؟".

صمتت ريجينسي عن غير رضا، حين عقبت كاثرين:
-''هيا فلتمنحيها الأمنية الثانية''.
-''حسنًا، حسنًا. لكن كيف سأستطيع فعل ذلك؟''
-''لا بأس، دعي الأمر لي''.
وقفت ريجينسي بعيدًا، تشاهد كاثرين تتحدث للفتاة، التي ما فتأت تعاود النظر إليها كلما سنحت الفرصة.
تغيرت ملامح وجهها فجأة، واستحالت إلى سعادة، ففطنت لتمام الأمر. أشارت لها كاثرين بعد ذلك، فتقدمت منهما والفتاة ما زالت تحملق بها ترجوها:
-''هل يمكنكِ حقًا فعل ذلك؟''
-''نعم''. أجابتها وهي تخرج عصًا صغيرة.
ألجمت الدهشة، فم الفتاة. وما فتأت تشعر بحماسٍ شديد:
-''هيا، هيا، هيا.. حققي لي أمنيتي''.
-''أسمعيني جيدًا، يجب عليكِ التفكير مليًا فيما ستتمنينه. فعاقبة التمني تتحملينها وحدكِ، فهمتي؟''.
صمتت الفتاة وكأنها تنصت، بينما عقلها مشتت كالمسحور، مما جعل الكلمات تجد طريقًا آخر للخروج، غير الطريق لعقلها.
-''حسنًا، هل يمكنني التمني الآن؟'' قاطعتها بحماس.
-''يمكنك الآن تمني ما تريدين''.
أغمضت الفتاة عينيها تتمنى، كطفلة ترسل إلى سانت كلوز أمنيتها –في العيد- في الحصول على دمية باربي التي لطالما تمنتها:
-''أتمنى أن يرجع فريدريك عن قراره بعدم الزواج بي''.
-''لكي ما تمنيتي''.

"الأمنية الثانية"

بعد بضعة ساعاتٍ من الانفصال، جاء ميج إتصال، يطلبون منها سرعة التوجه إلى المشفى. فهرعت إلى هناك، تغالب دموعها، قلقة من أن يصيب فريدريك مكروه. التقت هناك بالطبيب المعالج، والذي شرح لها ما أصيب به فريدريك، من فقدان مؤقت للذاكرة. أخبرها في حزن، بأنه لن يستطيع تذكر أيًا من أحداث الأيام الماضية، موصيًا إياها بالحذر في التعامل معه.

ترددت ميج قليلًا قبل أن تسأله، عن إمكانية استرداده لذاكرته من جديد، لكن الطبيب لم يعطها إجابة موثوقة، فقط أخبرها بأنه من الجائز حدوث ذلك. ففقدان الذاكرة لدى فريدريك قصير، وربما كان بإمكانه استعادتها، أن هويئ له الجو المناسب لذلك. موضحًا بأن الأمر ليس خطيرًا لتلك الدرجة، لكنه بحاجة للمراقبة المستمرة حتى لا تزداد الحالة سوءً.

كما ذكر لها أيضًا، إصابته بكسر في الساق، يحتم عليه أخذ قسط من الراحة، وبعض السحجات الطفيفة.

سألته ميج في حزن، أن كان بمقدورها رؤيته. هز الطبيب رأسه إيجابًا، مشيرًا لإحدى الممرضات لترافقها إلى حيث غرفته.

سارت خلف الممرضة كالمنومة مغناطيسيًا، تفكر فيما عليها فعله، وهى تحمد الله أن أعطاها فرصة ثانية لإصلاح ما كُسر. توقفت الممرضة، فتحت باب غرفته، وأخبرتها بأنها ستعود بعد دقائق. كان فريدريك وقتها منومًا على سريره، وقد جُبست ساقة.

اقتربت قليلًا، تتأمله، لكنها لم تستطع إلا احتضانه بقوة، جعلته يفيق من غفوته متؤهًا.
قاطعتهما الممرضة وبيدها بعض حبات الدواء، تطلب منها بلطف أن تتركه لينال قسطًا من الراحة فما زال الرجل يعاني من أثار الحادث. تفهمت ميج ذلك، وتركت الغرفة بينما عينيّ فريدريك معلقتان بها في تساؤل.
عندما عادت ميج للمنزل، جلست على الأريكة، تضم ساقيها إلى صدرها، غير مصدقة. قاطع صمتها دوي صرخة سعادة، استدركتها لاحقًا بشعور صغير بالذنب. تذكرت وقتها، بأن عليها إخبار عائلة فريدريك بما حدث، فما كان منها إلا أن استجمعت قواها، ومنحت صوتها نبرة من الحزن قبل أن تمسك سماعة الهاتف للإتصال بهم.
أجابتها والدته تسألها أن كانت قد انتهت من تحضيرات الزفاف.
يبدو أن فريدريك لم يعلن الأمر بعد، مما جعلها تطمئن لنجاح خطتها.
وبنبرة الحزن المصطنعة، أخبرتها بما حدث لولدها، وبأن الطبيب قد طمأنها على صحته. مؤكدة على ضرورة الحرص على عدم تذكيره بمجريات ما حدث في الأيام الماضية، حتى لا يحدث له نوع من الصدمة. فزعت الأم لذلك، وانخرطت في بكاءٍ مرير. أرادت المرأة الإسراع لزيارته، حاولت ميج الحط من عزيمتها تخبرها بأن الزيارة ممنوعة، لكنها أصرت.
لم تحاول ميج إعطاء الأمر أكثر من حقه، ولم ترغب –أو بالأصح لم يكن بمقدورها- بمنعها. فأكملت مواساتها، وهي تعدها بلقائها غدًا صباحًا بالمستشفى، ثم انتهت المكالمة.
تأملت خاتم الخطبة مرة أخرى قبل أن تقبله، وقد ارتسمت

على شفاهها ابتسامة عريضة لا تخلو من الخبث المبرر:
-"لا أصدق، ستجري الأمور على ما يرام وسأصبح زوجة فريدريك".

* * * *

-" يمكنك الآن تقبيل العروس".
هكذا أنهى الكاهن مراسم الزفاف، لينتقل بعدها العروسان إلى حفل الاستقبال المعُد. حيث الطعام الشهي، والهدايا المقدمة للعروسان من أصدقائهما وأصدقاء عائلتيهما، تملئ الطاولات.
اقتطع العروسان قالب الكيك، بين تمنيات الجميع لهم بالسعادة.
احتضنت فريدريك يومها، وهو يراقصها، كأنها تخاف ضياعه أو اختفائه مرة أخرى من حياتها. بعد انتهاء الحفل، ارتقى العروسان سيارتهما إلى المطار، ليبدءا بذلك رحلة شهر العسل إلى هاواي.
غفت ميج، على كتف فريدريك، وذراعها يعانق ذراعه بحب.
لم تمض دقائق -كما اعتقدت- حتى استيقظت فزعة على أصواتٍ تصيح ذعرًا، وحركة أقدام تغدوا ذهابًا وإيابًا في ممرات الطائرة بتوتر، تحاول تهدئة الركاب الثائرين.
نظرت لفريدريك يعتليها الخوف، تسأله عما يحدث؟ ليخبرها بأن الطائرة تعاني من عطلٍ ما، وقد لا يستطيع الكابتن الوصول بهم إلى أقرب مطار، سالمين.
خوفها لم يساعدها على فهم كلماته، وكأنه يتحدث بلغةٍ لا تميزها. فعادت تسأله عما يعنيه ذلك؟ فأجابها بأن الطائرة ستسقط بهم، ليموتوا جميعًا.
"إنها النهاية" قال معلقًا على ما يحدث. أصابها الهلع، بدأت في صراخ بدا بلا نهاية، وهي تشد على ذراع فريدريك بقوة.
ازداد اضطراب الطائرة، حتى بدت وكأنها في أحد صواريخ

الألعاب بالملاهي، تتمايل بهم يمينًا ويسارًا بدون وِجهة. قاطع المشهد، صوت كابتن الطائرة يدعو الجميع التزام الهدوء، وارتداء أطواق السباحة الموضوعة بأسفل كل كرسي.
تمهيدًا لفتح باب الطائرة، حتى ينجو الجميع بحياتهم، سقوطًا في البحر.
مد الجميع يده في ذعر بحثًا عن الأطواق، ليتاح لكل منهم بعدها مساعدة عائلته وأطفاله على ارتدائه. أمسك فريدريك بكيس الطوق يشقه، في حين ظلت ميج، تبحث عن طوقها الخاص دون جدوى.
حتى فقدت الأمل في إيجاده، مما دفعها لسؤال فريديريك مساعدتها. حاول الأخر تهدئتها، لكن صراخها ازداد ليستحيل هستيريًا. حاول طلب مساعدة المضيفة، لكن الجميع كان قد انشغل بنفسه.
فجأة فُتح باب الطائرة، وبدأ الجميع يتدافعون نحوه، ليسقط الواحد منهم تلو الأخر. قد تمطر السماء أسماكًا، لكنها لا تمطر بالبشر. بدأ فريدريك بالتحرك، وهي تجذبه نحوها، تطالبه بمساعدة زوجته.. حبيبته.
نزع يدها عنه بقوة:
-"آسف ميج، وددت لو أستطيع مساعدتك. لكن كما ترين لن يسعنا طوقٌ واحد، فإما أنا أو أنتِ، ولقد اختارني القدر لأنجو. أُقدر لكِ تضحيتك هذه".
ثم أنطلق مسرعًا نحو الباب، حيث يتدافع من تبقى منهم للهرب. شعرت بقيدٍ خفي يسلسلها بكرسيها في صدمة، تمنت لو أنه يعود ليخبرها بأنه كان يمزح، وبأنه لن يستطيع العيش بدونها، لكنه لم يلتفت إليها حتى، وهو يشق طريقة للأمام. أخذت تبكي وتصرخ تناديه، لكن لم يعد باستطاعته سماعها

أو هكذا أظهر لها. حتى قذف بنفسه خارجًا، تاركًا إياها تعاني وحدة الموت.
حاولت التوسل للقلة القليلة المتبقية أن يساعدوها، لكنهم كانوا صمًا بكمًا. ففي الموت يصبح الأنسان أنانيًا كفاية لينجو منه.
حاولت فك حزامها العالق، لكن ما من فائدة. استسلمت في رهبة لما هو قادم، ودعت الله أن يرفئ بروحها. كانت الطائرة كقبرٍ مظلم وموحش، بعد أن غادرها الجميع. في لحظة واحدة، ازدادت سرعة الطائرة، ومالت برأسها للأسفل في حالة سقوط مروع.
أغمضت ميج عينيها، وبدأت تتلو صلواتها، لينتهي كل شيء في طرفة عين، ويسمع بعدها دوي صوتٍ عالّ:
-"سيدتي، هل ترغبين بتناول العصير أم المشروب الغازي؟"

* * * *

كان كابوسًا رهيبًا، ذاك الذي داهمها على الطائرة. تخيل أن تكون مسافرًا بوسيلة ما، وتحلم بأنك تموت بسبب عطلٍ فيها. فأل شؤم أو ربما تحذير مبطن بألا تعاود ركوب ذات وسيلة المواصلات. حاولت جاهدة نسيان ما حدث، لكن صورة فريدريك وهو يلوذ بالفرار تاركًا إياها لتواجه مصيرها، لم تفارقها ولو للحظة. كانت تحدجه بنظراتها صامتة، في حين كان يبتسم وهو يتناول إفطاره بمطعم الفندق.
ارتشفت بعض رشفاتٍ من القهوة، قبل أن تبادر بسؤاله:
-"تخيل معي يا فريدريك، بأننا في سفينة واحدة، ثم كادت السفينة أن تغرق ولا يوجد على متنها إلا قارب نجاة واحد لا يتسع إلا لفردٍ واحد. من ستختار لتنقذ؟ أنا أم أنت؟".
لم يستطع منع نفسه من الضحك وهو يلوك طعامه، مما أصابه بشرقة، فأسرع يتجرع الماء. ليعود بعدها لتناول طعامه،

وكأن شيئًا لم يكن. لتعيد هي بإصرارٍ سؤاله. حدجها بنظره هادئة، ممسكًا ذقنها بحنو:
-''عزيزتي، لما هذه الأسئلة؟ لم يمض على زواجنا بضع ساعاتٍ، وها أنتِ تكثرين السؤال''.
-''لم تجبني يا فريدريك؟'' بلهجة حازمة.
-''عزيزتي، ميج، أنت تعرفين الأجابة''.
-''لا، لا أعرفها''.
-''إذًا اسألي قلبك''.
-''لكني أسألك أنت''.
ترك الملعقة من يده ضجرًا:
-''أوف ميج، نحن هنا لقضاء شهر العسل. ألا ترين أن هذا الأمر أكثر أهمية من أسئلتك المملة''.
ثم عاد يستدعى النادل، طلبًا لفاتورة الحساب:
-''انتظر، لم أكمل طعامي بعدّ''.
-''آسف، لقد أضعتي وقتك في طرح الأسئلة. لدينا جدول أعمال ممتلئ. ليس أمامنا الكثير لاكتشاف الجزيرة، معنا أسبوع فقط''.
وضع المال بجانب فاتورة الحساب، بالإضافة لبعض البقشيش، وأشار إليها أن تلحق به. أمسكت بقبعتها ونظارتها الشمسية، وهي تتبعه في خجل. وبرأسها تدور الكثير من علامات الاستفهام، كما تدور الأرض حول الشمس. هل يا ترى لهذا الحلم معنىً؟ ولماذا يتجاهل فريدريك أسئلتها؟ هل يمكن حقًا أن لا يكون الحلم مجرد كابوس بل أنذار؟ هل يمكن أن يتركها فريدريك في أشد أوقاتها حاجةً إليه؟
لم يستطع عقلها كبح أسئلته، كما لم يستطع منحها الإجابات، ليغدو على قلبها تبرير ماحدث، بأنه مجرد كابوس، وأن

فريدريك يحبها، وأنها ستفسد شهر عسلهما بما تفعل. وما هو غير مبني على وقائع، ما هو إلا أضغاث أحلام.
ناداها فريدريك يستعجلها، بينما يرتقي التاكسي، مشيرًا للسائق:
''إلى الشاطئ، لو سمحت؟''

* * * *

خلال ذلك الأسبوع، تناست –أو حاولت تناسي- تمامًا ما حدث، لتقضي وقتًا ممتعًا برفقته في هاواي. حيث قررا العودة مبكرًا لشقتهما، التي عملت ميج على ترتيبها لتبدو أكثر ألفة عن ذي قبل.
تعالت ضحكاته بعد رنين الهاتف، وانتهت المكالمة بعد دقائق بقطعه وعدًا للمتصل بأن يلقاه اليوم. أتجه بعدها إلى ميج، يخبرها بأن عددًا من أصدقائه وزوجاتهم يدعونهما إلى العشاء، الليلة في الثامنة. لذا طلب منها إفراغ حقائبه، وتحضير ملابسه الخاصة بسهرة اليوم. تململت قليلًا، قبل أن تذكر له شعورها ببعض التعب من أثر الرحلة. ''ربما كان من الأفضل الاعتذار لأصدقائك عن عزيمة الليلة''.
توقعت منه تفهم ذلك، إلا أنها فوجئت به يصرخ في وجهها، مؤكدًا على عدم نيته القيام بذلك، فهؤلاء هم أصدقاء طفولته، ولن يقدر بكل بساطة رفض دعوتهم له. حاولت أن تشرح له بهدوء، أنها حقًا تشعر بالتعب وأن ذلك ليس بعذرٍ واهٍ لكي لا يصدق، لكنه أصر على الذهاب. وكطفلٍ عنيد خاطبها، وهو في طريقه للحمام:
-''سأذهب بكِ أو بدونك.. القرار لكِ؟''.
تركت ميج كل ما بيدها، واستلقت على السرير مهتمة، تحدق بسقف الغرفة. حاولت الرجوع بذاكرتها قليلًا إلا ما قبل

زواجها من فريدريك، كيف كانت معاملته السابقة لها؟ الآن تسأل نفسها، لتجد ذاكرة تعاني من حالة زهايمر متأخرة، كل شيءٍ بدا مطموسًا أو مشوش، وكأن هي من فقدت الذاكرة. انتهت لحظات تفكيرها إلى فكرة اختيارها له في النهاية، وما يعنيه من أنها ما اتخذت قرارها إلا عن سابق معرفة لسلبياته قبل إيجابياته. فلماذا يبدو الأمر غريبًا الآن؟

ربما كان عليها الانصياع له -على الأقل هذه المرة- حتى لا يشعر أصدقائه وبالأخص زوجاتهم بشيء، إن جائهم وحيدًا. فهل ستدعهن يطلقن الإشاعات؟ حتى تعود الفتيات التي حاربتهن كثيرًا، للانقضاض على فريستها. ففريدريك محامٍ وسيم، وثري، استأثرته لنفسها، ولن تدع أحدًا يدمر تلك الصورة التي رسمتها لحياتهما معًا، حتى لو كان فريدريك نفسه.

هناك على صوت الموسيقى، أشادت أحدى زوجات أصدقائه بعازفها. فأثارها ذلك لسرد لقطات من حياته:

-"لقد حققت هذه الاسطوانة نجاحًا باهرًا بعد صدورها بيومين، والغريب أنه كتبها بمساعدة زوجته، بعد فقدانه للبصر إثر حادث أليم، يقولون أنها اعتادت تدوين النوتات الموسيقية التي كان يقوم بعزفها. لكـــ....."

قاطعها زوجها ساخرًا:

-"هيا يا ميج، كفى حديثًا عن هذه الحماقات. من يرغب هنا بسماع قصة الموسيقيّ الذي فقد بصره". ثم ألتفت لأصدقائه مازحًا: "أليس كذلك يا شباب؟"

تضامن الأصدقاء معه لعدم إحراجه، بينما تكاتفت النساء فيما بينهن، يتبادلن نظرات منزعجة، وكأنهن قد أعتدن على هذا الأسلوب غير المهذب منه نحو ميج. وقد كان ذلك سببًا كافيًا

لإخراسها حتى نهاية السهرة.
-''لا بد أن هناك الكثير مما لم أنتبه له''. همست لنفسها في حزن.
لم تجادله تلك الليلة فيما فعل، وقد حضر جوابه مسبقًا:
-''أن أحاديثك مملة. ربما عليكِ التعلم من زوجة فرانك، أنها متحدثه لبقة''.
-''ماذا تعني بذلك؟''
لوح بيده منزعجًا:
-'' لا أعني شيئًا، فقط تعلمي''.
ثم توجه لأخذ حمامًا دافئ، قبل خلوده للنوم. بينما خلعت عنها ثيابها بحنقٍ، ترميها أرضًا، وهي تنشج:
-''ماذا فعلت لأستحق هذا؟''

* * * *

-''رباه ميج، ماذا فعل بكِ هذة المرة؟''
بادرتها سوزي ما أن رأتها أمام عتبة منزلها في حالة يرثى لها.
-''لا شيء، أنها مجرد كدمة بسيطة''.
جذبتها سوزي نحو المقعد تُجلسها، ثم أسرعت نحو مطبخها، تحضر بعض قطع الثلج، بيدّ أنها لم تجد أمامها إلا أكياس الخضار المثلجة. لوحت غاضبة:
-''لقد حذرتك مسبقًا من الزواج بهكذا رجل. لا أدري ما دهاكِ لتنهي حياتك مع هذا الوغد اللعين، بالزواج منه''.
عادت تضع كيس الخضار المثلج على موضع الكدمة حول عينها. تنهدت في حزن:
-''لقد أحببته''.
-''ميج الغبية تحب وغدًا''. قالت ساخرة، قبل أن تعقب:

"أنظري ماذا يفعل بكِ حبه يا عزيزتي؟".

أجهشت في البكاء، فأحتضنتها سوزي:

-"لا تحزني، تعلمين كم أحبك؟ لكن لا بد لهذه المعاناة أن تنتهي".

قاطعهم دخول بول -أخو سوزي- والذي عُرف بحبه لميج -بعد أن فضحته أخته لها- بيدّ أنها لم تبادله ذات الحب أبدًا. أزعجه ما رأى، فتوعد بالانتقام لها من ذلك الوغد. لم يستطع كبح نفسه هذه المرة، وهرع نحو الباب يفتحه، تبعته أخته في محاولة لمنعه من ارتكاب تلك الحماقة، التي ستودي بحياته. كان كلاهما على علمٍ بما قد يثيره لقاءٌ كهذا بينه وبين فريدريك، فكلاهما يبغض الآخر، بسبب ميج.

-"من الأفضل لكِ تركِ، عليّ أن ألقن هذا الوغد درسًا. هذه المرة المائة التي يقوم فيها بضربها.. إلى متى سنظل صامتين على هكذا شيء؟"

ضمت سوزي وجه بول بين راحتي كفيها:

-"اسمعني عزيزي، الأمر وحده بيد ميج".

التفت نحوها، يطمع في أن تؤازره فيما ينوي فعله، لكنها خيبت ظنه حين ناحت بوجهها بعيدًا.

-"يا إلهي! ميج، لماذا تفعلين هذا بنفسك؟" نزع بول يدي سوزي وأتجه لغرفته بالأعلى حانقًا.

احتضنت سوزي تبكي:

"أحبه يا سوزي، أحبه.. هذه هي لعنتي الأبدية".

* * * *

ذات مساء، وفي وقت عودته من العمل، استقبلته وعلى وجهها إشراقة من السعادة، تكاد تحتضنه بين ذراعيها للرقص من

فرط ذلك. لم يلقي بالًا في البداية لتلك الفرحة واضحة المعالم، وتجاهل الأمر بتبديله لثيابه. اقتربت منه بدلالٍ تحدثه:
-''ألن تسألني عن سر سعادتي؟''
-''لا يهم، لا بد أنه شيءٌ تافه كالعادة. أنتِ تفرطين في الفرح لأتفه الأسباب، عزيزتي''.
تجهم وجه ميج، وهمت بترك الغرفة، لولا أنه أمسك بيدها يشُدها:
-''هيا لا تكوني نزقة. أنا أشعر بالتعب الشديد، أخبريني ماذا هناك؟''
عاد وجهها إلى إشراقته:
-''فريدريك، أنا حامل''.
أفلت يدها ببرود:
-''لكننا لم نتفق على إنجاب أطفال، حتى أحصل على تلك الترقية التي حدثتك عنها''.
-''صدقني، أنا أيضًا لم أعلم بذلك إلا اليوم. لكن تأخرها جعلني أشك بذلك. اشتريت جهاز اختبار الحمل، وكانت النتيجة إيجابية''.
-''ربما هناك خطئٌ ما، يجب علينا الذهاب للمشفى للتأكد''.
-''لكن...''.
-''لا، لكن. غدًا صباحًا سنذهب. الآن حضري لي العشاء''.
في مساء اليوم التالي عاد فريدريك، ممسكًا بأوراق النتيجة، ليجدها تجلس على الأريكة، تتصفح بعض المجلات. رمى حقيبته أرضًا، وقذف بأوراق التحاليل بوجهها، حين أقبلت لاستقباله.
-''كيف لكِ أن تخدعيني هكذا؟''. بادرها بحنق، بينما تقف مشدوهة، لا تعرف ما أصابه.

-"ماذا تقصد؟ وعن أي خداعٍ تتحدث؟" سألته وهي تلتقط الأوراق التي تهاوت أرضًا.
لوح بذراعيه ملئ المكان:
-"كل هذا خداع، الحياة التي نعيشها، المنزل وكل شيء. كيف خدعتني؟ كيف استطاعتِ ذلك؟". وهوى بيده على وجهها يصفعها.
-"صدقني لم أخدعك، أرجوك أنا لا أفهم شيء".
-"ميج، لقد استعدت ذاكرتي. أنا الآن أتذكر كل شيء. لقد خدعتني لأتزوجك أيتها الحقيرة، استغليتِ فقداني لذاكرتي لفعل ذلك. رغم أنك تعلمين جيدًا، بأن انفصالي عنكِ قبل الحادث كان نهائيًا. لا أصدق لولا أني صَدمة رأسي صدفة، بعد تعثرتي بأحد سائقي الدراجات، لما عادت ليّ. ولعشت بقية حياتي في وهمٍ من صنعك. حتى هذا".
مشيرًا بأصبعه إلى التحاليل: "كذب، هذا ليس طفلي. لعلها أيضًا خدعة جديدة لتضمني بقائي بجانبك أيتها التعسة. من والده، ها؟ ... أخ.. لا بد أنه بول، حبيبك المجنون.. عاهرة".
-"لم أخدعك فريدريك، صدقني. لقد كنا بالفعل متفقين على الزواج، عندما قررت الانفصال عني. كنت أحبك، لم أستطع تخيل حياتي وقتذاك بدونك. أخفيت عنك ما حدث، حتى لا أفقدك. أنا أعرف بأنك تحبني، وأنك كنت تشعر بالخوف من الإقدام على الزواج، لا أكثر أليس كذلك؟ لقد تفهمت ذلك وتناسيت كل شيء، على أمل أن أحيا معك حياة سعيدة. عندما علمت بخبر حملي، اعتقدت أن الحياة تمنح علاقتنا فرصة جديدة لتنجح. لكن ها أنت الآن تتهمني بالعهر. لا أصدق كم أنت حقير!، وكم أنا غبية! أنا من خُدعت بك وليس أنت".
دفعها للخلف، فسقطت:

-''أنا لا أريد هذا الطفل، ولا هذه الحياة. لقد انتهى كل شيء''.
ثم أكمل يركلها في بطنها، وهي تحاول صد ضرباته، وتصرخ متوسلة:
-''ابتعد عني، ستقتل طفلي''.
-''فليمت، كما أتمنى الموت لكِ أيتها المخادعة''.
ثم عاد لركلها، حتى فقدت الوعي. فظن أنها قد ماتت، فأسرع من توه هربًا من المنزل. تاركًا إياها تضجر في دمائها، تنتظر الموت ليحملها بعيدًا.
بعد مضي وقتٍ لا تعلم حسابه، أفاقت لتجد جسدها مسجىً على الأرض، والدماء تغطي المكان حولها. بجسدٍ منهك، زحفت على الأرض وصولًا للهاتف. أمسكت بسلكه تجذبه، حتى سقط أرضًا. ضغطت بعض الأزرار، حتى جائها رنين الهاتف ضعيفًا وكأنه من عالمٍ آخر:
-''مرحبًا، سوزي تتحدث''.
-''سوزي، ساعديني. أنا أموت''.
أنفلت الهاتف من يدها، لتفقد وعيها مرة أخرى من شدة الألم.
* * * *
تهادت بعض الأصوات الآتية من بعيد إلى مسامعها، في شكل همهمات غير مفهومة. في حين كانت سوزي تناقش مع الطبيب حالة ميج.
-''أن حالتها حرجة، ستبقى في العناية المركزة حتى تنقضي الساعات الأولى من الخطر''.
ثم اختفت الأصوات، فما عادت تسمع صوتًا إلا صوت الماء. فتحت عينيها، لتجد نفسها في قارب صغير، تحمل بين يديها طفلًا جميل الخلقة. كان فريدريك يجلس هناك مقابلها، يجذف القارب في سعادة. ابتسمت له، فتجهم وجهه على حين غرة

ثم نظر للأسفل.

كان القارب يمتلئ بالماء رويدًا رويدًا، دون أن يحرك ساكنًا، بينما يرتفع صراخ الطفل ويزداد حدّه. نظر فريدريك للقارب، كان قد شارف ربعه على الامتلاء. دون أن يلتفت إليها، قفز في الماء، وأخذ في السباحة بعيدًا، بينما ميج تتوسله أن يعود. مع الوقت شارف القارب على الامتلاء، وكيانه بدأ يغوص للأسفل. تأملت الطفل، احتضنته بحنو، حتى تركها القارب مكملًا خطاه للقاع. بدأت ذراعيها بالتخبط في الماء تحاول البقاء على سطحه قدر الإمكان، لكنها شعرت بخدرٍ شديد يتسلل إلى جسدها، يدعوها للاستسلام.

أنها الآن تهوي إلى القاع، وهي تحتضن طفلها. تنظر إلى أعلى، قبل أن تطلق صرختها الأخيرة، كصفير الجهاز بجانبها، تناديه.

* * * *

الفصل الثالث

أن لا تفقد شيئًا..
أي أن تحافظ عليه

عزيزتي ريجينسي:
اعتذر منك لما حدث. حسنًا، في الحقيقة أنا لا أدين لكِ بأي اعتذار. ربما أكن لكِ القليل من الشفقة، لما ستلاقينه هنا وحدك. كانت الخطة أن أتركك فور مجيئك إلى هنا، لكنكِ ظللت تحملين صرة "السحر الأبيض" حيثما حللتي، تحرسينها بحياتك. لم تكوني لتتركيها أبدًا، ما صعب عليّ ما سأقوم به. سأعود وحدي للملكة حيث سأحقق أحلامي. اعذريني فطموحاتي أكبر من أن أظل مجرد صديقة أو تابعة لك أو بالأصح خادمة.
عندما عرض عليّ أخوكِ زورا الخطة، لم أتحمس لها كثيرًا، فلم يكن هناك فائدة مرجوة قد تعود عليّ. على العموم كنت مخطئة، فهناك ما هو أفضل من العيش في ظلال الملوك، وهو العيش مثلهم. وافقت لأنه يعجبني أيضًا، وقد طلبني أخيك للزواج، لأشاركه العرش، ليتوجني بعد عودتي ملكة على قلبه ومملكته. أنه عرض مغري حقًا، أليس كذلك؟
منذ انتقالك للشقة، أصبحت هدفًا يسهل خداعه، كان عليّ فقط انتظار الفرصة المناسبة، لتنفيذ ما أريد. وهذا ما كان فيما بعد، غبية أنتِ، أليس كذلك؟ لا بأس عزيزتي، هكذا هي الحياة، فلولا الأغبياء لما استطاع من هم أمثالنا الوصول لشيء.
يمكنك الآن التمتع بالحياة ها هنا على أي حال. لن أخفيكِ سرًا، لقد اعتقدت لوهلة أن بامكانك الفوز حقًا، وأنه ربما عليّ البقاء هنا لإفساد مخططك بالفوز. لكن الأمر لم يحتج لذلك، فالبشر قد أفسدوه بأنفسهم. لقد تركت لكِ بقية الصرر، التي تحوي أحجارًا لا فائدة منها، ترين لست سيئة تمامًا!. كما أن مهمتي هنا قد أنتهت على أي حال. فلن يكون بإمكانك العودة

بعد ذلك، إلى المملكة.
أتمنى لكِ حياة سعيدة أو تعيسة، لا يهم.‘‘
الملكة
مولي

* * * *

(1)

قضت ريجينسي وقتًا عصيبًا، بعد عثورها على تلك الرسالة، التي أفصحت علانية عن كونها قد تعرضت للخيانة. أمضت لياليها بين البكاء والنحيب، كان فقدانها الأمل بالعودة، يزيد من تعقيد الأمور. لم تدرك النية الحقيقة التي يضمرها أخوها من فعلته تلك، فهل أن قام باستبعادها سيضمن بقاء المملكة؟ هل سيضمن عودة أدم لينقذ الكتب من مصيرها؟ على ما علق آماله؟ دارت الأسئلة كالفلك حول رأسها، كما أن عدم علمها بما يجري بالمملكة، جعلها أكثر تشويشًا وجنونًا.

كانت كاثرين تحاول التخفيف عنها، رغم يقينها التام، بأن ما من كلماتٍ يمكن لها أن تنهي هذا العذاب، أو حتى تنسيها ما تعرضت له من خيانة رفيقتها مولي. ظلت ريجينسي تؤنب نفسها على تلك الثقة العمياء التي منحتها لمولي، لدرجة جعلتها تشك في كاثرين، رغم محاولتها ألا تفعل.

كان الطعام يأتيها ساخنًا، ويغادرها بارد، لم يؤكل أو يُمس. حاولت كاثرين كثيرًا إرغامها على تناوله، لكنها كانت أعند من أن تنفذ لها ما رغبت به، ناهيك عن فقدانها للشهية، وربما للحياة أيضًا. حتى أنها انقطعت عن الذهاب للعمل منذ ذلك اليوم المشؤوم، دون إبداء أسباب أو حتى الإتصال بهم طلبًا لإجازة اكتفت فقط بالانقطاع عن العالم كله، وكأنها تلومه على ما حدث لها. حتى تجاربها السيئة في منح الأمنيات، كانت سببًا في فقدانها الأمل في نجاح ما جاءت لتحقيقة. جميع المصائب تتكالب عليها مرة واحدة، وكأن ما من أحد غيرها هنا.

-"ربما تكون مولي محقة، ربما أنا فعلًا في طريقي للفشل. ربما كانت نتيجة واحدة كافية، لأن تضع نهاية لما سيؤول الأمر إليه في النهاية". همست لنفسها في انكسار.
لازمها الاكتئاب أسبوعًا كاملًا، حاولت فيه كاثرين بكل ما أوتيت من قوة إخراجها من تلك البؤرة السحيقة التي سقطت فيها. حاولت إقناعها أكثر من مرة، بأن النجاح لا يسبقه إلا الفشل. لكن ريجينسي كانت محبطة جدًا، فحتى أن نجحت بمهمتها، فلن يكون بمقدورها العودة إلى المملكة. لكنها على الأقل ستكون قد أنقذتهم، فكرت.
لم ترى كاثرين حلًا للمعضلة، إلا أن تغير طريقة التفاهم معها، لتساعدها على الصمود. فما دامت هنا، وبمقدورها فعل شيء، وجب عليها المحاولة وألا تُضيع وقتًا ثمينًا في البكاء. ما مضى قد انتهى، فلا داعي لذكره. ثم ذكرتها عن غير قصد بأن عليها العمل لكسب رزقها، لتستطيع إطعام نفسها ودفع التزامتها.
أصابت ريجينسي خيبة أمل، ما أن سمعت ذلك، اعتقادًا منها بأن كاثرين، تخاف من أن تصبح عالةً عليها. لكن الأخيرة وضحت موقفها تمامًا، حين لمحت لها ريجنسي بذلك. فما كان منها إلا أن صفعتها:
-"افيقي من خيالاتك هذه وواجهي الواقع، عزيزتي. لا تلقي اللوم على الأخرين فيما وصلتِ إليه. يجب عليكِ مواصلة التنفس، الحياة. هل تعتقدين بأن ما تفعلينه الآن سيسعد والدك؟ فكري بالأمر قليلًا، قبل أن تفقدي حياتك".

* * * *

عندما عادت بعدها للعمل، علمت بإتصال كاثرين بهم، لطلب إجازة مرضية لها. تأثرت لذلك، ما زال هناك من يهتم بها

على أي حال، مما يعني أن بإمكانها الوثوق بها على الأقل.
"ربما ليس علينا أن نثق بالأخرين، بل هم عليهم دفعنا إلى ذلك" فكرت.
اجتمع البعض حولها يسألها عن مولي، فاخبرتهم بأمر عودتها إلى مدينتها وتوقفها عن العمل بغية الزواج بأحدهم. ولم يمض الكثير من الوقت حتى حلت أخرى محلها بالعمل، ليصبح لها زميلة جديدة، تقاسمها ساعات العمل والمهام.
في ذلك اليوم تحديدًا، حدث لها موقف مباغت، كاد يضرب بوظيفتها عرض الحائط. حيث قام طفل مشاكس بوضع قدمه في طريقها، ليتسبب ذلك في عرقلتها، وسقوط كأس العصير على إحدى الفتيات. أخذت الفتاة وقتها تصيح بوجهها، دافعة إليها بعض الشتائم، بينما يحاول الشاب برفقتها تهدئتها. لكن صراخها كان يعلو مع طلبها للمدير، الذي وافاها على الفور محاولًا إصلاح ما تم إفساده. إلا أن الفتاة الحانقة، طلبت منه طردها، مهدده برفع قضيةٍ على المطعم. فما كان من المدير إلا طردها آسفًا.
عادت ريجينسي إلى المطبخ، حزينة. لم يكن لها ذنبٌ فيما حدث، والجميع يعلم، إلا أنهم مكمموا الأفواه.
-"ألا يكفيني تعرضًا للظلم".
كانت الفتاة البيضاء وقتذاك، غاضبة وتشير نحو قميصها المتسخ. بينما يحاول الشاب كاكاوي اللون، الدفاع عن الطبقة الكادحة كما سماها، موضحًا بأن الأمر لم يكن يستحق أن تطرد فتاة من عملها لأجله. الطفل هو السبب، وهي تعلم ذلك.
كانت الأم خجلة من الموقف كاملًا، فقامت تعنف طفلها، الذي سارع بالبكاء. ثم قدمت اعتذارها للفتاة، طالبةً منها ألا تظلم ريجينسي، فالخطأ في النهاية خطأ طفلها.

بعد تنظيف قميص الفتاة، هدأت الأمور قليلًا، خاصةً بعد تناولها وصديقها لوجبة إفطار مجانية، تعويضًا عما حدث.
بينما لم تتوقف هي عن البكاء، بينما تهدئها زميلتها الجديدة:
-''ستعتادين على أكثر من ذلك، لقد عملت قبل في العديد من الأماكن. التي لا يكف الناس فيها عن خلق المشاكل''.
-''لكني لست مخطئة''.
-'' ومن منا لا يخطئ في هذا العالم، الملئ بالمخطئين''.
-''ماذا تقصدين؟''
-'' لا شيء، يمكنك أخذ قسط من الراحة الآن حتى تغادر تلك المعتوهة''.
-''لكن المدير طردني من العمل''.
-''لا تقلقي سأتحدث معه بهذا الشأن''.
شكرتها بامتنان لما ستفعل.

* * * *

عندما عادت ريجينسي مساءً من العمل، وجدت امرأة قد وشمت بزهرة على ذراعها، ترتدي قميصًا لا يستر ما تحته. لها ثديي بالون، وشعرًا أشقر، ووجهًا ملطخًا بالمكياج، تشارك كاثرين الجلوس. رغم تباعدهما الذي بدا جليًا، فيما تمارس كلًا منهما نشاطًا مختلفًا.
فبينما تقلم المرأة أظافرها في تملل واضح، كانت كاثرين تتناول شراب الطاقة خاصتها، بينما تتنقل بالريموت كنترول بين قنوات التلفاز. تقدمت منهما تحييهما، فدعتها المرأة لمشاركتها المجلس، لتشير لها كاثرين بخفة أن ''لا''.
لكن المرأة كانت قد جذبتها في ثوان من يدها برفق، لتشاركها المجلس، وهي تصف لها شعورها المرير بالملل ها هنا، في انتظار صديقها حتى يعود بالطعام. وكأنها بذلك تشير إلى

أن كاثرين لم تقم بواجب ضيافتها كما يجب، فلم تسامرها أو تتحدث معها، تركتها فقط هناك دون محاولة التخفيف عنها.
-"أوه يال غبائي، أنا صديقة باتريك صديق كاثرين".
ابتسمت لها ابتسامة بلهاء، دون أن تبادلها التعارف. مما جعل الأخرى تواصل حديثها دون اهتمام: "إذًا ماذا تعملين؟"
-"تعمل نادلة بمطعم". قاطعتها كاثرين، تُجيب عن ريجينسي، التي لم تكد تنطق.
-آه، هل تربحين ما يكفي من المال؟"
زمت كاثرين شفتيها في تذمر، وكأنها لا تطيق حتى سماع صوتها. أجابتها ريجينسي وقد شعرت بالتوتر يملئ المكان:
-"نعم، على ما أعتقد".
-"لماذا لا تبحثين عن وظيفة أخرى أكثر ربحًا؟" سألتها وهي تشعل فتيل سيجارتها.
-"وماذا يمكن لمثلي أن تعمل؟ لم أفكر صراحةً في تغيير وظيفتي من قبل".
-"يمكنك العمل مثلي، كممثلة. إن رغبتي ذلك. فالممثلات يربحن الكثير، كما تعلمين".
لم تكن ريجينسي تعلم ما تقصده الأخرى، فالتفتت لكاثرين ببراءة تسألها. ابتسمت كاثرين بمكر وكأنها كانت في انتظار سؤالٍ مماثل. شعرت المرأة بالضيق، وكأن ريجينسي قد قصدت السخرية منها بسؤالها ذاك، فسألتها وهي تحاول كتم حنقها:
-"عزيزتي، ألا تعلمين ما هو التمثيل؟"
-"قليلًا".
قطعت كاثرين الحديث، موجه كلامها لريجينسي:
-"أتذكرين فيلم سبايدر مان؟! أتذكرين تلك الفتاة التي أحبها

سبايدر مان وأعجبتك. هذه تدعى ممثلة فيلم حقًا".
-"رباه، هل تقومين بالتمثيل بهذه الأفلام أيضًا؟" سألتها بحماس.
تململت المرأة مرة أخرى، قبل أن تجيبها:
-"لا عزيزتي، الأفلام التي أقصدها يتجرد فيها الممثلين من ....".
قاطعتها كاثرين ساخرة:
-"يتجردون من أخلاقهم". ثم تجرعت ما تبقى في زجاجة مشروبها دفعة واحدة، بدون أن تنظر لهما.
-"أه، شكرًا لكِ على أي حال. لكني أفضل أن أعمل عملًا لا أتجرد فيه من شيء". قالت لها مباغتة، قبل أن تستأذنهما بالمغادرة لبعض الراحة.
حاولت كاثرين إخفاء ابتسامة تشفي منها، بعد أن شعرت الأخرى بانزعاج شديد، فضلت على أثره مغادرة المكان. التقاها صديقها أمام الباب، وبيده حقائب الطعام. وما أن رأته حتى بدأت في افتعال البكاء، شاكيةً له ما تعرضت له على يد كاثرين وصديقتها. في حين أن الأخرى لم تحرك ساكنًا، وكأنها لم تقم بفعل شيء. اقترب منها صديقها يؤنبها على ما فعلته بصديقته الحميمة:
-"لماذا تفعلين هذا يا كاثرين؟"
-"لماذا تفعل أنت هذا بنفسك يا أريك؟" صرخت به، قبل أن يصفع الباب خلفه.

* * * *

(2)

بعد أسبوع من عودتها، أنتشر خبرٌ سار، بارتزاق المدير بطفلة جميلة، سماها جوزفين. وعليه قرر طاقم العمل زيارته بالمشفى، وتقديم الهدايا لمولودته الجديدة. دعت ريجينسي كاثرين لمرافقتها إلى تلك الزيارة، وطلبت منها اختيار هدية مناسبة لهذه المناسبة، لما كانت هي بارعة في التسوق.
بدأت يومها بارتداء ملابسها، بينما تُعدل كاثرين بعض الأشياء في المظهر الخارجي للهدية، كي تبدو أكثر أناقة. ثم غادرتا نحو المشفى، بعدما حُدد موعد الزيارة. عند مكتب الاستقبال، وقفت كاثرين تسأل الممرضة عن رقم الغرفة التي تقطن فيها الزوجة. بينما ظلت هي تحمل الهدية، التي حوت بداخلها سلة ملئة بأشياء الرضع، مربوطٌ إليها بعضًا من البالونات التي دونت عليها كلمات تعبر عن المناسبة، بينما تجول بعينيها المكان.
بعد أخذها لرقم الغرفة، توقفت كاثرين بعد طابقين للتأكد من رقم الطابق. بينما ظلت ريجينسي تجوب بعينيها المكان تستكشفه. حين لاحظت وجود طفل في العاشرة من عمره، ينظر إليها بتمعن. ظنت في البداية أن جناحاها ربما يكونا مكشوفان للعيان، لكنها انتهت إلى أنهما محفوظان بعناية. دققت قليلًا بأتجاهه، لتجد عينيه معلقتان بالبالونات. اقتربت منه على مهلٍ، تهديه واحدة، وهو جالس على كرسيه المتحرك. فيما يبدو أنه كان بانتظار والده، الذي بدوره كان منشغلًا في الحديث مع الطبيب.
أشارت لها كاثرين بعجل، أن تلحق بها:

-''هيا لا وقت لدينا، فميعاد الزيارة سينتهي بعد نصف ساعة''.
-''لقد كنت فقط ...''.
-''لا وقت لدينا، هيا أسرعي''. تقاطعها.
حين وصلتا الغرفة المقصودة، وجدتا طاقم العمل هناك، كانت الغرفة ملئة بالبالونات، الزهور، والهدايا المقدمة. حيتهم ريجينسي، وقدمت الهدية لمديرها، الذي أبدى امتنانًا كبيرًا.
ثم ألقت نظرة على الطفلة النائمة كالملائكة. كانت الفتاة وردية اللون، تلفها هالة من البراءة غير الاعتيادية أنسى منظر الطفلة النائمة ريجينسي أن تقدم صديقتها كاثرين للأخرين. تذكرتها في أخر الأمر خجلة، تسرع في تقديمها:
-''كاثرين، صديقتي وزميلتي بالسكن''.
* * * *
في طريق عودتهما، مرتا بغرفة الطفل هذه المرة، فأشار نحوهما ما أن رأها. أسرع والده باتجاهها بشكلٍ ملفت، أثار شكوك كاثرين. وقف يحي ريجينسي، شاكرًا إياها على البالون، الذي أسعد طفله. ثم أصر على دعوتهما لتناول كوبان من القهوة، في مقصف المشفى. حاولتا التملص من الدعوة، لكنهما استسلمتا في أخر الأمر بداعي الشفقة، حين بدا الرجل حزينًا من حالة طفله المرضية.
بالمقصف، قص الرجل عليهن قصته وابنه، وكيف أن زوجته قد توفيت بمرض السرطان منذ عدة سنوات. ليشاركها طفلهما الوحيد المرض، بحمله لفيروس بالدم. كان الرجل يدخن بشراهة طوال حديثه، وهو يحاول في نفس الوقت منع عبراته من السقوط. في محاولة يائسة منه لإظهار بعض التماسك، لكن لحظة ضعف كانت كفيلة بهدم ذلك الحصن المنيع. فسقط على إثرها كالطفل، يبكي، مؤنبًا نفسه على تقصيره في حق

عائلته، حتى أودى بهم لما هم عليه.
حاولت كاثرين أن تشرح له بأن الأمراض لا علاقة لها بشيء نقوم به، إلا أن القدر يختار أصحابها، ليضعهم في محنة، اختبارًا لإيمانهم.
-"ليتني أصبت بهذا المرض، لا طفلي. لا أتحمل رؤيته يتعذب كل مره من الآلم". الرجل مطأطأً رأسه، مكورًا يده على شكل قبضة في حنق.
-"لا داعي للحزن، سأدعو الله أن يُنجي طفلك مما هو فيه". كاثرين متعاطفة معه.
-" كم أتمنى لو أن هذا الفيروس يختفي من دمه". حاول إخفاء عبراته مرة أخرى، بأن استأذنهما للذهاب للحمام.
التفتت كاثرين نحو ريجينسي، لتفطن الأخرى إلى ما تريده الأولى. صاحت بها:
-"لا.. لا.. لا.. لا تأملي شيئًا. لقد قررت التوقف عن فعل ذلك. يكفيني ما حدث، من تجربتين فاشلتين. سأكتفي الآن بإدارة حياتي، وكفى".
-"هيا ريجينسي، لا تكوني بلا قلب. ألا ترين أن الرجل يكاد يفقد صوابه بسبب مرض ابنه الوحيد. بإمكانك مساعدته، فلما لا؟"
-"لا.. لا تحاولي فعل ذلك بي".
قاطع حديثهما عودة الرجل، وقد هدئ قليلًا، شاكرًا إياهما على تلبية دعوته. موضحًا شدة حاجته هذه الفترة لمن يستمع إليه، ويشاركه أحزانه. ثم اعتذر منهما على إزعاجه لهما، ثم استأذنهما العودة لطفله، كي لا يؤخرهما عن أشغالهما.
حملقت كاثرين بريجينسي لبرهة، حين باغتتها الأخرى تسألها:

-''ماذا؟''

التفتت كاثرين للرجل، متمنية لابنه الشفاء العاجل، على وعدٍ آخر بزيارته. سعد الرجل بذلك، ثم شكرهما ممتنًا.

غادرت ريجينسي المكان من فورها، تلحقها كاثرين، في محاولة لجعلها تعدل عن قرارها. لكنها رفضت حتى فتح الحديث مرة أخرى، وطلبت منها -إن كانت لديها الرغبة بالاحتفاظ بهذه الصداقة- بأن تنهي هذا الموضوع.

-''رباه، كم أنتِ عنيدة وبلا قلب''.

-''عقلٌ بلا قلب، خيرٌ من قلبٍ بلا عقل''. ريجنسي وهي تنقر بأصبعها على رأسها.

-''الطفل سيموت بسببكِ''.

تابعت ريجينسي مشيها:

-''لم أصبه بالمرض، ولم أكن سببًا فيه. فلماذا سأتحمل نتيجة موته؟''

-''بيدك مساعدته''. بدا صوت كاثرين لها بعيدًا، وهي ما زالت تكمل طريقها في حالة من التوتر وتأنيب الضمير.

* * * *

جلست ريجينسي على حافة النافورة، تتأمل الماء، غارقةً في التفكير. كانت قد تركت كاثرين تعود للمنزل وحدها، بعد اختلافهما على موضوع منح الأمنية. تساءلت إن كان ما تقوم به هو الصواب بحد ذاته، وأن كان عليها فعلًا التوقف عن منح الأمنيات. لكن ضميرها أنبها كونها تفكر في نفسها فقط.

رمت بقطعة صغيرة من الأحجار، في الماء. لتسقط مكونة بعض الذبذبات الدائرية، والتي أخذت تحدق فيها مشتتة. حين ترائت لها صورة والدتها. فركت عينيها جيدًا، وأعادت النظر مره أخرى، لكنها لم ترى شيئًا. رؤيتها لصورة والدتها –أو

هكذا اعتقدت- أعادت لها الكثير من الذكريات معها. تذكرت كلمات والدتها لها حين قالت" بأن ما تملكه من قدرة على مساعدة الناس، هي هبة، تفرض عليها أن لا تتأخر عن استخدامها حين تحتاج لذلك، دون أن تنتظر مقابلًا لما تفعل. فالتقاعص عن المساعدة ما هو إلا جُبن، وهم ليسوا بجبناء".
هل كان هذا النداء صحوة لها؟ هل كان نداء الفطرة يحثها على فعل ما خلقت له. الفطرة التي خلفت فيها بذور طيبة، لا تعرف التقاعص عن عمل الخير. أم أنه تذكير بما يتوجب عليها فعله كجنية، قضي أمرها، أن تمنح الآخرين مساعدتها على هيئة أمنيات.
عندما عادت للمنزل يومها، كانت قد أيقنت بأنها على استعداد لتقديم المساعدة، لا لشيء إلا لمنح الآخرين السعادة والرضى. ربما يفقدنا، من لا يتقنون للخير فنًا، الثقة بوجود الخير بداخلنا. لكن خطأ واحد أو أكثر، لا يمكن أن ينسخ تلك الروح الخبيثة في أخرى جيدة. يمكننا دائمًا التغلب على الشر، أن كافحناه بالخير، باستمرار فعله مهما حدث، ومهما حاول الشر وضع العراقيل والحواجز، لعرقلة سيرنا.
تقدمت ريجينسي نحو غرفة كاثرين بهدوء، طرقت الباب بضع طرقاتٍ، قبل أن تفتحه. بدت لها كاثرين شبه نائمة، بغرفتها المظلمة، وهي متدثرة بلحافها. كادت تغلق الباب عائدة لغرفتها، حين باغتها صوتها يناديها:
-"ريجينسي".
-"يمكننا الذهاب غدًا لمنحه الأمنية".
* * * *

”الأمنية الثالثة“

كاد الرجل يقع مغشيًا عليه من شدة الضحك، حين التقتاه ليخبرانه بما هما بصدد فعله، ليتغير مزاجه بعدها في لحظة ليصل إلى مرحلة شديدة الغضب، ظنًا منه بأنهما تهزئان بحال ابنه. ومع محاولاتهما الفاشلة في تهدئته، واتهامه لهما بالجنون، وعدم الاكتراث بآلام الأخرين، قررت ريجينسي المغادرة قبل أن يصل حراس المشفى لطردهما.

-”لماذا لا تصدقنا؟“ كاثرين تدفعها ريجينسي لتركه.

-”لأنني ما عُدت أؤمن بالوعود، فما بالك بالأمنيات“.

-”عليك المحاولة، أن الأمر قد تعداك الآن لطفلك. لن تخسر شيئًا، فقط جرب“.

لوح الرجل بلا مبالاة هازئًا، زامًا شفتيه:

-”حسنًا، وماذا في ذلك؟“ ثم صاح بصوتٍ عالٍ ”أتمنى أن يُشفى طفلي من مرضه كي لا أفقده“.

رددت ريجينسي على مسامعه ذات الكلمات ”القالب قالب أن كثرت المقالب“. ثم لوحت بعصاها، وغادرتا من فورهما. وما بين دهشة الرجل وانزعاجه من كونه قد وقع ضحية للعبة ساخرة، وبين أملٍ تسلل إليه لتحقيق ما يتمنى، خطٌ فاصل كان يناقض نفسه.

بعد يومين فقط من تلك الواقعة، أخبره الطبيب بأن طفله بدأ يتماثل للشفاء. وأن العقار الجديد، قد بدأ في الإتيان بثماره، بالقضاء على الفيروس. ومع الاستمرار في تناوله، بدون حدوث مضاعفات، سيكون أمامهم شهر كحد أقصى لإتمام شفائه. لم يصدق الرجل ما سمعه، ودارت برأسه التساؤلات

''هل يمكن أن يكون هذا فعلًا عصر الأمنيات؟'' إلا أن كل ما فكر به هو شفاء ابنه الوحيد. فشكر الله وهو يحتضنه، ثم التفت للطبيب يؤمئ له في امتنان.
قُضي الوقت، وشفي دايفيد، وعاد للمنزل مع طلب من الطبيب، أن يعود به والده كل فترة لإجراء بعض التحاليل اللازمة للتأكد من عدم عودة المرض إليه. كان أول ما قام به حال عودته، أن طلب من والده أخذه لمدينة الملاهي، حيث الألعاب.
ليقضي يومه باللعب والركض، يشاركه والده السعادة ذاتها، متناسيين بذلك كل ما مر بهما من تعب.
لينتهي يومهما، في إحدى صالات السينما يشاهدان أحد أفلام ''السوبر هيروز''، بينما يتناول دايفيد حبات الفشار ووالده، بعض العصير الذي أخذ في تجرعه خفية. بعد انتهاء العرض، كان والده منتشيًا إلى حدٍ جعل دايفيد يفطن لما حدث، محدجًا إياه في حزن:
''أوه أبي، هل عدت للثمالة مرة أخرى؟''
* * * *
اليوم قُدمت لديفيد الكثير من الهدايا، احتفالًا بعيد ميلاده السابع. أحتضنته خالته ديدا قبل ذهابه لإطفاء شمعات كعكته، مهديةً إياه سلسلة ذهبية، كانت لوالدته، تنتهي بقلادة مزخرفة، يحمل كل نصفٍ منها صورة له ولها. والتي فضلت إهدائه إياها، كي تبقى ذكرى أنها حاضرة في يومٍ كهذا. لقد أحبت الخالة ديدا ديفيد، كما أحبت أختها جولي، بل وأكثر، على عكس والده الذي لم تكن تطيقه. أسرع ديفيد بوضعها حول عنقه، وهو يقسم بألا يقوم بخلعها أبدًا. في حين ابتسمت الخالة، وهي تربت على كتفه في طريقهما إلى الباحة الخلفية، حيث الجميع

بانتظارهم.
حين لاحظ الوالد، الحديث الذي يجمع فتاه بخالته، لم يرق له كما لم ترقه له منذ التقاها أول مرة. كانت ديدا دائمًا ما تنظر لزواجه من جولي على أنه كارثة، قد حلت على العائلة. فلم يكن هو – حسب منظورها- الزوج الذي تتمناه لأختها الصغيرة المحببة.كم تمنت لو أنها لم تلتقي به من الأساس!، وحتى مع محاولاتها -أكثر من مرة- لإثنائها عن الاستمرار في هكذا علاقه، كانت جولي تزداد تعلقًا به. كانت ترى فيه الشخص الذي تتمنى إكمال حياتها معه، رغم علمها بمشكلة إدمانه للخمر. بل وتفتخر بكونها السبب في تعافيه منها، رغبةً منه في إنجاح علاقتهما.
وقد نجح ذلك لبعض الوقت، حتى حملت زوجته بطفلهما، فعاد يعاقر الخمر من جديد.
مع ازدياد المشاكل، كانت ديدا تدفع أختها دفعًا لطلب الطلاق منه، لكن أملها في أن يتعافى هذه المرة، ليس لأجلها لكن لأجل طفلهما ,كان كبير.
وها هي قد أُقتيدت للموت، وهي لم تكمل عامها الثاني والعشرين، مُخلفةً ورائها طفلًا، لم يستطع زوجها التعامل معه.
حاولت ديدا بعدها الحصول على الوصاية، لتقوم بتربية دايفيد إكرامًا لأختها، لكن القاضي حكم لوالده بذلك. فما دام والده على قيد الحياة، فهو أحق برعايته. وعلى الرغم من محاولتها أثارة موضوع إدمانه للخمر، إلا أنه –ولسوء حظها- كان معه ما يثبت تعافيه منها، فبطُلت حجتها.
منذ ذلك اليوم، لم تفتأ تتهمه بأنه سيكون سببًا في ضياع طفله المسكين، كما كان سببًا في موت جولي. وعلى الرغم من

كرههما لبعضهما، إلا أن دايفيد كان العامل المشترك الوحيد، الذي يضطرهما للتعامل مع بعضهما.
توجه والده نحوه مارًا بها، بعد أن انتهيا من الحديث. تبادلا الابتسامات المغتصبة، قبل أن تسبق دايفيد إلى الخارج، فأسرع والده يسأله عما كانت تحدثه. في محاولة منه لمعرفة، إن كانت تحاول استدراج الصبي لمعرفة معلوماتٍ ما، أو تحاول دفعه لكره والده.
كما أن شعوره بالقلق من افتضاح أمر تجرعه للخمر يوم السينما، جعله ينهال على طفله بالأسئلة. فلو أنها علمت بما حدث، لأسرعت برفع قضية وصاية أخرى.
فما قد يخبرها به دايفيد، قد يكون نقطة جيدة يمكنها استغلالها، للفوز بحضانته. لكن هيهات أن يحدث ذلك، فوالده لها بالمرصاد.
-''انظر يا أبي، ماذا أعطتني الخالة ديدا؟'' دايفيد مقاطعًا أفكار والده.
-''ما هذا الشيء الجميل؟''
-''أنها قلادة أمي، انظر كم كانت أمي جميلة!''.
ألقى نظرة سريعة على الصورة، ليغلق بعدها القلادة سريعًا، أمرًا طفله بالاحتفاظ بها. ثم دفعه بمرح للذهاب لإكمال احتفاله.
-''ألن تاتي يا أبي؟''
-''اذهب أنت الآن.. وسألحق بك يا عزيزي''.
وهو يصفق مشجعًا إياه على الذهاب في مرح.
توجه بعدها للحمام، ثم نظر لنفسه في المرآة. تمنى لو كان باستطاعته الصراخ. ملئ الحوض بالماء عن أخره، ووضع رأسه فيه، وأطلق صرخة مكتومة، لم يسمعها أحدٌ غير قلبه المكسور.

طُرق الباب فجأة، وهو قابعٌ على أرضية الحمام يبكي.
-''أبي، هل أنت بخير؟'' جاءه صوت دايفيد لطيفًا، به نبرة خوف.
تماسك الرجل، مسح عيناه بسرعة، لكن ذلك لم يصلح من الأمر شيئًا، فأسرع بغسل وجهه، مرددًا:
-''أنا بخير، أنا بخير.. الآن اخرج''.
ثم تنفس بعمق، قبل أن يفتح الباب بهدوء:
-''أبي، ما بال عينيك حمروين'' دايفيد محدقًا به.
* * * *
اعتادت خالة ديفيد الاتصال به كل ليلة قبل موعد نومه، للاطمئنان عليه، وتمني له ليلة سعيدة. لكن والد دايفيد ظل ينظر لاتصالاتها تلك، كنوع من أنواع المراقبة المستترة، فكان كثيرًا ما يسأل دايفيد عنها بدون إبداء اهتمام بالغ. كان يكره اتصالها به، لكنه لم يستطع منع ذلك، خوفًا من أن يُصاب طفله بالإحباط أن بقي وحيدًا. فلقد كانت تعوضه بجانب أو بآخر عن والدته التي فقدها، خاصةً في الفترة التي طاله فيها المرض.
بعد انتهاء مكالمة الليلة، تقدم والده نحو غرفته، ليتمنى له نومًا هنيئًا، ليجده محدقًا في القلادة، التي أهديت له.
-''عزيزي، اخلد للنوم، لديك مدرسة بالغد''.
-''أبي، كيف كانت أمي؟''
ترك مقبض الباب، وتوجه إليه، ثم جلس بالكرسي المجاور لسريره.
-''لقد كانت مثل زهرة اللي لي، بيضاء، جميلة ونقية. أحبها الجميع كما أحبتهم''.
-''هل كانت تحبني أنا أيضًا؟''

أسرع إليه يحتضنه:
-''بالطبع يا عزيزي، ما الذي يجعلك تعتقد غير هذا؟''
-''لا أدري ربما لأنها تركتني وحيدًا وصعدت للسماء''.
تعثرت الكلمات في فمه، فلم يستطع إخراج ما يمكنه به إنقاذ الموقف. فاكتفى باحتضان ابنه بقوة، ليجيئه صوته من الأعماق ضعيفًا:
-''أبي، أنت تخنقني!''.
-''آه، معذرةً يا عزيزي''. هكذا ابتعد عنه قليلًا، ثم داعب شعره بحنو: ''الآن نم يا عزيزي، لديك يومٌ حافل بالغد''.
جذب دايفيد اللحاف، استعدادًا للنوم، ثم أرسل لوالده قبلة في الهواء، بينما هو يطفئ الأضواء، ليُغلق الباب بعد ذلك بهدوء.
هناك كلماتٍ كافية، لأن تشعرك بالاختناق.
هذا ما شعر به والده، بعد حديثه الصغير مع ابنه. غادر البهو متجهًا لمكتبه، موصدًا بابه. وعلى نحوٍ لا إرادي، مد يده نحو الدرج، حيث تختبئ زجاجة النبيذ تحت أكوامٍ من الأوراق. أمسك بالزجاجة، يرفعها نحو فمه، متجرعًا محتواها بلا عقل. وما أن انتهى منها حتى أخذ ينظر إليها بتمعن، قبل أن يقوم بضرب رأسه بسطح المكتب، وكأنه بذلك يعاقب نفسه على ذنبٍ أقسم على ألا يعاود أقترافه، مرددً ''أنتِ السبب''.
وما هي إلا لحظات حتى فقد وعيه.

* * * *

في عطلة نهاية الأسبوع، استيقظ باكراً وأعد الفطائر المحلاة، كعادته كل يوم، ثم توجه لإيقاظه لتناول الفطور. كان يرى أن تناول طعام الفطور شيء مقدس، فالجسم بدونه لا يصبح نشيطًا طوال اليوم.
استيقظ دايفيد، وأخذ يفرك عينيه الناعستين عند باب المطبخ،

حيث يقف والده يقلب الفطائر في الهواء بشكل بهلواني.
-"هيا، يا أبي، أن اليوم عطلة".
-"لا أهتم أن كان عطلة أم لا ما يهم هو تناول طعام الفطور اللذيذ".
جلس دايفيد على كرسي الطاولة، ليرى صحنه يعج بالبيض والبيكن، بينما يعج صحنٌ بجانبه بالفطائر المحلاه المغدقة بالعسل.
حاول التذمر لكن والده أشار للصحون بحزمٍ أن"تناوله".
أمسك دايفيد شوكته، وبدأ في تناول طعامه رويدًا رويدًا، يلوكه ببطئ. إنضم إليه والده بعد انتهائه من صنع أخر فطيرة محلاة:
-"هيا اسرع، لدينا اليوم الكثير من الأشياء لنفعلها".
-"آه يا أبي، حقًا أرغب بالعودة للنوم". دايفيد في كسل.
-"لا عودة للنوم، سنذهب اليوم للتنزة".
طأطأ دايفيد رأسه في خيبة.
-"وسأشتري لك الأيس كريم الذي تحبه. ثلاث كريات هذه المرة".
ارتفعت صيحاته مهللة، ويديه ترقص في الهواء. ابتسم والده فرحًا لسعادته، ولم يكد يعود لحديثه. حتى أخذ الأول ينهال على فطوره أكلًا، حتى أنهاه، ثم أسرع لغرفته لارتداء ملابسه، وهو يُمني نفسه بالكرات الثلاث.

* * * *

في الحديقة، وبينما هما يلعقان كرات الأيس الكريم، التقى بصديقه جاك، وهو ينزه كلبه. تحدثا قليلًا عن العمل، وعن حصوله على ترقيه أخر الشهر الحالي، التي ستؤدي في المقابل لزيادة في الراتب. كان جاك فخورًا بما وصل إليه،

فقضى وقته لا يتحدث عن أي شيءٍ غير إنجازاته . بينما ظل هو يستمع إلى حديثه، دون أن يبدي أي استياء، أو خيبة.
-''يجب عليك الحصول على امرأة يا رجل. إلى متى ستظل وفيًا لها؟ الطفل يحتاج لمرأة أخرى في حياته تساعده، كما تحتاجها أنت أيضًا''. جاك مبديًا اهتمامًا كبير بالموضوع.
نظر لطفله وهو مستمتع بلعق الأيس كريم:
-''لا أعتقد بأن بإمكاني فعل ذلك بجولي أنت تعلم نحن معًا منذ الثانوية''.
-'' عزيزي، انظر لنفسك. أنت حقًا تحتاج لامرأة، كاحتياج دايفيد لأم. أتعلم يمكنني أن أدبر لك موعدًا مع إحداهن، إن أردت ذلك بالطبع''.
تململ قليلًا، ثم هز رأسه رافضًا:
-''لا، لا أعتقد أني بحاجة لذلك''.
-''حسنًا، إن غيرت رأيك فبإمكانك الاتصال بي في أي وقت''.
لم يشعر والد دايفيد بحاجه للنوم ليلتها، لانشغال تفكيره بحديثه مع جاك، وما وصل إليه حتى الآن. بينما هو قابع هنا مع طفله، يشغل عملًا سيئًا، يكرهه. نظر لنفسه بالمرآة يتأملها، جسد مترهل، ذقن وشارب غير مشذب، شعر طويل لم يفكر في قصة منذ خروج ابنه من المشفى. ارتدى قميصه مرة أخرى، ليفاجأ بمنظر القميص المهترأ الذي يرتديه، وكأن الآلوان قد غادرته، لتسكنه البقع، التي نسي غسلها على ما يبدو.
أعاد التفكير بعرض صديقه، ثم نظر مرة أخرى للمرآة:
-''آه، أنا حقًا في حاله يرثى لها''.
* * * *
بعد تفكير، لم يأخذ وقتًا طويلًا لأخذ القرار. الاتصال بجاك،

كان الحل، ليعلن استعداده للقبول بذلك الموعد. وافقه جاك قراره مبتهجًا، مع وعدٍ منه بأن يعجبه الأمر. ثم قام باتصالاته، وهكذا كان اللقاء.
كانت المرأة التي تدعى جين، متوسطة الجمال، لكن مظهرها الذي بدا قد عُد بعناية، زادها جمالًا كانت متوسطة الطول، رشيقة، تميل بشرتها للون الخمري. ترتدي فستانًا أسود طويل- إن صح القول- يصل إلى أسفل ركبتيها بأنش. كان شعرها قد صُفف بطريقة منحت وجهها استدارة ناسبتها.
كان عليه في المقابل الاهتمام بنفسه هو الآخر، لذا ارتدى بذة أعاره إياها أخوه، وقام بقص شعره، وحلق شاربه وذقنه. ليعود بذلك يافعًا، ومهندمًا عن ذي قبل.
بدأت الأمسية في مطعمٍ هادئ، بدأ كلاهما بالحديث عن نفسه، ثم تحولت دفة الحديث –تلقائيًا- إلى العمل، ثم عاودا الحديث عن نفسيهما مره أخرى. حدثها عن زوجته المتوفاة، وعن طفله الصغير دايفيد.
-''آسفة لسماع هذا لكن كيف توفيت؟''
-''توفيت وهي تضع طفلنا الصغير؟'' ثم أبدى تأثرًا جليًا.
يميل هو إلى إخبار البعض، بوفاتها إثر إصابتها بمرض السرطان، كي يكسب تعاطفهم أحيانًا، أو ربما ليبعدهم عن العديد من الأسئلة التي لا يوجد لها أجابات. لكن معها لم يرغب بالكذب، خوفًا من أن يكون جاك –على أي حال- قد أخبرها بذلك مسبقًا. فلا بد بأنه قد أخبرها عنه، كما حدثه عنها. لذا فضل الجانب الآمن من القصة.
انتهت الأمسية، بإعجاب كلًا منهما بالآخر، ودعوته لها بزيارته في المنزل للتعرف على دايفيد. على رغم من أن هذه الدعوة بدت تسريعًا لمجرى الأمور، إلا أنها لم تحاول

الاعتراض، بل أبدت سعادتها بذلك.
في اليوم التالي مساءً، كانت جين تتناول العشاء في منزله، مع طفله. كان دايفيد هادئًا على غير العادة، بينما هي تحاول دفعه لتجاذب أطراف الحديث معها. لكن محاولاتها بأت بالفشل، مما أصابها بالإحباط، وأثار انطباعًا سيء بداخلها بأن هذة العلاقة، لن يؤول أمرها للنجاح.
قاطع دايفيد حديثهما، الذي بديا منشغلين به، يستأذن والده في الذهاب للنوم. فأذن له، ليلحق به بعد عدة دقائق ليرى ما خطبه. كان يجلس على سريره، ممسكًا بالقلادة، يكاد يجهش بالبكاء.
-''دايفيد، ماذا حدث؟''
-''لا شيء، أريد النوم فقط''. ثم غير إتجاه استلقائه للجهة الأخرى.
اقترب منه والده:
-''هيا، ماذا هناك؟ تعلم بأن بإمكانك إخباري أي شيء''.
-''هل ستتزوج جين؟'' باغته بسؤاله.
-''عزيزي، أنا وجين مجرد صديقان. لم نتفق بعد على الزواج''.
-''لكني لا أحبها''.
-''أنت لم تعرفها بعدّ. ربما يمكنك ترك الحكم للنهاية، فلربما تحبها. اعطها فرصتها''.
صاح دايفيد مبتعدًا عنه:
-''أخبرتك بأني لا أحبها، ولا يمكن لي أن أفعل''. ثم أكمل بصوتٍ منخفض يشوبه الحزن: ''أنا فقط أريد أمي''.
-''انتظر هنا، سنعاود الحديث في هذا الأمر لاحقًا''. قال حين تذكر جين الوحيدة بالخارج.

فأسرع ليعتذر منها، ليجدها قد غادرت المنزل.
تقدم دايفيد ببطئ نحو غرفة المكتب. لم يكن الباب موصدًا هذه المرة كعادة والده، كان مواربًا فقط، يخرج من شقهِ ضوء المصباح بالداخل. تهادى لسمعه صوت والده يتحدث لشخص ما. فمال برأسه قليلًا للداخل في فضول، فلم يرى أحدًا. كانَ والده جالسًا على كرسيه، وبيده زجاجة، ميزها جيدًا على صغر سنه. أنها زجاجة الشراب خاصة والده.
فكر قليلًا فيما عليه فعله، وفيما كان بإمكانه الاتصال بخالته ديدا. لكن والده كان قد حذره سابقًا من إخبارها بشي، فتراجع عن ذلك، خوفًا من غضب والده. فربما تتشاجر معه، وينتهي به الأمر في المحكمة، وهو لا يريد إيذاء والده. تقدم بضع خطواتٍ، مزيحًا الباب قليلًا للخلف، ينادي أباه. أشار إليه والده ما أن رأه ضاحكًا بهستيريه، وبلسانٍ متثاقل من أثر الخمر:
-"ها هو السبب يا جولي، بسببه دفعتك بهاتين اليدين". ناظرًا ليديه، ثم أكمل: "يوم ولادتك، تشاجرنا بسببك. كانت المسكينة ترغب في أن تعيش مع أبٍ صالح، كانت تريد مني أن أتعافى لأجلك". ثم رفع نبرة صوته: "لكنها جائتني في الوقت الخطأ، جائتني وأنا بهذة الحالة المزرية. أتعلم، تشاجرنا ليلتها كما لم نتشاجر من قبل، حتى قمت بدفعها لعلها تصمت قليلًا. لكن بدلًا عن ذلك، صمتت للأبد. صدقني لم أقصد أن أُسقطها أرضًا". ثم أكمل مبررًا: "هي من جائتني في وقتٍ خاطئ كما قلت لك. تسببت تلك السقطة في ولادة مبكرة، وموتٌ عاجل لها".
-"أبي! ماذا تقصد؟" هكذا سأله وصوته مختنقًا بالبكاء: "أنت لست بخير أبي. سأتصل بالخالة ديدا".

ثم تركه راكضًا نحو الهاتف، بينما ظل يصرخ عليه، محاولًا إيقافه:
-''لا.. لا دايفيد''.
لكن دايفيد كان قد وصل للهاتف وأمسك به، يضغط ازرار رقم خالته، ليصبح اتصاله بذلك أمرًا واقعًا، رن جرس الهاتف على الجهة الأخرى، ثم فُتح الخط:
-''ألو.. دايفيد''.
لم يكد يجيبها أحد، حتى سمعت صوت ارتطام سماعة الهاتف بالأرض، تتبعته صرخة:
-''لا يا أبي، لا''.

* * * *

في قاعة المحكمة....
-''سيدي القاضي، كما هو موضح لدى سيادتكم فإن موكلتي السيدة ديدا تطالب بحضانة ابن أختها دايفيد. وقد وضحنا لسيادتكم بالأدلة عدم مقدرة والده على تحمل مسئوليته. حيث أن موكلتي، عند اتصال دايفيد الأخير بها، كان فزعًا ويصرخ مطالبًا والده بأن يتوقف عن إيذائه. مما جعل موكلتي تسرع لمنزل أختها، حيث تقطن. لتجد والده في حالة من السكر الشديد، وقد قام بتهشم بعض المزهريات، مما أدى إلى إصابة يده بجرح قاطع''.
ثم توجه بحديثه إلى لجنة المحلفين:
''فلتفترض، أن السيدة ديدا لم يصلها ذلك الاتصال. ماذا كان يمكن أن يحدث لدايفيد من أذى؟ هل كنتم ستسمحون لوالده بحضانته مرة أخرى؟ ليعيش الطفل حالات من الفزع خوفًا من والده السكران، ومما قد يفعله به في حالة سكرة اللاواعي. كيف على طفلٍ كهذا تحمل أثار ذلك طوال حياته؟ وكيف

سيتعايش مع تلك الخيبات؟ أرجوكم أن تمنعوا حدوث ذلك، وأن تمنحوا الوصاية لموكلتي. أرجوكم انقذوه من هذا الأب وانظروا له بعين الرحمة".
-"اعترض، اعترض سيدي القاضي، فالزميلة هنا تحاول كسب تعاطف هيئة المحلفين، بتحويل موكلي إلى وحشٍ شرير".
-"وما هو برأيك؟" قاطعته.
-"اعترض على هذا الأسلوب".
-"الاعتراض مرفوض".
-"سيدي القاضي، لم تذكر زميلتي محامية السيدة ديدا أن والد دايفيد قد تعافى من الشرب منذ زمنٍ طويل. لكنه عن غير قصد أراد شرب بعض النبيذ، مما جعله يفرط قليلًا بشربه، لمروره بيومٍ سيء".
-"مر بيومٍ سيء. هل على كل من يمر بيومٍ سيء أن يسرف في الشراب وأن يسبب الفزع لأطفاله. ربما علينا جميعًا فعل ذلك ما دام مسموحًا". أنهت ساخرة.
-"سيدي القاضي، موكلي يلتمس منكم العذر، ويطالب بالحفاظ على حضانته لطفله. حتى وأن اضطر للدخول إلى مركز للتعافي لفعل ذلك".
في تلك الجلسة، ظل دايفيد صامتًا يطالع الأرض، بينما يتصارع المحاميان كديوك في حلبة مصارعة، على حضانته. فكر في كلمات والده، التي لم يجرؤ على إخبار أحدٍ بها، حتى خالته ديدا، خوفًا من أن تؤذي والده. رفع رأسه لبرهة ينظر لوالده، الذي ما أن بادله النظر، حتى أسرع يطأطأ رأسه إلى الأسفل مرة أخرى.
أنهت المحامية مرافعتها:

-"سيدي القاضي، أن هذا الرجل له ماضٍ في السكر وهو يشكل خطر على حياة ابنه".
انتهت الجلسة، بالحكم لصالح الخالة ديدا، وبهذا انتقلت حضانة دايفيد إلى خالته حتى إكماله السن القانونية، أي الثامنة عشر. حيث سيتم وقتها تخييره، ما بين العودة لأبيه أو البقاء مع خالته. كما حكم على والده بحضور جلسات خاصة لمدمني الكحول. حاولت محامية الخالة ديدا، أن تحصل على أمرٍ بمنع والد دايفيد من رؤيته. لكن القاضي رفض، وسمح له برؤيته بحضور أخصائي اجتماعي مرافق، حتى يتم التأكد لهيئة المحكمة أنه قد شفي من إدمانه.
بعد فقدانه لطفله، الذي منع من رؤيته إلا بوجود شخص ثالث. قرر ألا يحضر اجتماعات مدمني الكحول، لكن محاميه أخبره بوجود فرصة لاستعادة طفله، إذا ثبت شفائه وأنه أصبح صالحًا ليقوم بدور الأب من جديد. كان ذلك الأمل كافيًا، ليجعله مضطرًا للذهاب.
وفي أول زيارةٍ له لدايفيد، بعد ثلاثة أشهر من المحاكمة. لم يلتقه دايفيد، بل ترك له رسالة صغيرة، خطها بيده.
"أبي، أنا أحبك. لكني لا أستطيع رؤيتك الآن. لأنني لا أعرف حتى الآن كيف بإمكاني أن أغفر لك ما فعلته".
* * * *

الفصل الرابع

بدون شجرة تنتمي لها، أنت ثمرة مجهولة المصير

(1)

وضعت ريجينسي وجهها بين الوسادات، تحاول كتم صرختها، بينما كاثرين تهدئ من روعها. ناحت بجسدها بعيدًا:
-"أنا فاشلة، حتى الآن لا تعود الأمنيات التي أمنحها إلا بالخراب على أصحابها".
-"لستِ أنتِ المشكلة. المشكلة لديهم هم، يتناسون كل شيء بمجرد تحقيق أمنياتهم. وكأنهم لم يكونوا راغبين بتحقيقها بشدة".
-"إذًا العيب مني، فأنا اختار من لا يستحقونها".
-"ومن أين لكِ معرفة إن كانوا يستحقونها أم لا؟ أنتِ تقدمين المساعدة لمن ترينه بحاجة إليها. ما بعد ذلك هو بأيديهم".
صمتتا لبرهة من الوقت، قبل أن تسألها ريجينسي بإحباط:
-"ماذا عليّ أن أفعل الآن؟"
-"لا شيء، استمري بمساعدة الأخرين ولا تنظري للنتائج حاليًا. لا بد من أن أحدهم سيعقل أمنيته".
-"رباه، ماذا فعلت لأستحق ذلك؟"
-"لم تفعلي شيء، هيا ارتدي ملابسك ولنذهب لتناول بعض الطعام. لم تأكلي شيئًا منذ البارحة، كما أني أشعر بالجوع".
-"لا أرغب بتناول الطعام، أو حتى الخروج من المنزل. أخاف أن التقي بمن هم بحاجة للمساعدة".
-"عزيزتي، تعاملي مع الأمر، لن تقضي حياتك مختبئة. الأمر لا يستحق، فأنتِ تقومين بواجبك تجاههم، الأمر في النهاية كما اخبرتك سابقًا يؤول إليهم".
-"يا للبشر الأغبياء!، يقضون حياتهم في التمني وما أن تأتيهم

الفرصة لتحقيقها، حتى يفسدوا كل شيء".
-"هم حقًا أغبياء، يحتاجون دائمًا إلى من يرشدهم".
-"ليتني أستطيع، لكن دوري ينتهي حال المنح فقط".
-"ربما تستطيعين".
-"كيف؟"
-"ارتدي ملابسك، وسأخبرك لاحقًا".

* * * *

تناولت كاثرين طعامها وهي تشرح لريجينسي الأمر:
-"ربما عليكِ إرشادهم بدون إظهار ذلك. فقط ضعي لهم قطع الجبن، ودعيهم هم يتتبعون آثارها".
-"لكن هذا تدخل في الأمنية، وقد تنقلب الأمور للأسوء. ربما عليّ مراقبتهم أولًا، لتحديد صلاحيتهم لذلك".
تنهدت كاثرين، ثم طالبتها بإكمال طعامها، بينما ظلت ريجينسي تحدق فيه بلا شهية.
-"أتعلمين، الحياة كالرواية، التي يجب عليكِ تعديل بعض أحداثها لتبدو أكثر منطقية أو لتنتهي بنهاية سعيدة. هكذا نعمل نحن على المخطوطات التي تأتينا، نكشف عنها الأخطاء لنمنحها الهيئة الكاملة. التي تجعلها جاهزة للمتلقي".
أشارت كاثرين للنادل، أن يأتيها بالفاتورة، ليتجها بعدها إلى مقهى ستاربكس، ليتناولا فنجانين من الكابتشينو. تجاذبا أطراف الحديث لبعض الوقت، قبل أن تستأذنها كاثرين في المغادرة لموعدٍ هام مع كاتب صديق، على أن تلقاها بالمنزل مساءً. ظلت ريجينسي ترتشف قهوتها ببطئ كعادتها، وقد ساورها شعور بعدم الرغبة في العودة إلى المنزل. ففكرت بالمشي على غير هدىً، لعلها تهتدي إلى فكرةٍ ما تساعدها أو يساعدها السير على التقليل من هواجسها.

بعد مضي عدة ساعات ضرب بها الجوع، وأشتهت نفسها تناول بعض الطعام. لم يكن بالقرب منها الكثير من محال بيع الطعام، عدا السريعة منها، فقررت على أثر ذلك تناول البيتزا. كالعادة اتخذت طاولة بالقرب من النافذة، حيث يمكنها الاستغراق في التفكير، دون أن يزعجها أحد. تذكرت والدها فزاد ذلك من اضطرابها وشعورها بالعجز. فكرت فيما قد يفعله أخيها الآن بالمملكة، أصابها فجأة شعور قاسٍ بالخيانة استحال لغضبٍ شديد.

انتبهت لجرس المنبه يعلن عن طعامها الجاهز. سحبت جسدها إلى الكاونتر حيث تقبع البيتزا بانتظارها، ثم عادت لطاولتها مرة أخرى. استغرقت بضع دقائق تنظر للطعام، قبل أن تبدأ بتناوله.

في الوقت ذاته، كان المطعم يضُج بصوت إحدى الفتيات، وهي تصيح بعائلتها:

-''أتمنى لو تختفون جميعًا من حياتي''.

وقتها حدث ما لم تتوقعه ريجينسي، حيث لمعت عصاها واهتزت، تحقق الأمنية.

* * * *

حين أخبرت ريجينسي كاثرين بما حدث، صرخت كاثرين فزعة ''رباه''. حاولت الاستفسار منها عن شكل الفتاة أو حتى عائلتها لكن كل ما تذكرته حينها أن الفتاة ركضت بعيدًا خارج المطعم، لتلحق بها عائلتها على الفور، مما لم يسمح لها بالتحقق منهم.

حطت كاثرين على الأريكة، تكمم فمها:

-''ماذا سنفعل الآن؟ اتعرفين سببًا لما حدث؟''

-''لا أدري ما الذي دفع بالعصا إلى تحقيق أمنيتها''.

-"ما الذي يمكن أن يكون قد حدث، لتفعل عصاكِ ما فعلت. هل انشغلتي بفعل شيئًا ما مثلًا؟ لا أدري..."
-"لا على الإطلاق، لقد كنت جائعة ومحبطة كنت أفكر بوالدي وأخي الخائن. حتى أني لم أرغب بتناول الطعام من شدة الضيق، لولا الجوع".
-"رباه، ربما إنتقل هذا الاضطراب إلى العصا. فأعتقدت أنكِ راضية عن تحقيق الأمنية، ربما...".
-"ماذا علينا أن نفعل الآن؟"
-"علينا أولًا البحث عن هذه الفتاة ومحاولة العثور عليها وعائلتها. على أمل ألا تكون الأمنية قد تحققت".
أدركت ريجينسي وقع المصيبة، فبسببها تحققت أمنية ستؤدي إلى تدمير حياة عائلة كاملة. في البداية حاولت كاثرين معرفة شكل الفتاة، لكن كل ما ذكرته الأخرى بعد محاولتها التذكر. كان تقريبًا وصف لكل فتاة أمريكية مراهقة، شعر أصهب قصير، وجهٌ ملئ بالنمش، وترتدي نظارات طبية.
كانت الخطوة الأولى، التي قررتا فعلها، هي معرفة اسم العائلة. خططت كاثرين للبدء من حيث بدء كل شيء، المطعم. وبسؤال أحد العاملين هناك عنهم، أخبرهم أسفًا بأن الكثير من العائلات يأتون لتناول الطعام هنا، وبالطبع لا يعرف الكثير منهم، إلا من اعتادو على المجئ هناك بشكلٍ دائم.
وصفت له ريجينسي الفتاة، ليخبرها ككاثرين أن أغلب المراهقات يحملن نفس الوصف. حينها ذكرته بما حدث وقتها، فتذكر من فوره:
-"تقصدين سارة ابنة عائلة فورستهام".
-"أعتقد ذلك، هل يمكنك أن تخبرنا أين تقطن عائلة فورستهام؟"
-"للأسف، لا أعرف مسكنهم. كل ما أعرفه أنهم يأتون إلى

هنا كل نهاية أسبوع لتناول البيتزا".
تركهما الفتى مع بضع كلماتٍ لم تُفد بشيء، لا جديد يمنحهم الأمل في الوصول إليهم قبل وقوع الكارثة، أو ربما بعد وقوعها. تسمرتا في مكانهما محبطتان، تشعر ريجينسي بالذنب يقتلها، بينما تحاول الأخرى جمع شتات أفكارها في طريقها إلى الخارج.
في ذلك الوقت كان مدير المطعم العجوز يراقب الموقف من بعيد. وحين أنهى الفتى حديثه معهما، اقترب منه يسأله عما كانتا تريدان منه؟ فأخبره بسؤالهما عن عائلة فورستهام، وبما دار بينهما من حديث.
ضرب الرجل رأس الصبي بخفة:
-"ولماذا لم تسألني، أيها الغبي؟ أنا أعرف السيد فورستهام وأعرف أين يقطن".
-"لم أكن أعلم بأنك تعرفهم".
-"إن عادتا مرة أخرى للسؤال عنهم، اخبرني".
هز الفتى رأسه إيجابًا، ثم عاد لا مباليًا، لعمله.
* * * *

(2)

بالرغم من حصولهما على اسم الفتاة وعائلتها، إلا أنه كان من الصعب عليهما البحث في مدينة يسكنها العديد من البشر، عن تلك العائلة. ناهيك عن أنهم لا يعرفون عن تلك العائلة أي شيء، غير اسمهم. فلا يعرفون عنوان مسكنهم، ولا حتى الحي الذي يقطنون فيه. لامت ريجينسي نفسها، كونها السبب فيما يحدث، فلو لم تكن تلك المشاعر المحمله بالعدائية قد خالجتها، لما حدث ما حدث.

لقد شاركت الآن في جريمة إختفاء عائلة بأكملها، ولو كان ذلك عن طريق الخطأ.

فكرت كاثرين في توزيع المنشورات، التي تسأل الناس فيها مساعدتها في البحث عنهم. لكن الفكرة كانت لتعود عليهما بالمشاكل، والكثير من الضوضاء والتساؤلات. حتى الأمل في أن يجدو خيطًا آخر يوصلهم لتلك العائلة، لم يكن كافيًا. فكيف لهن ذلك؟ لم تكن تدري.

اقترحت ريجينسي أن ينتظرا ليوم الأحد، وهو الموعد المنتظر لزيارة العائلة للمطعم. ولقلة الخيارات المتاحة، تم الإتفاق على تنفيذه في النهاية. رغم اعتراض كاثرين في البداية، خوفًا من أن يُصيب العائلة أي مكروه في الفترة المقرر انتظارها.لم يكن إخبار الشرطة، بفكرة سديدة على أية حال. فمن يمكنه تصديق حكاية الأمنيات؟ كما أنهما سيضعان نفسيهما بموضع الشك، خاصةً أن أصاب تلك العائلة شيء. أخذت ريجينسي تبكي بهيسترية فور سماعها ذلك، مما أضطر كاثرين لصفعها بلطف:

-''تماسكي يا فتاة. لا نريد المزيد من الكوارث''.
كفكفت دموعها، تحاول التماسك، وهي تنظر كل دقيقة إلى عصاها في ارتياع من أن تصاب بالهستيرية مثلها، فتسعى لتحقيق أمنيات الجميع. لم يعد أمامهم إلا الصبر، ويا له من وقعٍ مؤلم ذلك الذي يصدره.

* * * *

أسبوع كامل من الهواجس والشكوك، قضياها في انتظار يوم الأحد. يقدمان خطوة ويؤخران أخرى في طريقهما إلى المطعم، يتبادلان حروف الصمت بينهما، علهما يجدان من يُزيح عنهما ألم كل ساعات الانتظار الفائتة.
كان المكان مزدحمًا، فاختصرتا طريقهما إلى نفس الفتى الذي التقتا به أول مرة، يسألانه عن عائلة الفورستهام.
أجابهما الفتى وهو يل كان وضعا غريبًا م أكياس الكاتشب، وعلب المياة الغازية، بأنه لم يرهم اليوم على غير العادة. ثم وجههما إلى مديره العجوز، موضحًا بأنه يعرف العائلة عن قرب. فرحت ريجينسي، بينما غضبت الأخرى وهي تؤنبه على عدم ذكر هذه المعلومة المهمة المرة الماضية، وبلا مبالاة أخبرها بأنه لم يعلم بذلك إلا بعدما غادرتا، ثم غادر متجهًا إلى الجزء الداخلي من المطعم.
كان على كاثرين أولًا إيجاد سبب لذلك الاهتمام المفاجئ بالعائلة، سبب يقنع العجوز ولا يثير الشكوك حولهما، خاصةً مع اختفاء العائلة الغريب. ولما لم تجد في ذاكرتها ما يمكن أن يساعدها، رأت أنه من السهل إقناعه برغبتها في لقاء السيد فورستهام بخصوص عمل.
-''نعم، نرغب بمقابلته بخصوص عملٍ ما''. كاثرين تحملق فيه لتكتشف ما أن كان قد كشف كذبتهما.

-''وكيف عرفتماه؟''

-''دلنا أحدهم عليه. ونحن بحاجة لعنوانه''.

-''لا أعلم ما نوع العمل الذي قد يجمعكما بالسيد فورستهام، أنه جابي ضرائب عزيزتي، والجميع يخافه. لا يهم، هذا هو عنوانه وحظ موفق لكما'' وقبل أن تمسك كاثرين بالورقة المدون عليها العنوان، همس لها بهدوء: ''أنصحك أنستي بالحذر في التعامل معه''.

ابتسمت كاثرين ابتسامة بلهاء، ثم شكرته، وغادرتا في عجلة بين نظرات الرجل المحملقة فيهما في شك.

* * * *

تنفستا الصعداء فور خروجهما من المكان، فيما قبلت ريجينسي الورقة بامتنان. كان المنزل يبعد عن المطعم، خمس قطاعات، قررتا معها استقلال تاكسي للوصول سريعًا الى هناك. كان المبنى كبيرًا، يحوي العديد من الشقق السكنية، وقد كُتبت أسماء قاطنيها على الجرس السفلي بجانب الباب. كان عليهما فقط البحث عن اسم السيد فورستهام، والضغط على زر الجرس الخاص بشقته، ومحاولة إقناعه أن يأذن لهما بالصعود.

-''فورستهام.. فورستهام.. أها ها هو السيد فورستهام، جورج''. ضغطت كاثرين الزر، وهي تتبادل وريجينسي نظرات قلقة.

في البداية لم يجب أحد، مما استدعى الضغط عدة مرات على الجرس، قبل أن يقررا التفكير بحل آخر. كادت ريجينسي تشرع في البكاء، لولا أن صوتًا أجش أسكتها، بسؤاله عن ماهية الزائر.

ارتسمت الابتسامة على وجهيهما، وخف القلق كثيرًا:

-"سيد فورستهام، أنا كاثرين. أنت لا تعرفني، لكني بحاجة للتحدث إليك".
أشارت ريجينسي لها أن تغادرا، ما دامت قد اطمئنت على العائلة. موضحة بأنه لم يعد هناك سببًا للمتابعة.
أجاب الصوت مترددًا، وقد شابه حُزنٌ ما:
-"آسف آنسة كاثرين، لا يمكنني استقبالك في الوقت الحالي. ليتك تعودين يومًا أخر".
-"أنه بخصوص سارة".
صمت الرجل لبرهة، ثم تهادى إلى مسامعهما صوتًا أنثويًا -بدا وكأنه لزوجته- تطلب منه أن يفتح لهما الباب. بضع دقائق مرت، تم كتم الصوت فيها، دلالة على جدالٍ يحدث.
-"يا إلهي!، ماذا سنفعل الآن؟"
-"لا شيء سندعي أننا من نادي رياضي يفكر في ضم ابنته لفريقه".
-"لا أؤمن بالكذب، فالكذب دائمًا ما يجر خلفه المصائب".
-"أننا الآن أمام مصيبة، فلنحاول أولًا الخروج منها والاطمئنان على الفتاة".
قاطعهما صوت أزيز الباب يفتح، معلناً استعدادهم لمقابلتهما. مما زاد من توتر ريجينسي.
-"أنتِ تجلبين لنا المشاكل يا كاثرين. الرجل وزوجته بخير، فما الداعي للصعود".
-"يجب أن نطمئن بأن الأمور بخير. كما أن الأمنية ما زالت قيد التحقيق، أليس كذلك؟"
-"وماذا سنفعل إذاً؟ قد يعتقد الرجل بأننا مجنونتان، وقد يطلب لنا الشرطة أيضاً".
-"ألم تسمعي صوت الرجل، لقد كان بائسًا وكأنه يعاني من

مشكلة. أنا أشك بأن هناك خطبٌ ما".
-"وماذا لو لم يكن هناك شيء؟ ربما يكون كل ما حدث مجرد خيال".
-"إن كنتِ قد تخيلتي ذلك، فيمكنني الآن إخبارك بأننا في مأزق".
-"رباه، دعينا نغادر".
-"لا، لكن التزمي بالخطة".

* * * *

استقلتا المصعد إلى الدور العاشر، حيث تقطن عائلة فورستهام، لتفاجئا برجل سامق، نحيل البنية، ذو شارب مشذب، وملامح صارمة، حاول تخفيفها بابتسامة غير جادة في تأكيد وظيفتها، يقف أمامهما. من خلفه تقف امرأة في العقد الثالث من عمرها، صهباء الشعر، قصيرة، ذات عينان واسعتان، بندقيتي اللون. تبادلا النظر فيما بينهما، وقد بدا على المرأة القلق، وعلى الرجل الانزعاج.
تجاوزت المرأة زوجها، الذي وقف محدقًا بهما في انتظار أن يبررا رغبتهما في مقابلته، فيما رحبت بدخولهما زوجته.

تصاعدت حدة التوترات فور دخولهما، على الرغم من الثقة التي أصابت كاثرين على حين غرة، لتحدثهما بصراحة:
-"نحن نعلم بما حدث مع كايتي؟" لكزتها ريجينسي مشدوهة.
-"حقًا، إذًا اخبرينا لماذا تتصرف بهذا الشكل؟" المرأة بلهفة.
-"ماذا تقصدين بذلك؟" ريجينسي مستفهمة.
-"عن أي حديث جئتما لتتحدثا معي. أخبرتماني بأنكما تعرفان ابنتي، فسرا لي وجودكما هنا في الحال". الرجل بحزم.
-"حسنًا، نحن نعلم بما حدث بالمطعم، وتلك الأمنية التي

تمنتها كايتي".
-"الجميع يعرف ذلك. فما الجديد؟" الرجل مستهزءً.
-"لا شيء، جئنا فقد للاطمئنان عليكم، لا أكثر".
-"ومن أين تعرفوننا لتطمئنوا علينا". الرجل بحنق قبل أن يكمل في تضايق: "اعتقد بأن عليّ طلب الشرطة".
قاطع حديثهما، طفلهما وهو يبكي، ممسكًا بملابس والدته يشدها:
-"أمي، كايتي ما زالت تتجاهلني".
-"اصعد الآن إلى غرفتك بيتر. والداك لديهما أمرٌ مهم يتحدثان فيه".
-"ماذا يقصد بتجاهلها له؟" ريجينسي موجهه سؤالها للمرأة.
-"لا شأن لكِ بنا. أرجوكما غادرا المنزل وإلا طلبت الشرطة لكما. وأقسم أن ....".
-"سيدي، لقد جئنا لمساعدتكم. ما تمنته ابنتك قد يتحقق وستختفون من حياتها للأبد". ريجينسي مقاطعة.
وضعت المرأة يدها على فمها في صدمة:"يا إلهي!. ثم أجهشت بالبكاء، بينما يحاول الرجل احتضانها لتهدئتها.
التفت الرجل لريجينسي:
-"وكيف لكِ أن تعلمين ذلك؟".
-"لا شأن لك سيدي بما أعرف وما لا أعرف. المهم في الأمر أننا نستطيع مساعدتكم".
-"الفتاة منذ ذلك اليوم لم تعد طبيعية". الأم موضحة.
-"كيف ذلك؟ أخبريني كل شيء سيدتي". ريجينسي وهي تجلس بجانبها.

****

"الأمنية الرابعة والخامسة"

صباح اليوم التالي، لأمنية كايتي. استيقظت كعادتها، تتجه للمطبخ في كسل لتناول طعام الإفطار. لكنها على غير العادة، لم تجد أحد، أطباق الفطور كانت قد أُعدت، لكن لم يكن أحدٌ قد تناول أيًا منها. بدأت تنادي والدتها وهي ما زالت تفرك عينيها الناعستان، ولما لم تجب، عادت تنادي والدها، الذي لم يجبها أيضًا. اعتقدت حينئذ أنهما بالخارج، لذا لم تُبدي إهتمامًا بالأمر، فعلى الأرجح قد غادر والدها مسرعًا للعمل كأكثر الأيام، ولم يسعه الوقت لتناول فطوره.

تناولت إفطارها، ثم صعدت لغرفتها، وأوصدت الباب، قبل أن تشرع في تشغيل أغانيها المحببة إليها بصوتٍ عال. ثم شغلت الكمبيوتر المحمول خاصتها، لتعبث قليلًا على الإنترنت وتحادث صديقاتها لساعاتٍ لم تحصها. حتى ضرب بها الجوع، مما دعاها إلى إغلاق كل شيء، والذهاب إلى والدتها، والطلب منها أن تصنع لها شيئًا تأكله.

حين تذكرت أنها المرة الأولى، التي لم تأتي والدتها لزجرها كي تخفض من صوت موسيقاها العال، الذي –في الغالب- يشتكي منه الجميع.

- "ربما لم تعد والدتي بعدّ من الخارج، لكن لمتى ستبقى؟" ثم داهمها سؤال آخر: "لماذا لم يأتي شيطاني –تقصد أخاها بيتر- الصغير لمناكفتي والشجار معي على أشيائي ككل مرة؟ إن كانت والدتي ووالدي بالخارج، فأين أخي الشقي؟" فكرت.

اتجهت بعدها إلى غرفة أخيها بيتر، ودون أن تطرق الباب،

قامت بدفعه على مصرعيه، لكنها لم تجده.
-"لا يمكن أن يكون قد ذهب للمدرسة، فنحن في العطلة الصيفية. آه يا لي من غبية!، لعله ذهب مع أمي للحديقة. أه ذلك المزعج! يبدو أني سأرتاح منه قليلًا".
توجهت للمطبخ بعد وقت، وهي تغني، قامت بفتح الثلاجة فلم تجد شيئًا تأكله، فصنعت لنفسها ساندويتشًا من زبدة الفول السوداني. ثم عادت لغرفتها، تكمل غنائها.
بعد تناول وجبتها الصغيرة، غفت قليلًا. لتجد الظلام قد حل حين أفاقت من قيلولتها.
فركت عينيها، وذهبت تبحث عن والدتها، تناديها، لكنها لم تجب. أسرعت نحو الغرف، تفتح أبوابها بسرعة، لكن دون جدوى. حاولت الاتصال بوالدها على هاتفه المحمول، بيد أن كل مرة يرن هاتفه، يُفتح الخط لمدة ثوانٍ لا تسمع فيها إلا السكون، ثم يُغلق الهاتف بوجهها دون إجابة.
كان وضعًا غريبًا ذلك الذي وجدت نفسها فيه، ومع الخوف الذي بدأ يتسلل إلى داخلها، لم تدري ما عليها حقًا فعله.
-"لقد اختفت عائلتي!" همست.
لتفاجأها تلك الكلمات بوضع هي اختارته أو بالأصح تمنته.
لتتسع عينيها على أخرهما، تصرخ:
-"يا إلهي !".

* * * *

أكملت المرأة بعد أن هدأت:
-"في صباح اليوم التالي لحادثة المطعم، استيقظت كايتي كعادتها. جائتني للمطبخ وهي تناديني، لكن كلما أجبتها بدى لي وكأنها لا تسمعني. ظلت تناديني وتنادي والدها، حتى -على ما يبدو- ملت. ثم أخذت تحدث نفسها كالمجنونة، عن

كوننا خارج المنزل. تناولت إفطارها، وعادت لغرفتها. ونحن نحملق بها جميعًا في دهشة".
-"لقد ظننا في البداية أنها تحاول تجاهلنا بسبب ما حدث ذلك اليوم. لذا تابعنا لعبها ذلك وتقبلناه، تعرفين المراهقين. ولكي لا نرضخ لها قمنا بتجاهلها بالمثل كعقاب لها". الرجل مقاطعًا.
-"نعم، لكن الأمر أخذ في التزايد. خاصةً أنها لم تتحدث إلى أحدنا طوال اليوم، وكأنها لا ترانا بالفعل. تبقى تحدث نفسها طوال الوقت، حتى أنها قامت بالاتصال بوالدها. الذي كلما أجابها، تزيد في ندائه وكأن صوته لم يصل إليها. غضب والدها وقتها، وأمرني بعدم التحدث إليها، ظنًا منه بأنها تستخف بنا.
لكن اليوم التالي كان مفجعًا، فالفتاة استيقظت سعيدة وترقص، بل تغني أيضًا
"أخيرًا تخلصت منهم..
أخيرًا تخلصت من أخي المزعج..
ووالدي العصبي..
وأمي كثيرة الصراخ..
"لالالالا.."
اقترب منها بيتر يمازحها كعادته، لكنها لم تحاول الصراخ ومنعه من ذلك، كما تفعل دائمًا. فجميعنا يعلم بأنها لا تتقبل منه شيء ، كما أنها دائمة الشكوى منه أيضًا. حتى بيتر شعر بأن هناك شيئًا غريبًا أصاب أخته. جائني الصبي يسألني في خوف أن كانت أخته الكبرى قد أصيبت بمكروة.
حاولت الإمساك بها، هزها، لكن ذلك بات سدى، فلم تكن الفتاة تشعر بشيء، بل لم تبادلني النظر حتى. ولأول مرة في حياتي، قمت بصفعها، أتهمها بسوء الأدب، لكن ذلك لم يأت

بنفع. كنا حقًا قد اختفينا من حياتها، كما أظهرت الأيام".
-"لا تقلقي، سنحاول مساعدتك بهذا الأمر". كاثرين.
-"هل فتاتي من أصيبت بالجنون أم نحن من أصبنا بذلك؟ أرجوكِ اخبريني". الأم وهي تمسك بيد كاثرين بقوة.
-"لا تقلقي، أرجوكِ، اكملي ما حدث بعد ذلك؟"

* * * *

في اليوم الثالث، طلبت كايتي البيتزا وشربت الكثير من المشروبات الغازية، التي كانت والدتها تأمرها بالتقليل من شربها. ثم اتصلت بأصدقائها تدعوهم لحفلة في منزلها مساءً. لكن لم يحضر أحد ، تقسم أنها كانت تسمع صوت جرس الباب يدق، وما أن تتجه لإجابة الطارق، فلا يجيبها أحد بالمثل.
في اليوم التالي لذلك، اتصلت بها صديقتها تؤنبها على ما فعلته بالأمس. وأخبرتها بأن الجميع غاضبٌ منها، ولن يغفروا لها ما حدث.
-"لكن ماذا فعلت؟" سألتها عن غير فهم، لتفاجأها صديقتها بغلق الهاتف بوجهها، لتنهي بذلك المكالمة.
فكرت كثيرًا، فيما يمكنها أن تكون قدأخطأت فيه لكنها لم تجد شيئًا يستحق، أهذا جزاءها لدعوتها إياهم للاحتفال؟.
هم المخطئون لتجاهلهم دعوتها تلك، ليس هي.
-"يا إلهي!، الآن لا عائلة ولا اصدقاء. ماذا يحدث لي؟" همست لنفسها وهي تلقي بجسدها على السرير.
في تلك الليلة، استيقظت بعد منتصف الليل للذهاب للحمام، حين سمعت صوتًا آت من المطبخ. ركضت بهدوء نحو غرفة والديها، ترغب في إيقاظهما فلعل ذلك الصوت آتٍ من لص، اقتحم المنزل بغية سرقتهم ثم قتلهم وهم نائمون.
فتحت باب الغرفة، لتتذكر أن ما من أحدٍ هنا، بسببها. ركضت

كالطفلة واختبأت تحت سريرهما، وهي تحاول استراق السمع، خوفًا من أن يكتشف اللص مكانها. كانت الأصوات تقترب من الغرفة، تحرك مقبض الباب قليلًا، لكنه لم يفتح، وكأن المجرم قد تراجع عن قراره باقتحامها.
كاد قلبها أن يقف من الخوف ليلتها، حين استيقظت صباحًا، لتجد نفسها نائمة تحت سرير والديها.
هنا فقط، تذكرت ما حدث، وشرعت في البكاء.

* * * *

حل المساء، فدعاهما والد كايتي لتناول طعام العشاء. بينما أكملت زوجته إخبارهما بما حدث. أخبرتهم عن تلك الحفلة التي أعدت لها ابنتها، وعن أصدقائها اللذين حضروا، معتقدين بأن عائلة كايتي قد سافرت كما أخبرتهم هي.
تولى ليلتها زوجها إخافتهم، حيث تربص لهم بجوار الجرس، كلما رن أجابه أن يغادر فورًا، ليفروا هاربين. فمن بالمدرسة لا يعرف السيد فورستهام؟ الجميع بمن فيهم كايتي ابنته، يخافونه.
في البداية، كانوا ينصرفون بمجرد سماعهم صوت السيد فورستهام، وهم يعتذرون لكن العدد بدأ بالتزايد، والجميع أخذوا في التوافد للمبنى. فأضطر السيد فورستهام إلى جلب كرسي، والجلوس أمام الباب، كي يكون في استقبالهم.
كان السيد فورستهام يحاول منعهم خوفًا من فقدان السيطرة عليهم، نظرًا لعددهم الكبير. لذا كما أخبرتك فتح باب المبنى، وقام بطردهم واحدًا تلو الآخر، حتى انتصف الليل.
-"لقد انتهى ذلك اليوم بسلام، رغم حزن كايتي على حفلها الذي أُفسد. تفهمون ما أقصد".
-"يا إلهي، نسيت اخباركم بما حدث في الليلة التالية. كنت

نائمة بسريري بينما جورج بمكتبه، يعمل كثيرًا هذا الرجل".
ضحكت بهدوء مازحة، ثم أكملت: "تلك الليلة دخلت كايتي الغرفة تناديني، بدت فزعه وخائفة. وما أن تذكرت عدم وجودنا -على ما يبدو-، أسرعت تختبئ تحت سريرنا. حاولت أن أُشعرها بالأمان بالتحدث إليها، لكنها لم تسمعني، كما تعرفون".
-"نعم، أتذكر تلك الليلة، كنت بالمطبخ أشرب الماء، بعد وقت طويل قضيته بالمكتب. ليلتها رغبت بالعودة للنوم، لكن ما أن وصلت لباب الغرفة وأمسكت مقبضه. حتى تلاشى النوم من عيني ما أن تذكرت كايتي وما يحدث لنا. لذا عدت لمكتبي لأدفس حزني بين أوراق العمل" السيد فورستهام مقاطعًا.
-"لقد أخذت في البكاء تلك الليلة دون أن تصدر صوتًا، فقط نشيجها كان يخبرني بذلك. نمت على الأرض بجوارها احتضنها، خوفًا عليها. حتى تعبت، وغطت في النوم حتى الصباح".
-"منذ تلك الليلة، وهي سجينة غرفتها. تبكي ليل نهار". السيد فورستهام بحزن.
-"صغيرتي مكتئبة، أنها تفتقدنا".
-"ألم تحاولوا فعل شيء طوال هذه المدة؟".
-"حاولنا كل ما يمكنك التفكير به. حاولنا التحدث معها، لمسها، لكن دون فائدة. إلا أن الفتاة كانت تشعر بنا، أستطيع أن أقسم لكم بذلك".
-"لم تكن كايتي تتناول الطعام، قلقنا كثيرًا عليها. لذا كنا نطلب البيتزا المفضلة لديها، ونضعها أمام باب غرفتها. كنا نتركها مفتوحة الغطاء، لتصلها رائحتها، فتعلم بوجودها".

-"وماذا حدث بعد ذلك؟"
أخبروها بأن الفتاة بدأت تستجيب لذلك الأمر، بفعل الجوع. عندما فتحت الباب أول مرة، نادت بعلو صوتها، ما أن رأتها، على والديها، اعتقادًا منها بعودتهما. كانت سعيدة لوهلة، فأسرعت تبحث عنهما، لكن ما لم تجدهما، حتى عادت للبكاء.
في ذلك الوقت، كادت الأم تصاب بالجنون، كانت حزينة لما يحدث لطفلتها، ولديها رغبة شديدة بإيجاد طريقة لإنهاء ذلك. حتى جائتهم فكرة الكتابة على الورق، لذا في المرة الثانية لطلبهم البيتزا، أرفقوها برسالة خطها والدها. وظلوا في حالة ترقب لما سيحدث، وعندما فتحت كايتي الباب، أخذت العلبة وتأملت الورقة، ثم لا شيء.
لقد كانت الورقة فارغة بالنسبة لكايتي، فلم يظهر لها ما تم كتابته من قبل عائلتها. في تلك اللحظة فقدت العائلة الأمل، وإيقنوا بأن هذا الوضع سيدوم، سيدوم إلى وقتٍ طويل. وفي تلك اللحظة اليائسة، نطق بيتر الصغير ببرائه، أعظم فكرة قد تخطر ببالهم، نوعًا من الكلمات الصغيرة التي وجدوها محاولة، قد يقدر لها النجاح.
-"لقد قال بكل بساطة، إن كانت كايتي لا ترى ما نكتبه. فربما لو كتبه أحدًا آخر ستتمكن من رؤيته". أخبرتهم السيدة فورستهام.
في تلك الساعة، أعادوا طلب بيتزا جديدة. وعندما وصل عامل البيتزا، طلبوا منه أن يكتب بعض الكلمات على ورقة، رغبةً منهم في حصر الأمر عند ذلك الحد. وبالفعل استجاب لهم وهو يطالعهم بنظرات شك، محدثًا نفسه –بدون شك- بأن هذه العائلة قد أصيبت بالجنون.
تركت صندوق البيتزا خارج الغرفة، داعين أن تجدها كايتي

سريعًا. كانت الفتاة غارقة في النوم وقتها من شدة الحزن الذي ألم بها. وهم بدورهم، غلبهم النوم بجانب غرفتها.
في الصباح الباكر، أفاقوا على صراخ كايتي القافزة فرحًا:
"نعم، نعم، كنت أشعر بأنكم ما زلتم هنا معي".
-"وماذا كتبتم في الورقة؟" كاثرين بفضول.
-"كتبنا... نحن هنا بجانبك، لا داعي للقلق، سنجد حلًا لهذه المشكلة".

* * * *

عندما استيقظت كايتي في الصباح، كانت عيناها حمراوان ووجهها شاحب. كان ضميرها ما زال يؤنبها لما فعلته، كما خيم الخوف على مشاعرها وتفكيرها، مما جعلها تعجز عن اللجوء لأحدهم. ماذا كان بإمكانها أن تخبرهم؟ أنها السبب في اختفاء عائلتها بسبب أمنية سخيفة تمنتها. هل سيتوقف الأمر عند هذا الحد؟ أم أنهم قد يتهمونها بقتلهم وإخفاء جثثهم، وإدعائها الجنون، بموضوع الأمنية؟
كانت يائسة، بائسة، كل ما تتمناه هو أن تطمئن عليهم، أو تعرف –على الأقل- ما قد حل بهم. قلقها، زاد من عجزها عن اغتصاب بضع دقائق من الراحة، فيما شكلت لها غرفتها سجنًا، ارتضت أن تعاقب نفسها بالبقاء فيه. فها هو منزلهم قد فرغ منهم، كما تمنت، فلماذا لا تشعر بالسعادة لذلك؟ لماذا لم يشكل لها ذلك الفراغ الأجوف أي متعة؟
حين ظهرت علبة البيتزا الأولى أمامها، انتابتها لحظة من النشوة، حتى كادت قدماها أن تطيران فرحًا، كما تفعل الأميرات حين يلتقين بمن أحببن. إلا أن تلك المشاعر سارعت بالاختفاء، فور اكتشافها أن لا أحد في المنزل. بصيص الأمل هرع ينطوي خلف مشاعر الخوف، على الرغم من شعورها

بوجودهم قربها.
-"يا إلهي!، ماذا فعلت؟" همست حين واتتها فكرة غريبة، بأنهم قد تحولوا لأشباح، مما يفسر عدم استطاعتها لرؤيتهم.
كانت فكرة فقدان والديها وأخيها الصغير للأبد أو تحولهما لأشباح –إن صح ظنها-، قاسية ومرعبة بالنسبة لكايتي. فمعنى ذلك، أنها ستقضي حياتها كلها وحيدة، لا تجد من يحميها، يهتم بها، ويؤنس وحدتها. تذكرت والدتها، عندما كانت تجلب لها الفطور –أحيانًا- لغرفتها، وتدعوها بالأميرة سنو وايت، لحبها الشديد لتلك الشخصية.
تذكرت والدها، نعم.. والدها القاسي المخيف -الذي لم يكن بهذا السوء حقًا حين فكرت بالأمر- عندما كان يأخذها إلى الحديقة وهي صغيرة للعب. حين كان يدفعها دائمًا على الأرجوحة، ويناديها بأميرتي الصغيرة. كل هذا اختفى، حين تمت ترقيته، ليصبح بعدها مزاجيًا ومخيف. لكنه برغم ذلك لم ينسى يومًا عيد ميلادها، حيث يأخذها لتناول الأيس كريم، ثم لشراء دمية كهدية لعيد ميلادها. ألقت نظرة على مكتبتها، وتذكرت كمية الكتب التي قضت أيامًا في شرائها، مستخدمةً بطاقته الائتمانية. لم ينزعج من ذلك قط، بل يهديها بطاقات مكتبية بقيم مختلفة كل مرة، تشجيعًا لها.
فجأة أصبحت تمقت أفعاله تلك، منذ اعتقدت بأنها قد كبرت على أن يصطحبها لتناول الأيس كريم، أو شراء الدمى. تطالبه بأن يعاملها على هذا النحو، ككبيرة، متناسيه تلك اللذة التي كانت تشعر بها برفقته. افتقدت تلك الأيام، ربما لو حاولت تفهم تلك الضغوط التي يعاني منها والدها، والتقرب إليه، لما حدث ما حدث.
قاطعت أفكارها رائحة البيتزا، كان الجوع يضرب جدران

معدتها. اقتربت من الباب مهرولة، فانزلقت أرضًا، بعد وطئها للعبة صغيرة تعود لأخيها بيتر. لتعيد إليها ذكرى جلوسه بجانب سريرها وقت مرضها، ليغني لها أغنية الشفاء، التي ألفها خصيصًا لها. في حين أنها كانت تتأفف من صوته المزعج في الغناء، آمرةً إياه أن يتركها بسلام.
-"كم اشتاق إليك يا بيتر؟" قالت وكفها يحتضن اللعبة، ثم اغرورقت عيناها بالدموع. حتى نسيت جوعها وغفت على الأرض، تكور نفسها كجنينٍ أتسع العالم فجأة عليه.

* * * *

في صباح اليوم التالي، وجدت صندوق البيتزا كما هو بالخارج، إلا من ورقة قد ألصقت على سطحه الخارجي. أمسكت بالورقة بلهفةٍ تقرأها، لا تصدق ما يتراءئ لها من حروف، كانت كفيلة بأن تصيبها بخليطٍ من الجنون، السعادة، والحزن معًا.
-"أنتم بخير، حمدًا لله". صرخت بسعادة. قبل أن تعقب بحزن: "لكن..لكني لا أراكم. فهل أنتم الآن أشباح؟"
صمتت لبرهة في انتظار إجابة، لكن الهدوء الذي يعم المكان، لم يبشر بالكثير.
مضى بعض الوقت، قبل أن تجد ورقة أخرى، كانت قد دُست لها من تحت الباب. تركت سريرها وركضت نحوها شوق لجديد.
-"نحن لسنا أشباحًا. لكن هناك ما يمنعك من رؤيتنا أو التواصل معنا. وكأننا اختفينا حقًا كما تمنيتي".
فتحت الباب بسرعة، تجهش في البكاء:
-"يا إلهي، ماذا سنفعل الآن؟ أنا آسفة بحق". مسحت دموعها بكف يدها، وهي تصرخ من جديد: ربما لو تمنيت أن أراكم

من جديد، ستتحقق أمنيتي، أليس كذلك؟".
أبدت بعض التماسك، وهي تهم بإغلاق عينيها، تتمنى أن ترى عائلتها من جديد، لكن شيئًا لم يحدث. فأغلقت عيناها مجددًا، وتمنت هذه المرة صدقًا من قلبها، وعادت تفتحهما ببطئ، لتجد الحال كما هو عليه. سقطت أرضًا تنتحب:
-"أنا آسفة، الذنب ذنبي. أنا آسفة".
* * * *
-"حاولت الفتاة تمني أمنية معاكسة لأمنيتها السابقة. لكن شيء لم يحدث". والد كايتي بخيبة.
-"لا يمكنها التمني مرة أخرى، لها فقط أمنية واحدة". ريجينسي.
-"ماذا تقصدين بذلك؟" سألها والد كايتي بعدائية.
-"سيدي، هدئ اعصابك. أعتقد أن بإمكاننا مساعدتكما. لكن عليكم منحي بعض الوقت للتشاور مع صديقتي".
-"أنتم من جئتمونا، لا نعرف عنكم شيئًا. على عكسكن، فأنتن تعلمن عنا كل شيء، حتى عن الأمنية يبدو أنكن تعلمن الكثير". حدجهما فجأة بنظرة شك، وهو يصغر عيناها: "هل أنتما مشعوذتان؟"
-"أرجوك سيدي، لسنا كذلك. عليك الآن تركِ وريجينسي وحدنا، من فضلك".قالت كاثرين بحزم.
كاد الرجل أن يفقد أعصابه، لولا تدخل زوجته، الذي جاء سريعًا، تطالبه فيه بالهدوء. على أمل أن يكون باستطاعتهن حل المشكلة في الوقت الراهن. تركهم الرجل على مضض، ولحقت به زوجته، منضمين بذلك لطفلهما بيتر بغرفة التلفاز.
نظرت كاثرين لريجينسي، تسألها عن حل لهذه المعضلة. فلا يمكن للفتاة أن تعيش بهذا الشكل، كما لن تستطيع عائلتها.

أعادت ريجينسي سرد ذات الكلمات عليها، بأن لكل شخص أمنية واحدة، وليس باستطاعتها أن تمنح كايتي أمنية أخرى. فالقوانين هي القوانين.
ترجتها كاثرين، أن ترأف بحال الفتاة وعائلتها المزري، في محاولة للضغط عليها لإيجاد حلٍ بديل.كأن تكسر الأمنية، لكنها عادت تشرح لها أن لا شيء هناك يدعى ''كسر الأمنيات''.
صمتتا يفكران، حين سألتها أن تشرح لها قانون الأمنيات ذاك. وإن كان هناك ما يمنع من لهم علاقة بالمتمني أن ينالوا أمنية هم أيضًا.
-''ماذا تقصدين؟''
-''أقصد أن كان قانون الأمنيات خاصتك، يمنح المرء أمنية واحدة. فمعنى ذلك، أنه لا يمنع وجود شخصين من ذات العائلة لهم حق التمني''.
-''أتقصدين''.
-''نعم.. لا يوجد حل أخر''.
* * * *
كان السيد جورج انتقاديًا، لذا كان من الصعب إقناعه بموضوع الأمنية. أما الطفل فمن الوارد أن تطغى عليه طفولته، ويتمنى الألعاب عوضًا عن الأمنية الأساسية. ''لا يمكنك الوثوق بطفل، فهم مزاجيون على الأرجح'' قالت كاثرين. فما كان منهما إلا اختيار الأم، كونها الشخص الأسهل إقناعًا، والأكثر مرونة.
-''سيدتي، لدينا حل لمشكلتكم. لكن عليك أن تعدينا بألا تخبري أحدًا بما سيحدث الآن''. قالت كاثرين لوالدة كايتين بعد أن طلبت منها الإنضمام إليهما في المطبخ.
شعرت المرأة بالقلق والتردد، قبل أن تجيبهما، ولما رأت أن

لا فائدة من ذلك، أقسمت على عدم البوح. أشارت كاثرين إلى ريجينسي، التي أخرجت عصاها، بين ذهول المرأة التي كادت تصرخ فزعًا، وبين كاثرين التي كانت قد تحضرت لهكذا حدث. فأسرعت تذكرها بقسمها، وبأن كايتي ستبقى على هذه الحال، حتى تفعل ما يريدانه منها.

-''سيدتي، لكِ الآن أمنية واحدة فقط. فأحسني التمني''.

وأعادت عليها ذات الصياغة السابقة لكل أمنية تمنحها. وبدون تفكير، أغلقت الأم عينيها:

-''أتمنى لو أن كل شيء يعود كما كان، وأن تتوقف أمنية كايتي عن التحقق''.

هزت ريجينسي عصاها كالعادة مرددة:

-''لكِ ما تمنيت''.

* * * *

الفصل الخامس

لا تخشى البداية، اخشى دائمًا النهاية

(1)

في طريق عودة ريجينسي من عملها، مرت بجانب المطعم الذي شهد واقعة أمنية كايتي. لتلمح عبر زجاجة، عائلة فورستهام تتناول البيتزا في منتصف الأسبوع على غير عادتهم، وقد بدت عليهم السعادة، بعد أن ألتم شملهم من جديد. كانت كايتي تضحك، ووالدها يضمها إليه بحنان. كادت ريجينسي تلوح لهم، لكنها آثرت أن تنتهي القصة عند هذا الحد.

أكملت طريقها نحو المنزل، حيث التقت بجيمس. من منكم لا يعرف جيمس؟ الجميع يعرفه بهذه المدينة، أنه المليونير الذي أضاع أمواله بالبورصة، ليغدوا بعدها فقيرًا. يجول شوارع المدينة، جارًا عربة التسوق الحديدية، التي تحوي أشيائه الثمينة –كما يسميها- من الخرق والملابس المهترئة، والقمامة العفنة.

بالرغم مما حدث له، ومن التحول الكبير الذي طرأ على حياته، إلا أنه ما زال يملك بعض الحظ، الذي يجعل أحدهم كل صباح يغدق عليه بالقهوة والطعام سواء كانت قطعة دونت، أو كعك محلى، أو حتى نصف ساندويتش. كان إفطاره متوفرًا على الدوام، إلا أن ساعات الغداء، كانت الساعات الأوفر، حيث يلتقي بالعائدين من أعمالهم في طريقه، ممن يهبون له بعضًا من دولاراتهم التي تكفيه لشراء ما يسد به جوعه.

وهكذا كان يلتقي بريجينسي دائمًا، حيث كانت تحييه ليعاود تحيتها فقط. لم يقترب منها قط، يتسولها لبعض المال كعادته مع الآخرين. حتى حين تقترب هي منه لإعطائه بعض الطعام -الذي جلبته معها من المطعم- كان يأمرها بوضعه

بعيدًا والمغادرة.
كثيرًا ما كانت تتعجب من خوفه ذاك، فلم يبد عليها يومًا ما قد يزرع الرعب في نفوس الآخرين. على عكس باقي المتسولين والفقراء ممن تعرفهم ويعرفونها جيدًا -منذ حادثة المرأة العجوز- الممتنين لمساعدتها لهم، كونها الوحيدة التي تشعر تجاههم بالحنو، عوضًا عن الشعور بالقرف والتجاهل.
في تلك الليلة، اقتربت منه تعطيه بعض الطعام، كالبقية. فطالبها بما يطلبه منها دائمًا، أي وضع الطعام والمغادرة. وكادت أن تفعل، لولا أنها أصرت على معرفة سر خوفه منها. التفتت نحوه بهدوءٍ تسأله:
-''جيمس، لمَ تخاف مني؟''
-''لأنني أعرف حقيقتك''.
ترددت لبعض الوقت، قبل أن تسأله في توتر، حاولت جاهدة إخفائه:
-''حقيقتي! ما هي حقيقتي بنظرك؟''
أجابها بخفوت بينما يختفي خلف عربته في الزقاق:
-''أنكِ هي؟''

* * * *

لم تستطع ريجينسي كتم ما حدث عن كاثرين، التي لم تكترث للموضوع، وأخبرتها بلا مبالاة بأن الجميع يعرف أنه مجذوب، لا يؤاخذ بما ينطق به لسانه. لكنها ظلت في حيرة من تلك التي يشببها بها جيمس؟ والتي لسوء حظها تبدو سيئة لدرجة إخافته.
مع مرور الوقت حاولت تناسي الموضوع، لما لم يفلح تفكيرها في فهم ما يحدث. ساورها إحساس بالهم على حين فجأة، جعل من نبض قلبها المتسارع دلالة على حدوث شيء سيء

بحق والدها. تشتاقه كثيرًا. فتقضي كل ليلة في البكاء، ورغبة بالعودة تتعاظم مع مضي الوقت هنا. "تُرى كيف حالك الآن يا أبي". تسألت.
لاحت من التفاتها نحو المرآة، فتاة ضعيفة، ما كان والدها ليحبها على هذا الشكل. كانت بائسة حقًا، لاتهتم بشيء، حتى بنفسها على نحوٍ واضح اقتربت من المرآة تكفكف دموعها، وتحاول جمع بأسها، وفي تصميم:
-"يجب أن أجد حلًا يساعدني على العودة، لكن كيف؟"
في تلك اللحظة، طُرق الباب، أنها كاثرين تدعوها لمشاركتها الجلوس، وتناول بعض الفشار، بعد أن فشلت فشلًا ذريعًا في استجلاب النوم.
تعاني كاثرين من الأرق، منذ بضعة أيام، ولم تكن ريجينسي على دراية بسر ذلك، كما لم تفصح الأخرى من جهتها عن سببه. كانت كثيرًا ما تراها في الفترة الأخيرة، تشاهد التلفاز، أو تُعد القهوة بعد منتصف الليل، أثناء مرورها للذهاب للحمام.
في إحدى الليالي، حين كانت في طريقها للمطبخ، سمعتها تبكي في غرفتها.
لحت عليها رغبة شديدة بسؤالها عما بها، لكنها خافت من أن تبدو كمن يحشر أنفه فيما ليس له به شأن، خاصةً أن كاثرين من النوع الكتوم، الذي لايفصح عن خصوصيته بسهولة.
في الصباح، سمعتها تبكي مرة أخرى، لكن هذه المرة في الحمام.
طرقت الباب في اضطرابٍ ،تسألها عما بها. لتفتح لها الباب، حاملة بيدها قطعة بلاستيكية، لم تميز ريجينسي ماهيتها.
-"كاثرين، أخبريني ما بكِ، لماذا تبكين؟"
-"أنا حامل". كاثرين بقهر.

* * * *

سقطت كاثرين من على الأريكة من شدة الضحك، كانت نكات أريك مضحكة إلى الحد الذي لا تستطيع معه إيقاف ضحكها. وعلى الرغم من محاولات ريجينسي لمجارتهم، وهي تلمس ذلك التألف الشديد بينهما، إلا أنها لم تنجح على النحو المطلوب. ربما لو لم يكن لأريك صديقة، لكانت نهايته الطبيعية مع كاثرين، بالزواج وإنجاب الأطفال. لكنها على حد قولها لم تكن تفكر في هذه الأمور حاليًا، فالترقية القادمة سترفع من شأنها، وهي ما قضت حياتها تعمل لأجلها، والتي بسببها تحملت الكثير من البغضاء.

حتى حين أخبرتها ريجينسي بذلك الحلم، حيث رأتها تبكي بالحمام لتعلن بعدها أنها حامل، لم تكترث له على الإطلاق، بل أخذت في الضحك. ضاربة رأس ريجينسي برفق:

-''عزيزتي، توقفي عن الحلم بالكوابيس''.

-''وهل الحمل كابوس؟''

-''نعم، اسمعيني ريجينسي، هنا إنجاب ابن بلا زواج يعني أنك ستقضين عمرك كله أم عازبة، تضيع حياتها ومستقبلها من أجل طفل سيتنكر له والده. وسيقضي حياته كلها يسألك عنه كما سيسأله الجميع. أن أنجبت فسأرغب بالإنجاب من الرجل الذي أحب''.

لقد كانت هنا تعرف حقًا ما تقول، فكونها ابنة غير شرعية، لأب تنكر لها ولوالدتها. عايشت قسوة التجربة كطفلة، كانت تهاتف والدها كل يوم ظنًا منها بأنها قادرة على أن تجعله يبادلها ذات الحب، الذي تحمله له. ليغلق الهاتف في وجهها كل مرة، دون أن يحاول حتى الاستماع إليها.

ظلت سنوات طويلة تحاول، وتحاول للوصول إلى قلبه، حتى

بعث لها رسالة ذات مرة يطالبها فيها بأن تتوقف عن الاتصال به، وأن تنسى كل شيء يمت له بصلة . كانت تلك الرسائل في العادة ترسل لوالدتها، التي كانت تخفيها عنها، كي لا تدمرها نفسيًا.
حتى آن الآوان لها لكي تكبر، وتفهم بأن الحياة ليست بتلك البراءة التي تعتقدها. لذلك كبرت كاثرين قبل أوانها ونضجت كالثمرة قبل حلول وقت قطفها. وأصبحت لا تكترث لأحد إلا لنفسها، تقضي معظم وقتها بالعمل. لا تدري من ماذا تهرب أكثر، أفكارها أم ذكرياتها؟
-"هل ترغبين يومًا بالزواج؟"
-"ربما، يومًا ما، إن وجدت توأم روحي. لكن الآن، عمل.. عمل.. عمل"قالت، وهي تتجه للمطبخ لإعداد القهوة.
فيما ومضت في رأس ريجينسي كلمة "توأم الروح" عدة مرات. لتتسأل أن كان لها هي الأخرى توأم روح، يجوب انحاء هذا العالم بحثًا عنها، بينما هي لا تعرف عنه شيئا. قاطع شرودها كاثرين، وهي تلوح بيدها أمام وجهها، تسألها أن تفيق من أحلامها الوردية. ثم ناولتها علبه من عصير الزنجبيل الذي تحبه، وبعض رقائق البطاطس.
تلك الليلة، قضت كلتاهما -بعد مغادرة أريك- الليل تشاهدان فيلم A walk to Remember.
حيث أجهشتا في البكاء، وإلتهام رقائق البطاطس التي تبعها إلتهام صحن كبير من الفشار. وبانتهاء الفيلم، أعلنت نهاية ليلتهما، لتعودا لغرفتيهما بغية النوم بعد ذلك. في حين بقيت ريجينسي بعض الوقت مستيقظة تفكر، تحملق في سقف غرفتها متساءلة، أن كانت ستلتقي بشخصٍ يحبها كم أحب البطل البطلة في الفيلم. ثم أغلقت عينيها وهي تتمنى لو أنها

تلتقيه سريعًا.

* * * *

في اليوم التالي، وأثناء عودة ريجينسي للمنزل، مرت على الزقاق حيث اعتادت توزيع الطعام. لم تجد جيمس يومها. حاولت سؤال الآخرين عنه، لكنهم أخبروها بعدم معرفتهم لمكانه، كونه كثير التحرك. في تلك الليلة، وجدت زائرًا جديدًا، ينضم لقاطني المكان.

كان يبدو عليه أنه ببداية طريقة في التسول، فما زال يرتدي بذته الرياضية النظيفة، التي لم تتسخ بعدّ بتراب الشوارع. اقتربت منه تمد إليه يدها بعلبة من الطعام، ليرفض أخذها في إباء من أن يتناول بقايا طعام شخصٍ أخر. حاولت جاهدة اقناعة بأن الطعام نظيف لم يمسه بشرٌ. لكنه رفض بشدة وغادر حانقًا.

تأملته جيدًا، بعد أن عكس ضوء مصباح الشارع ملامحه. كان شابًا في الثلاثين من عمره، شعر قصير أشقر، أبيض البشرة، متوسط الطول، يعلو حاجبه علامة كالجرح، وله ذقن صغيرة قد تم حلاقتها بفن. لقد كان عاديًا إلى حدٍ ما، لكن غموضه ذاك أضاف إليه مسحه خاصة من الهيبة.

-"لا تكترثي له، اعطني الطعام سأعطيه له حين عودته".

جائها صوتٌ هادئ من الخلف. لقد كان جيمس يقود عربته، التي تعلوها علبة ملئة بقطع البيتزا، التي يتناول أحدى قطعها ببطئ.

-"هل تعرفه؟"

-"أنه جديد ههنا، لكنه سيعتاد قريبًا على هذه الحياة، إن جاز تسميتها بذلك".

تقدمت نحوه تعطيه الكيس، حين أشار لها –كعادته- أن تبتعد.

-"نعم، نعم.. ضعي الكيس بعيدًا وغادري". رددت ريجينسي مبتسمة.
كانت هذه المرة الأولى التي يتحدث فيها جيمس معها بشكل شبه مطول، أن حسبت تلك الكلمات على أنها أكثر كلماتٍ قام بنطقها معها.

* * * *

في اليوم التالي، حدث ذات الشيء، لم يقبل الغريب طعامها. فأصبحت تتركه على مقربة منه، إلى حين يضربه الجوع، فيغير رأيه.
وظلت على هذا المنوال فترة، حتى بدأ يتحول إلى متسول حقيقي، حينها فقط، بدأ بأخذ الطعام منها، بل وبانتظاره وأن كان يخفي ذلك متناسيًا كل شيء من شدة الجوع، على الرغم من بقائه منطويًا، لا يرغب بالحديث، لا معها، ولا مع غيرها.
لاحظت فقط في الفترة الأخيرة، أن قطة صغيرة أخذت ترافقه، حيث يذهب. عندما سمعته لأول مرة يتحدث الى أحدهم، أثار ذلك فضولها، مما جعلها تقترب منه بهدوء، لتفاجأ بأن لا أحد هناك.
سألته بلطف، عمن كان يحادثه؟ لكنه لم يجبها وكأن أذناه قد أصابهما الدرن. حتى خرجت القطة من خلفه من تلقاء نفسها تموء، من رائحة الطعام.
أخذ يتحسس فرائها بلطف، وهي مستسلمة له. لطفه ذاك، شجع ريجينسي على تقديم نفسها له. فإن كان لا يرغب بتقديم نفسه، فلا ضير من أن تقوم هي بذلك ثم مدت له بكيس الطعام، تناول منها الكيس دون إبداء أدنى إهتمام. وقام بفتحه، متناولًا ما فيه، بعد إعطائه للقطة نصيبها.
عندها فقدت الأمل في أن ينطق بحرف، جذبت حقيبتها وهمت

بالمغادرة، حين استوقفها صوته قائلًا:
-"أنا ماثيو".

* * * *

وضعت كاثرين قناعًا من خليط الزبادي وبذور الفاكهة المجففة على وجهها، وغطت عينيها بقطعتي خيار، ثم استلقت على الأريكه بأريحية. بينما كانت ريجينسي تُعد بعض طعام الغداء. دقائق حتى صاحت بها من الصالة:
-"كيف كان عملك بالأمس؟ لقد نمت متعبه، فلم أستطع انتظارك ككل مرة".
-"كان جيدًا". أجابتها بتملل.
-"أتعلمين، أعتقد أن الوقت قد حان لتبحثي عن عملٍ أخر، عزيزتي".
-"تعلمين أني لا أتقن شيئًا غيره".
-"أعلم، لكن بأمكانك التعلم. فلنبدء بتعلم طريقة استخدام الكمبيوتر أولًا".
أومأت ريجينسي برأسها موافقة، ثم تابعت تحضير الأرز. كانت تؤمن بأنها لا تصلح لشيء، ففي قصرها لم تكن تتقن شيء غير الحياكة، التي تعلمتها فقط لقتل الوقت. تأملت الملعقة بيدها:
-"ربما عليّ أن أتقن كيف أصبح شخصًا ذي نفع".
صاحت بها مرة أخرى تسألها عما تحدث به نفسها، لكنها أشارت لها من بعيد "بلا شيء". أعادت سؤالها عندما لم تسمع أجابة، فلقد نسيت ريجينسي أنها تضع قطعتي خيار، تمنعها من الرؤية. لذا أجابتها هذه المرة بصوت مسموع:
-"لا شيء مهم".
بعد تناول طعام الغداء، الذي أشادت به كاثرين، أحضرت

جهاز الحاسوب المحمول خاصتها. وطلبت منها أن تجلس بجوارها. أخبرتها في البداية بعض المعلومات عن الحاسوب، كتاريخ صنعه والهدف منه. ثم بدأت تشرح لها بعض القواعد، التي عليها إتباعها لتشغيله. وهكذا قضيا النهار، في محاولات و تجارب لإتقان العمل عليه.
في المساء، ارتدت كاثرين فستانًا أسود طويل، وأعطت ريجينسي فستانًا آخر تمتلكه لترتديه. لحضور حفل تقيمه الوكالة خاصتها، للاحتفاء بإنضمام كاتب جديد لها.
في البداية رفضت الذهاب واعتذرت من كاثرين، لكن الأخيرة أصرت على ذهابها، كونها ترى أنه من غير اللائق أن تقضي عطلة نهاية الأسبوع، وحيدة.
كان لديها رغبة في دمج ريجينسي بالمجتمع، حتى يصبح من السهل عليها التعايش معه. كما أنها أرادت أن تنسيها ولو لبعض الوقت مملكتها تلك، التي قد لا تعود إليها على أسوء تقدير. وتعريفها بمملكة جديدة ستضطر يومًا ما للاستسلام والعيش فيها للأبد.
أستقلتا التاكسي، إلى حيث مكان الحفل. كانت كاثرين تُعدل من هيئتها، فيما كانت ريجينسي شبه غارقة في التفكير.
-"فيما تفكرين، عزيزتي؟"
-"لا أدري، أشعر بشعور سيء لا أدري ماهيته".
-"لا تخافي، أنتِ فقط قلقة. أنها المرة الأولى التي تخرجين فيها من عزلتك وتختلطين بالناس أعلم أنهم بغضاء بعض الشيء، لكن أرجوكِ حاولي الاستمتاع قدر الإمكان. قد انشغل عنك لبعض الوقت معهم، فلا تبتأسي".
توقفت عن الحديث فجأة، لتتفحص حقيبتها، لتخرج بعدها علبة البودرة وبدأت بوضع اللمسات الأخيرة على تبرجها.

وما كادت تنتهي، حتى وصل التاكسي إلى المكان المقصود. على البوابة وقف الحارس في انتظار الحضور، وما أن رأهما حتى أسرع في فتح باب التاكسي لهما. ليتوجها بعد ذلك للداخل، مرورًا بممر طويل مليء بالتحف. كان المكان حافل بالبشر، المتهيئين للاحتفال.
تأملت ريجينسي الثريا الجميلة منبهرة، حتى كادت تصطدم بالنادل في طريقها، بينما تركتها كاثرين لتحيي رئيسها في العمل -والذي تبغضه إلى حدٍ لا يوصف- بعد أن أخذت بيد الكاتب، للقائه.
-"أتصدقين أنهم قد يفعلون كل هذا، من أجل شخص لا يتقن الكتابة أكثر مما يتقن الغزل، لكن للحق يمكننا القول أنه ممن يستطيعون جني الملايين، بمجرد خربشات".
جائها الصوت من خلفها مفاجًأ، وهي منشغلة بتناول المعجنات، التي يقدمها النادل للحاضرين. مما جعلها تُسقط القطعة الأخرى من يدها أرضًا. أنحنت بسرعة لإحضارها خجلة، في ذات اللحظة التي انحنى فيها هو الآخر ، ليصطدم رأسيهما ببعضهما.
-"أعتذر لك على ما حدث، لم أقصد إخافتك، لكنك تبدين وحيدة..". ثم أكمل هامسًا: "وجميلة.. هذه الليلة".
-"أه، آسفه لم أنتبه لوجودك. أشكرك على أي حال". قالت بتوتر.
-"لنعد لموضوعنا، هل تصدقين ما يحدث؟"
-"آسفه، لكني لا أفقه كثيرًا بهذه الأمور. أنا حتى لا أعرف الكاتب. لقد جئت برفقة صديقتي التي تعمل بالوكالة".
ضرب رأسه بهدوء، وكأنه يوبخ نفسه:
-"آسف لم أعرفك بنفسي. أنا باتريك، نائب رئيس تحرير

مجلة OMG“
هزت رأسها بلطف:
-”أهلاً بك.. أنا ريجينسي“.
سألها مرة أخرى، وهو يتناول شرابه مشيرًا بأصبعه نحو الحضور:
-”إذن، مع من من هؤلاء الجميلات حضرتي الليلة؟“.
جالت ببصرها تبحث عن كاثرين بين الحضور، حتى وجدتها. فأشارت نحوها:
-”مع كاثرين، أنها هناك“.
ارتشف ما تبقى من كأسه بسرعة، حين بدأت الفرقة بالعزف، ثم مد لها يده يدعوها للرقص.
* * * *

(2)

في تلك الليلة، عادت كاثرين غاضبة، بل تستشيط غضبًا، بينما تحاول ريجينسي تهدئتها. لكن كلمة واحدة فقط هي ما كانت تطلقها بين الحين والآخر، كلما نطقت ريجينسي بكلمة:
-''أوه، باتريك ذلك اللعين''.
لم تعرف سر غضبها من المدعو باتريك، ولماذا تدعوه باللعين؟ فلقد بدت هادئة وهي تحييه، بعد رقصته مع ريجينسي. بل وتبادلا الحديث، رغم كونه قصيرًا وغير مفعم بالكلمات، إلا أن كلاهما لم يتوقف عن الابتسام لبعضهما.
فكيف يمكن لأحد أن يبتسم في وجه شخص يبغضه؟ لم تفهم ريجينسي ذلك الشعور ولم تجد له تفسيرًا. فاجأها صوت كاثرين تحدثها:
-''عليك الابتعاد عن هذا النذل، هل طلب رؤيتك مرة أخرى؟ هل أعطيته رقم هاتفك؟''
-''اهدئي يا كاثرين، لقد كانت رقصة فقط تلك التي طلبها، لم يطلب الرجل شيء آخر. لقد تمنى رؤيتي مرة أخرى فقط، مودعًا أياي عند نهاية الأمسية''.
-''أه، كم أكرهه! لا أريد أن أراكِ تتحدثين إليه من مجددا.''
-''لماذا. ماذا فعل لتكرهيه إلى هذا الحد؟''
لم تجب، واكتفت بأن غيرت دفة الحديث، بالثرثرة عن كاتبها الأحمق. حين قاطعتها ريجينسي:
-''لقد وصفه باتريك تقريبًا بالشيء ذاته''.
-''يا إلهي، كنت أعلم بأن الجميع يعرف ذلك. لقد رفضت قرار إلحاقة بالوكالة، لكن مديري المتعجرف وافق عليه دون

تردد". ثم توقفت لبضع دقائق، تحدجها بنظرة ثاقبة: "ممم.. وبماذا أخبركِ أيضًا؟"
-"قال أنه لا يعرف شيء إلا جني الملايين".
-"لا أقصد الكاتب، ألم يحدثك عني. أقصد ألم تتحدثا عني؟"
لم تفهم ما أرادت معرفته بالتحديد، لكنها أجابتها بالنفي.
لتصيح كاثرين مغتاظة من جديد:
-"اللعين".

* * * *

ذات صباح، وريجينسي في طريقها للعمل، اصطدمت بها سيارة بينما تحاول قطع الطريق. كانت الإصابات طفيفة، لكن الطبيب طلب إبقائها بالمشفى لأسبوع، كي تتعافى.
جائتها كاثرين تركض، حين علمت بما حدث لها. كانت تلهث حين وصلت غرفتها بالمشفى، لتجد قدمها قد جبست وربطت لأعلى:
-"ذلك الأحمق يقول طفيفة، أهذا ما يسمونه الآن بالطفيف؟!".
اطمأنت عليها في البداية،قبل أن تخبرها بأن اللعين باتريك، قصدها للسؤال عنها هذا الصباح.
-"ماذا أخبرتيه؟" هكذا سألت ريجينسي بهدوء كي لا تثير اعصاب كاثرين.
-"لا شيء، أخبرته بأنك سافرتي إلى لوس أنجلوس. ثم جائني اتصال المشفى فقطعت حديثي معه وغادرت".
-"لماذا تكرهينه؟ ماذا فعل بكِ ليستحق كل هذا؟" سألتها بتردد.
-"ولماذا تهتمين بمعرفة ما حدث؟ هل أوقعك في حبه أيضًا؟"
أجابتها بحنق، ثم عادت تبدي هدوءً زائف: "سأذهب لإحضار القهوة".

استطاعت ريجينسي أن تفهم، ولو بشكل بسيط سبب حقد كاثرين على باتريك. ربما كانت تحبه، لكن يا ترى هل بادلها ذات الشعور أيضًا؟
في تلك اللحظة، كانت كاثرين قد عادت، وهي تلعن آله القهوة المعطلة. وقد بدا عليها البؤس واضحًا.
-"ربما عليّ الذهاب لإحضارها من المقهى، سأعود بعد قليل".
اسندت ريجينسي رأسها على الوسادة، ثم حملقت إلى خارج النافذة، تطلق بصرها نحو السماء البعيدة.
-"ما تراه قد فعل بكِ باتريك يا كاثرين العزيزة؟".
* * * *
عادت ريجينسي إلى المنزل بعد أسبوع تستند إلى عكازين، تقدم قدمًا، وترفع أخرى. تذكرت حينها عدم اتصالها بعملها، بعد أن أنساها بقائها في المشفى فعل ذلك. لتخبرها كاثرين بأنهم قد أتصلوا بالفعل، مستائين لتغيبها المفاجئ -كما أخبرتها زميلتها المتصلة- لتطلب منها كاثرين إخبارهم بالحادث الذي ألم بها، مع وعد بحضورها لتقدم استقالتها من العمل.
فغرت ريجينسي فمها، لا تستوعب ما فعلته كاثرين بها:
-"ماذا؟"
-"اسمعي، منذ الآن ستعملين كمساعدة لي". حدثتها بجد.
-"لكني لا أفقه في عملك شيء".
-"لا بأس ستتعلمين بسرعة، وسأقوم بمساعدتك. كما أنك الأكثر ملائمة لهذه الوظيفة فأنتي تعرفينني جيدًا، كما أن وظيفتك لا تتطلب مهارات كثيرة".
-"ماذا عن مساعدتك الأخرى؟"
-"لقد تركت العمل لتتفرع لطفلها الجديد، إما أنها حمقاء أو

بائسة. كان بإمكانها وضعه بحضانة والاحتفاظ بوظيفتها، لكنها...''. ثم ضحكت ساخرة: ''لكنها كما وصفت ترغب بأن تكون عائلة''.
-''العائلة هي كل شيء''.
اطرقت رأسها للأسفل في صمت، وبصوتٍ خافت:
-''ربما''.
عاتبتها بعدها على اتخاذها القرارات الخاصة بها، دون الرجوع اليها. لكن حماس كاثرين لعملها معها جعلها تقرر، دون فعل ذلك. فهي دائمًا ما تأخذ الأمور ببساطة، ليس كلها على الإطلاق، لكن في الغالب كل قرارتها تكون سريعة لكنها عقلانية نوعًا ما.
ناهيك على أن ريجينسي بالفعل، كانت قد كرهت عملها بالمطعم، لما كان لكلمات كاثرين عن التغيير والآرتقاء بوظيفة أفضل، من تأثير كبير عليها. لدرجة جعلتها تتمنى لو أنها تتقن شيئًا أخر، تستطيع به الحصول على وظيفة أخرى بكل سهولة.
لذا كانت الفرصة التي قُدمت لها على طبق من فضة، غير قابلة للنقاش أو التفكير. وافقت فحسب، وأتفقتا على أن تتماثل للشفاء أولًا، حتى تنهي كاثرين المعاملات المتعلقة بها، لتبدأ عملها في المكتب. شعرت ريجينسي بالحماس، وهي تتخيل ما سيبدو عليه العمل بالوكالة، حيث مكتبك الخاص ومرتب مجزي قابل للزيادة. ثم تذكرت أصدقائها من الشحاذين، وغيابها غير المبرر لهم، طيلة بقائها في المشفى. كانت تأمل أن يكون هناك من أهتم بهم في تلك الفترة.
ولوهلة قررت التحامل على نفسها، رغبةً منها في الذهاب إليهم، بيدّ أن كاثرين منعتها من التحرك.

استغلت كاثرين فترة تعافي ريجينسي لتعلمها كل ما تحتاجه لتصبح مساعدتها الخاصة، وبالفعل تطور أدائها إلا من الطباعة، التي كانت ما تزال بطيئة فيها إلى حدٍ ما. شرحت لها قواعدها في العمل، وكيف أنها هناك تصبح أقرب للوحش، منها للإنسان. فهي عصبية ونزقة في كثير من الأحيان، خاصةً عندما تزداد الضغوطات بشكل أو بآخر. حتى بدا لها أن العمل معها، قد يبدو كارثيًا، لكنها تحدت نفسها في تحقيق نجاحها بل وفي التميز في صنع ذلك -على الأقل هذا ما كانت تأمله-.

بعد تعافيها فكرت بزيارة أصدقائها في الزقاق. جلبت بعض الطعام من أحد المطاعم القريبة، بغية توزيعه، وأتجهت إليهم. لم يكن جيمس متواجدًا كالعادة، لكن ماثيو –على عكس الماضي- كان في انتظارها وقد ساوره القلق من غيابها مما جعله يركض نحوها، ما إن رأها، يسألها عن سببه.

كانت تبدو عليه معالم اللهفة والشوق، التي شعرت بها ريجينسي لأول مرة.

-"لم ينتظرني أحد من قبل بهذة اللهفة". همست لنفسها.

أخبرته بالحادث، الذي وقع لها، وهي تناوله علبة الطعام. ليظهر جيمس من خلفهما، وبلا مبرر:

-"وهل تُكسر أرجلكم أيضًا مثلنا؟".

-"ماذا تقصد؟" سألته بتوتر.

-"لا أقصد شيئًا". أجاب بلا مبالاة.

طلبت ريجينسي من ماثيو، أن يكمل توزيع صناديق الطعام عنها. لتلحق بجيمس، تسأله أن يتوقف، لكنه تابع سيره وكأنه لم يسمع شيء. مدت يدها لتلامس كتفه، في محاولة للفت إنتباهه إليها. لكنه أخذ يصرخ مبتعدًا، يأمرها بألا تلمسه.

رفعت يديها للأعلى، تسأله أن يهدئ، لكنه أخذ في التراجع للخلف، وهو ينظر إليها في هلع:
-''لماذا تخافني إلى هذا الحد يا جيمس؟ ماذا فعلت لك؟''
حدجها جيمس بعينين ضيقتين:
-''لقد رأيت كل شيء؟''
-''وماذا رأيت؟'' سألته في تعجب.
عاد بعربته للخلف، وهو يتراجع ليختفي في الظلام:
-''لقد رأيت ما حدث بالزقاق تلك الليلة''.
* * * *
ركض ماثيو بعد توزيعه الطعام إلى حيث كانت تقف هناك، بعد اختفاء جيمس. سألها وهو يلهث:
-''ماذا قال لكِ هذا المخبول؟''.
-''لم يقل شيئًا''. ثم تركته شاردة، وبدأت في السير وحدها. حين لحق بها لمرافقتها، التفتت إليه فجأة، تسأله:
-''ما هي قصتك يا ماثيو؟''
-''ولماذا يجب أن تكون لي قصة؟''.
-''لأننا نولد من أرحام الحكايات. كل منا لا بد له أن يمتلك واحدة''.
-''حسنًا، أخبريني أنتِ بقصتك أولًا''.
-يومًا ما، سأخبرك بها، لكن ليس اليوم. أستأذنك، عليّ العودة إلى المنزل''.
وبعد أن خطت بضع خطوات للأمام، أوقفها صوته يناديها:
-''ألا ترغبين بسماع قصتي؟
توقفت عن السير، وتسمرت في مكانها، حتى اقترب منها، يجاورها المشي.
أخبرها بأنه كان ابنًا لرجلٍ ثري، أضاع كل ثروته في القمار،

وعندما توفي اكتشفت عائلته، أو ما تبقى منها وهو الابن والوريث الوحيد. أن والده توفي وهو لا يملك شيئًا، بعد أن قام برهن جميع عقاراته، الواحدة تلو الأخرى، طوال تلك السنوات، على أن يعوض خسارته ذات يوم ويستعيد ما فقده من جديد.
كما اكتشف ماثيو بعد موت والده بأنه قد أقترض بعض المال في أيامه الأخيرة، من أحدى العصابات. التي تبحث عنه الآن، لتحصيل نقودها أو قتله. فقدّ المال والشهرة، بين ليلة وضحاها. تركه الجميع بمن في ذلك أقرب أصدقائه، كما كان يدعي، فأخذ بالتسكع هنا وهناك، هربًا من تلك العصابة. حتى وجد نفسه بلا مال يكفيه حتى قوت يومه، ليتحول بذلك إلى لا شيء.
-"لماذا أخبرتني بذلك؟"
-"لا أدري، ربما لأنك الوحيدة التي تهتمين بالمنبوذين مثلي".
-"عليّ العودة للمنزل الآن".
-"ألن أراكِ مرة أخرى؟"
-"عزيزي، أنا أزوركم كل ليلة، فلا تقلق".
-"أوه، أعتقد أن غيابك كل تلك الفترة، أنساني أشياء كثيرة".

* * * *

(3)

اليوم الأول في العمل لدى كاثرين كان مقيتًا بكل ما تعنيه الكلمة. فهناك الكثير من الاتصالات، الرسائل البريدية والإلكترونية التي تحتاج إلى ردود، الكثير من المخطوطات التي تحتاج إلى فرز وتنظيم، والكثير من المواعيد التي تحتاج إلى تذكير. حتى فنجان القهوة الذي استبدلته عشرات المرات، كان يلقى حتفه باردًا، قبل أن تستطيع شفتاها احتضانه.

لقد كان يومًا كارثيًا بالنسبة لها، أخذ الجميع يتبادلون فيه النظرات الضاحكة والهازئة بها. حتى عندما حاولت طلب المساعده منها، لتوجهها على الأقل إلى ما عليها فعله، كان ردها الوحيد :

-"تصرفي يا ريجينسي، أنا مشغولة".

في نهاية اليوم، كان مكتبها عبارة عن فوضى عارمة، اضطرت معها للبقاء حتى تنتهي من تنظيمها، قبل حلول يوم العمل التالي. كانت الوكالة بعد الدوام، فارغة، مظلمة، وتدعو للاسترخاء. لملمت أوراقها، وترتب مخطوطاتها، وردت على الرسائل المتأخرة، ودونت مواعيد الغد، حتى انتهت.

تذكرت أنها لم تتناول شيئًا منذ الصباح، إلا بعض قطع من البسكويت الذي أحضرته معها، في حال شعرت بالجوع. أرادت أن تطلب البيتزا، لكنها كانت متعبة جدًا، مما أفقدها شهيتها للطعام.

عندما عادت تلك الليلة للمنزل، كانت كاثرين قد أعدت لها طعامًا، قامت بطبخه بنفسها، احتفاءً بأول يوم عمل لها.

-"كيف تستطيعين فعل كل هذا كل يوم؟" سألتها وهي تلقي

بجسدها على الأريكة.

-"أولاً لست أنا من يقوم به كليًا، ثانيًا هذا ما ندعوه عملاً يا عزيزتي. ماذا كنت تعتقدين؟ الحياة ليست بهذه السهولة".

-"رباه، كنت أعتقد بأنها كذلك، ففي القصر كان لدي من وقت الفراغ ما يمكن لفيل التهامة كل يوم".

-"أنسي القصر، لم تعودي تلك الأميرة الآن، يجب عليك العمل. بل والعمل بجد وإلا قاموا بطردك".

-"ماذا؟" فزعة.

-"هل تعتقدين بأنهم سيدفعون لكِ لقاء كسلك أو إهمالك؟ إنها الحياة عزيزتي".

-"يا إلهي!، أنها حقًا حياة صعبة".

-"الجميع يعمل لكسب قوت يومه. أتعتقدين أن الجميع يتناول افطاره في السرير كما اعتدتي بقصرك. افيقي من أحلامكِ ريجينسي وكوني أكثر واقعية".

تركتها كاثرين، وركضت للمطبخ لتفقد الطعام خوفًا من احتراقه. وبعدها بدأت في إعداد الطاولة، بعد أن أطمئنت أن الطعام جاهز.

سكبت قطع اللحم في الوعاء، ثم وضعت بعض الخضروات حوله للزينة. سكبت حساء الخضار في وعاءٍ آخر، وبعض الأرز في صحن كبير ثم عادت لتخبر ريجينسي بأن الطعام جاهز، لتجدها قد غطت في نومٍ عميق على الأريكة، دون أن تخلع عنها ثيابها.

* * * *

كانت ريجينسي منشغلة بالبحث عن ورقة طلبت كاثرين منها إحضارها على استعجال، في الوقت الذي كان باتريك يقترب منها، متأملاً ملامحها. حين فاجأها بصوته يناديها عن قرب:

-"مرحبًا يا فتاة الحفلة".
رفعت رأسها بسرعة، ثم أومأت تحييه وعادت بسرعة تبحث بين أكوام الأوراق أمامها.
-"إذن، أصبحتِ تعملين هنا، أليس هذا جيدًا؟"
-"أه، نعم إلى حدٍ ما". أجابته دون أن ترفع رأسها من بين تلك الأكوام.
-"لا بد أن نلتقي إذًا، ما رأيك بفنجان من القهوة؟ ربما بعد ذلك يمكننا..."
-"أعتذر منك، لكني مشغولة الآن، ولا يمكنني التحدث". مقاطعة أياه.
-"ربما عليّ المجئ في وقتٍ لاحق، سعيد برؤيتك".
لم تجبه، أو تنتبه لذهابه، فقد كانت عيناها على الأوراق تقلبها. وبعد أن غادرها مبتعدًا، استرقت نحوة نظرة سريعة، حين التفت فجأه نحوها لتصطدم نظراتهما ببعضهما. أحنت رأسها بسرعة للأسفل، وكأنها لم تره. كانت على علمٍ بأن كاثرين لو علمت بما حدث، لاستشاطت غضبًا. لذا ارتأت بأن من الأفضل أن تبقى الأمور هكذا، على أن تتجاهل باتريك.
قاطع شرودها صوته مرة أخرى:
-"ما رأيك بتناوله غدًا؟"
-"تناول ماذا؟"
-"فنجان القهوة!"
-"لا أعتقد ذلك".
-"أه فهمت، ربما لست من النوع المفضل لك".
-"اسمع باتريك، حقًا لا أعلم ما بينك وبين كاثرين".
-"كاثرين!" متعجبًا، ثم عقب: "ماذا تعتقدين أن يكون بيني وبينها".

-"أعتقد أنك تفهم ما أعنيه، لذا أرجوك أن تبقيني خارج هذا الموضوع".
-"صدقًا عن أي موضوع تتحدثين؟".
قاطعهما صوت باب مكتب كاثرين يُفتح، وهي تخرج منه على عجالة، ليوقفها رؤيتها لباتريك. اقتربت من مكتب ريجينسي المقابل لمكتبها، حيث يقف باتريك تحييه.
-"ماذا تفعل هنا باتريك؟" وهي تأخذ الورقة من ريجينسي.
-"لا شيء، جئت أحيي فتاة الحفلة".
-"فتاة الحفلة منشغلة الآن بما طلبته منها، أرجوك دعها تنهي عملها".
-"كنت راحلاً على أي حال، أراكما لاحقًا". ملوحًا لها بوداع.
نظرت لها بنفاد صبر:
-"ريجينسي، ابتعدي عن ذلك اللعين... أو أبقي كما تشائين، لكن لا تأتي إلي راكضة تبكين. فما سيفعله بكِ سيجعلك تندمين لبقية حياتك".
-"وماذا قد يفعل بي؟". سألتها بسذاجة.
-"سيكسر قلبكِ عزيزتي، بل سيحطمه لأشلاء".
* * * *

الفصل السادس

الجريمة لها وجهٌ واحد وللجاني عدّة وجوة

(1)

لم يخلق العمل إلا للجادين، في أحلامهم وطموحاتهم، يكفي الكسالى كلمة صغيرة، ليعاودوا الجلوس بالمنزل. لم تكن الأيام الأولى بالسهلة، لكن ريجينسي حملت بداخلها إصرارًا على الوصول، جعلها تأقلم حياتها ووقتها على ذلك، فأصبحت بشكلٍ أوتوماتيكي تنظم الأشياء وتعدها.

في حين كانت كاثرين، تراقب عملها، وبالرغم من الأخطاء التي كادت تطير بعقلها، إلا أنها رأت في ريجينسي بداية ملكة تستطيع القيام بمملكتها. ولم تخيب ظنها كثيرًا، حتى أتقنت كل شيء.

بيدّ أن جل ما كان يشغل بالها في تلك الفترة، هو باتريك، وتقربه الدائم من ريجينسي، التي تحاول بقدر الإمكان صده، كي لا تغضبها. بينما هو يصر على ذلك، بل وصلت به الوقاحة أن يطلب منها شخصيًا التوسط له لديها لتقبل دعوته لتناول فنجان قهوة.

أثار ذلك جنونها وحنقها عليه، لذا طلبت منه، مشددة ، أن يدع الفتاة وشأنها. لكنه لم يبالي بتهديدها إياها، متهمًا أياها بالغيرة. كادت تصفعه في تلك اللحظة، لولا معرفتها الجيدة بعلاقته الوطيدة بمديرها المزعج. فما كان منها غير توجيه تشديدات كثيرة لريجينسي، ألا تميل له أو تسمح له بالتقرب منها.

لم تعر الأخيرة موضوع باتريك أهمية، فعلى الرغم من عدم معرفتها بما يحدث حقيقةً بينه وبين كاثرين. لم يكن هو يشكل لها، ولو جزء صغير من أفكار يومها. فلقد كان ماثيو، مستحوذًا على كل تفكيرها، وقلبها على حدٍ السواء.

وعلى عكس البقية، كان وقت انتهاء العمل بالنسبه لها مغايرًا كونه اقترن بلقاء ماثيو. كانت تنهي ما عليها مسرعة، حتى لا تتأخر عن ذلك اللقاء. تذهب لأحد المطاعم كعادتها لشراء الطعام، ثم تتجه به إليهم، وله كان الحظ الأوفر منه، حيث كانت تحضر له خصيصًا ما يحبه من طعام.
كان ماثيو يمثل لها وقتذاك، توأم الروح، كما عبرت كاثرين من قبل. في البداية احتفظت هي بالأمر لنفسها، دون أطلاع صديقتها على مستجدات الأمور، مما يحدث بينهما، وكيف أن اهتمامه بها يزداد مع كل لقاء. لكن كاثرين كانت شديدة الذكاء، بعد أن لاحظت تغيرها الطارئ، الذي معه ازداد خوفها من أن تكون قد وقعت في حب باتريك.
لكن الأمر بدى لها مغايرًا، حين سألت ريجينسي، التي لم تستطع كبح أنفاسها وهي تخبرها، عن ماثيو. وصفت كاثرين الأمر وقتها ببساطة، بأنه ذو مصلحة، وأن ما يقوم به هو استغلالها فقط. استماتت هي في الدفاع عنه، مما أحزن كاثرين على حالتها الميؤس منها في الحب، فآثرت ألا تؤلمها بكلماتها.
-"عزيزتي، أنا أخاف عليكِ. وغدًا سيثبت لكِ صدق ما أقول".

* * * *

-"هيا يا عزيزتي، لن أقضي حياتي كلها في الركض خلفك من أجل فنجان من القهوة". بادرها باتريك وهو يتطلع برأسه إليها.
-"سيد باتريك، لا رغبة لي حقًا في ذلك. لدي الكثير من الأعمال المعلقة. كما أني الآن في علاقة مع أحدهم، أرجو منك تفهم ذلك".
-"أوه، يبدو أنني جئت متأخرًا. إذن يمكنك اعتبار الأمر،

كصديقين يتناولان فنجان قهوة أو حتى كزميلين".
-"آسفه، ليس لدي الوقت الكافي، أُقدر لك هذا".
-"أه، على أي حال، كنت أرغب بالتحدث إليكِ بشأن كاثرين. فحديثك تلك المرة عن وجود شيء بيني وبينها، جعلني أفكر جديًا فيه. ويبدو أنه قد جاء وقت الاعتراف".
-"الأعتراف بماذا؟"
-"لا عليكِ، أنت مشغولة الآن ربما في وقتٍ لاحق".
ثم هم بالمغادرة، حين استوقفته:
-"انتظر، سآتي معك".
هز رأسه مبتسمًا، بينما تجذب هي حقيبتها، لتلحق به دفعها فضولها في البداية لمعرفة ما بينهما، لكن عدم وجود كاثرين بالمكتب سهل لها ذلك أيضًا.
توقفا عند أحد المقاهي بجانب الوكالة، وطلب لكليهما فنجانين من القهوة.
-"هيا اخبرني بما بينك أنت وكاثرين؟" بادرته بتوتر، وكأنها تحاول الإسراع في معرفة الأمر، خوفًا من أن تراهما كاثرين معًا، أو تعاود المجئ لمكتبها مبكرًا.
-"على رسلك، الموضوع طويل وبحاجة للقاءات عديدة حتى أشرح لكِ الأمر بالكامل".
-"لا بد أنني أخطأت حين صدقتك". قالت وهي تحمل حقيبتها مغادرة.
أمسك بيدها:
-"انتظري، لا تكوني نزقة سأخبركِ بكل شيء".
"عادت للمكتب، لتجد كاثرين في انتظارها. تسألها عن سر عدم وجودها بالمكتب، فأخبرتها بذهابها لشرب فنجان من القهوة وتناول بعض الطعام، على اعتبار أنها فترة الراحة

المقررة لها. أشارت لها بتحضير المخطوطة التي قامت بتعديلها بالأمس، وسلمتها أخرى. أومأت لها برأسها وهرعت نحو مكتبها تبحث عن المطلوب".
دقائق حتى عادت بها إليها، مواجهةً نظراتها المتفحصة، قبل أن تطالبها بالعودة لإكمال عملها. زفرت في راحة بعد إغلاقها لباب مكتبها، فشعورها بالخوف من أن تكتشف كاثرين ما حدث، كان أقوى من شعورها بأن بإمكانها السيطرة علي الأمر.
اخذت ريجينسي تتأمل شاشة الحاسوب أمامها، وهي تفكر فيما أخبرها به باتريك. شعورها بالآسى حيال كاثرين، جعلها تفكر في كم القوة التي إمتلكتها لتتجاوز كل ما حدث. داهمها شعورين مختلفين، أحدهما بالحقد على باتريك، كونه كان سببًا في وقتٍ ما في معاناة صديقتها. والآخر بالشفقة عليه أيضًا، لرغبته الشديدة في مسامحة كاثرين له.
قاطع شرودها خروج ربة عملها من مكتبها، تأمرها باللحاق بها:
-"إلى أين؟" سألتها وهي تهرول خلفها.
-"لدينا اجتماع مع المدير، أريد منك تدوين كل ما سيحدث هناك. كوني دقيقة".
-"حسنًا، سأحاول أن...".
توقفت كاثرين، تقاطعها:
-"لا يوجد هنا وقت للمحاولات، إما أن تنجحي أو تفشلي".

* * * *

اعتادت ريجينسي لقاء ماثيو كل ليلة، وقت توزيعها للطعام على الشحاذين هناك. لكن هذه المرة، كانت مختلفة على نحو

يسير، حيث التقاها حاملاً زهرة بلاستيكية، متسخة، وكأنها قد أُخرجت من قاع عالم النفايات.
وضح لها لما رأى نظراتها المشمئزة للزهرة، صِدَّق ما اعتقدته. بطريقة مهذبة، مما جعلها تشعر نحوه بعاطفة شديدة الميل. وعلى الرغم من قباحتها إلا أنها تقبلتها، بل وأحبتها، كونها منه واحتفظت بها في حقيبتها.
عندما عادت تلك الليلة، وجدت كاثرين قلقة ومتوترة، وقد بدى عليها البدء في الإفراط في الشراب، أكثر مما اعتادت.
-"ماذا بكِ كاثرين؟ ما خطبك الليلة؟"
-"أنه أريك، يبدو أنه يعاني من مشكلة مع صديقته البغيضة".
لم تحب كاثرين يومًا صديقة أريك، ولو خيروها بين البقاء في علاقة مماثلة أو تركها، لاختارت تركها عن رضا تام. لقد كان رفضها لتلك العلاقة منذ البداية واضحًا للعيان، ورغم تحذيراتها المتكررة لأريك، إلا أنه كان أشبه بالمهووس أو المسحور بها، فكان من الطبيعي أن يتجاهل نصائحها. فبالنسبه له كانت صديقته تلك شريكة جيدة للحياة، كما لم يرى بها ما يعيبها، رغم أنها العيب ذاته كما تصفها دائمًا كاثرين في حضوره وغيابه.
وها هي علاقتهما تتدهور، كما توقعت لها. بل أنها سعدت بذلك لوقتٍ ما، حتى خفت ذلك، مع ازدياد قلقها من رد فعل انتهاء تلك العلاقة على أريك. حيث أنه شابٌ حساس ونقي السريرة كما تدعوه، على عكس تلك البغيضة التي يرافقها.
-"يا إلهي!، الصباح باترك والليل إريك. ماذا فعلت لأستحق كل هذا العناء؟" حادثت نفسها منزعجة.
ذَكر ذلك ريجينسي، بما حدث صباحًا، مما أشعرها ببعض تأنيب الضمير، لذا قررت أن تعترف لها بكل شيء.

-''كاثرين، هناك ما أرغب بالاعتراف به لكِ؟ لكن عديني أولاً ألا تغضبي؟''
-''ماذا؟ هل فعل بكِ المدعو ماثيو شيئًا ما؟''
-''ليس ماثيو ما أحدثك عنه، أنه بخصوص باتريك''.
طرقت الكأس فجأة بالمنضدة أمامها:
-''باتريك، وماذا عنه؟''
-''عديني ألا تغضبي أولًا''.
-''أعدك، اسرعي إذًا، ماذا فعل هذا البغيض؟'' تستعجلها بلهفة.
-''الحقيقة لم يفعل شيئًا، بل أنا من فعل. حيث أني قبلت دعوته اليوم لشرب فنجان قهوة. لكن صدقيني لم أفعل ذلك، إلا بعد أن وعدني بإخباري عن سر الخلاف القائم بينكما''.
-''يا إلهي!، ذلك الوغد. وما الذي أدى به لقول ذلك؟''
توترت ريجينسي، وحاولت تغيير الموضوع، كي لا تفسد الأمر أكثر، فقاطعتها تكمل:
-''لا داعي للشرح الآن المهم أنه أخبرني بكل ما فعله معك، أو بالأصح ما تسبب به وأخبرني أيضًا بأنه نادمٌ على ذلك''.
-''النذل، ماذا أخبرك إذًا؟ أخبريني'' سألتها وهي تمسك بذراعيها بقوة، تهزها.
-''لقد أخبرني بأنه السبب في عدم زواجك من ريتشارد''.
-''ريتشارد!''. قالت تاركةً إياها، لتعاود الإمساك بكأسها تتجرعه بسرعة.
-''أنا آسفة حقاً لما حدث''.
-''تأسفين على ماذا؟ عزيزتي. لا شيء يدعو للأسف''.
-''لقد أخبرني أن كلماته كانت السبب في وقوع ذلك الانفصال. وأنه حقًا نادم على ذلك، فلم يكن قد قابلك وقتها أو حتى عرفك

كما يعرفك الآن".
-"هه، وهل أخبرك بما أخبر به ريتشارد؟".
ثم بدأت تقص عليها ما حدث ليلتها. في ذلك اليوم الذي قرر ريتشارد فيه طلب يدها للزواج، التقى بباتريك في أحدى الحانات، حيث كان يحتفل مع أصدقائه بالترقية الجديدة. كان لديه رغبة وقتها بجعل ذاك اليوم خالدًا ذكراه، فيحصل بذلك على ترقيته وعلى الفتاة التي أحبها، كما كانت تعتقد.
وبعد تبادل بعض الكؤوس تعرف على باتريك الذي لازم البار ليلتها، وتبادلا الأحاديث، التي أدت إلى أن يخبره بما أعده الليلة لطلب يدها.
لينصحه الآخر بكل ثقة أن يتركها وألا يقيد نفسه بامرأة. ليعود ريتشارد ذلك اليوم، متأثراً بكلماته إلى الحد الذي أخبرها فيه بأن علاقتهما لن تنجح. وعند سؤاله عن السبب، أخبرها بأنهما في هذه العلاقة منذ الأزل، وأنه لم يعرف قبلها فتاة، ولم يحاول حتى يومًا خيانتها مع أخرى. وأن من حقه أن يلتقي بغيرها، كي يتأكد من أن هذه العلاقة هي الأجدر لإكمال حياته فيها.
فكيف يعرف ذلك بدون خبرة سابقة، أنها الفتاة المنشودة. وعندما أخبرته بأنها مثله لم تعرف في حياتها غيره، أخبرها بأن الأمر مختلف.
على الرغم من كونهما على وئام، إلا أنه أخبرها بأن كل هذا سيتغير بمجرد تحول هذه العلاقة لصفتها الرسمية، كما أخبره باتريك. ترجته كاثرين ليلتها ألا يتخذ قرارًا عاجلًا قد ينهي علاقتهما. فعلاقتهما جيدة وستظل كذلك، لكنه أبى الاستماع إليها.
اضطرت لإخباره بحملها، لعل ذلك الخبر يعيد إليه عقله المسلوب. تفاجأت به يتراجع للخلف، وكأنه قد رأى شبحًا،

وأشار إليها بأصبعه يهزه، وهو يتلعثم في الحديث:
-''هذا بالضبط ما حذرني منه باتريك. استخدامك لوسيلة ضغط كي لا تنتهي علاقتنا. حتى أنكِ قد تدعين الحمل لمنع ذلك''.
ببساطة وبكلماتٍ أبسط أنهى علاقة دامت سنوات.
-''ماذا عن الطفل؟'' سألتها ريجينسي بفضول.
-''عزيزتي أخبرتك من قبل. لن يتقبل أحد أمًا عازبة، أنه أمرٌ صعب كنت سأعاني الكثير فيما سيدمر مستقبلي وستتحطم كل آماني وأحلامي، كما تحطم قلبي إلى ملايين الجزيئات. كان عليّ أن أطلق سراحه أيضاً، لذا أجهضته''. أكملت وهي تغالب دموعها: ''لن أصلح لأكون أماً جيدة على أي حال''.
-''وكيف عرفت باتريك بعدها؟''
-''قرأت له مقالاً في أحدى الصحف وقتذاك، يحكي فيه ما حدث معه ليلتها بالبار والذي أنهاه بنصحه للرجال جميعاً، بأن يحتذوا بريتشارد كمثال وأن يتوقفوا عن العلاقة التي ينطفئون فيها -على حد وصفه-. كما عليهم فك القيد الملتف حول أعناقهم والمسمى علاقة.
عندما التقيته أول مرة صافحته بشجاعة، -إن سمحت لنفسي بتسمية ذلك شجاعة-، وعرفته بنفسي.. ''كاثرين صديقة ريتشارد السابق التي نصحته بهجرها''.
-''لماذا إذًا ما زلت تتعاملين معه؟''
-''أنا لا أرغب بذلك، لا أرغب حتى برؤيته. لكنه استطاع أن يفرض عليّ رؤيته بإقامته علاقة مع مديري، مما جعل من عدم رؤيته شيئاً محال. وفي الغالب يمكنني العمل بالحكمة القائلة أن نجعل أعدائنا أقرب إلينا من أصدقائنا''.

(2)

انتهت الأمسية بلا دموع، بعد أن أثقلت كاثرين من الشرب، بعد ما قصته. وكأنها بتذكرها لما حدث، قد أعادت الألم الذي سكنته لوقتٍ طويل. فالهروب من الماضي مؤلم، أنه كقطعة الخشب التي كلما حاولت إغراقها في الماء، عادت لتطفو من جديد. صاحبتها ريجينسي إلى غرفتها، حيث ساعدتها على النوم بفراشها، ثم عادت لغرفتها.خلعت عنها ملابسها، وأخرجت الوردة من حقيبتها، التي اجتاحتها رائحة لا تتطاق، وعلى إثرها. أخذتها إلى الحمام، وقامت بغسلها، ثم ملئت البانيو بالماء والصابون، وأغرقت نفسها فيه، وهي تحمل وردتها العزيزة. لا تدري كم بقيت هناك، بعد أن غلبها النوم، فلم تستيقظ إلا على وقع خطى تركض، ثم الباب يغلق.

لم تكن كاثرين بغرفتها، بعد خروجها من الحمام. حاولت الاتصال بها، لكنها لم تجب. ظلت تتصل بها المرة تلو الأخرى، حتى وصلت للمرة التي أغلقت فيها كاثرين الهاتف. مما أصابها بالقلق حيال الأمر، وأخذت تفكر فيما قد يدعو كاثرين إلى ترك المنزل في هذه الساعة المتأخرة، وبهذه الحالة. أرادت معاودة الاتصال بها، لكنها كانت تدرك بأن ما من فائدة، على الأرجح ستتصل بها حين ترغب بذلك.

لم تنم وقتها، تنتظر اتصالًا منها، لكنها تأخرت في فعل ذلك. لذا قضت وقتها تفكر بماثيو، وعندما داهمها شعور بالذنب توقفت، وعادت لتفكر بكاثرين. حتى وردها اتصالها المنتظر.

-"هاي كاثرين، أين أنتِ؟"

-"ريجينسي، أرجوكِ، أنا بحاجة إلى مساعدتك".

جائها الصوت حزيناً، خائفاً وبائس. وكأن أبواب الأرض قد أغلقت بوجهها.

* * * *

ارتدت ريجينسي ملابسها، وغادرت إلى حيث يقطن أريك. حيث كانت المفاجأة في انتظارها، جثة ترتدي ملابس شبة عارية، مسجاة على الأرض، ملطخة بالدماء. ومن طريقة ملابسها ولون شعرها، ميزتها من فورها، أنها صديقة أريك. حين تم قلب الجثة على ظهرها، ظهر وجهها وقد صبغ باللون الأحمر، تعلو رأسها كدمة تدر الدماء.

التفتت مذعورة نحو أريك، الذي اخفى وجهه حال رؤيته لوجه صديقته خائفاً. ثم نقلت عيناها تحدج كاثرين بنظرات التعجب والتساؤل، والتي بدى عليها هي الأخرى الهلع.

-"لماذا لم تتصلوا بالشرطة؟" بادرتها ريجينسي.

-"الشرطة.. لا.. لا.. الشرطة لا، ارجوكِ". صرخ أريك في هلع.

-"لا نستطيع الاتصال بالشرطة. فقد يحكم على أريك بالإعدام". كاثرين موضحة،حين قاطعها أريك:

-"لكني لم أقصد قتلها، أقسم على ذلك. لقد تعاركنا فقط وكنت أحاول اسكاتها حين دفعتها. لتسقط فيرتطم رأسها بالطاولة...".

ثم انهار بعدها بالبكاء.

-"اهدئ يا أريك، فريجينسي ستساعدنا". كاثرين وهي تنظر لها بعينان يتوسلانها.

-"أساعدكم في ماذا؟ أنها جريمة، ولا يمكنني الاشتراك بها".

أسرعت نحوها تمسك يدها، ترجوها :

-"أرجوكِ ريجينسي، ساعديني. أريك لم يقصد ذلك، صدقيني. أرجوكِ أمنحية أمنية لينجو من هذة المصيبة".

-'' لا يمكنني منح الأماني للمجرمين''. صاحت.
-''أرجوكِ، سيقضي على أريك. كما أنها لا تستحق أن يقضي حياته في السجن لأجلها، أو حتى أن يُعدم''.
-''إنها روح يا كاثرين، ويجب أن تقام العدالة، وإلا بات الكون مرتعاً للمجرمين سيختل نظام الكون يا فتاة لا يمكنني مساعدتك على فعل ذلك''.
-''إذًا، سأعترف بأني من قتلها''. كاثرين في تحدي.
-''إن ما تفعلينه هو الجنون بصدق''.
-''بل الجنون ألا تمنحي أريك أمنية''.
-''الأماني كالنوايا الصادقة، لا يمكن تلويثها''.
-''لا بأس، سنجرب حظنا''.
-''أُحذرك كاثرين مما تفعلينه، أنت تقلبين الأمور، وهذا الأمر جاد''.
-''لقد اقتلبت بالفعل، يوم اقترن بها. امنحيه أمنية''.
-''أريك، اسمعني أنت. قد تكون أكثر تعقلاً منها. ستنقلب عليك الأمور، أريك. لا يمكنك تلويث الأماني الصادقة''. بادرته وهي تتجه نحوه، يحدوها الأمل في أن يتفهم ذلك، ويتحمل نتيجة فعلته.
-''لم يعد الأمر مهمًا، سأتقبل ما يحدث لي لكن أرجوكِ، ساعدِني على التخلص مما أوقعت نفسي فيه''.
صمتت ريجينسي، بعد أن يأست من إقناعهما ثم أخرجت عصاها عن غير اقتناع، إلا من خوف بأن يسبب رفضها مساعدتهم، أن يقوم كلاهما بعمل أحمق آخر يودي بهما.
-''لقد حذرتك أريك، تمنى وأحسن التمني''.
أسرعت نحوه كاثرين، تشد من عضده:
-''تمنى يا أريك، تمنى''.

-''أتمنى أن تختفي الجثة، وأن تزول أثارها من المكان هنا''.

-''لك ما تمنيت''. ملوحه بالعصا.

* * * *

"الأمنية السادسة"

في اليوم التالي، قدم أريك بلاغًا للشرطة، مفاده أنه قلق على صديقته، التي لم تعد للمنزل منذ الأمس. بدأت الشرطة في البداية، تتبع سير الضحية المختفية، منذ تركها للنادي التي تعمل به والذي أشار العاملين فيه، بأنها غادرته حية بعد أن أنهت عملها مبكراً تلك الليلة.
لتتجه الأنظار لأريك، الذي قامت الشرطة بتفتيش منزله، في محاولة للعثور على ما يدينه، بلا جدوى فقاموا باستجوابه، حيث أنكر رؤيتها أو عودتها للمنزل تلك الليلة موضحًا أن أخر اتصال بينهما، كان قبيل تركها للنادي. حيث أخبرته بعودتها للمنزل مبكراً، لشعورها ببعض التعب المفاجئ على حد قولها.
وعندما تأخرت في العودة، ساوره القلق، وحاول الاتصال بها عدة مرات، لكن هاتفها كان مغلقاً. لذا انتظر حتى اليوم التالي، لتقديم بلاغه.

* * * *

بعد اثنان وسبعون ساعة، اعتبرت الشرطة جينيفر –صديقة أريك- مفقودة، وذلك بعد عجزهم عن التوصل لأي دليل يدل على مقتلها أو حتى اختطافها. شعر أريك بالراحة وقتها، ولأول مرة زال عنه التوتر، وشرع يأكل كل ما تقع عليه يده، وكأنه ضل في صحراء، لا ظل فيها ولا ماء.
وبعد ليلتان من السهر، تناول فيهما مقدارًا عالي من الكافيين. أرخى رأسه على الأريكة، لينغلق جفناه بنعومة، وكأنهما يحتضنان بعضهما، إذعانًا للنوم. لكنه ما كاد يغط في ذلك

النوم العذب، حتى سمع صوتًا حاد، لشيء ينكسر بالمطبخ. فأسرع في هلع إلى هناك، ليرى ما حدث، ظناً منه بأن أحداً ما قد اقتحم منزله.
لكن لم يكن هناك من أحد. فقط كأسٌ مكسورة، قد تناثرت قطعها الزجاجية على الأرضية تغطي جزءً منها. حتى أن بعضه قد أصاب قدم أريك، لإستعجاله الشديد في الدخول، دون حذر.
لم تعطه أصابته تلك وقتاً للتفكير بما حدث، فأرجح أن تكدس الأواني بحوض المطبخ، قد أدى لسقوطها. تلك الأواني المزعجة، تحتاج إلى من يقف أمامها كالخادم لينظفها، كلما امتلئ الحوض عن أخره، وكأنها لا تنضب. عرضت عليه كاثرين يوماً أن تأتي لمساعدته في تنظيفها، إلا أنه فضل ألا تتواجد هنا في هذة الفترة. حتى لا يصبح وجودها مدعاةً للشك.
قفز أريك معتمدًا على قدمه التي لم تُصب، حتى وصل إلى الحمام حيث علبة الأسعافات الأولية. استخرج ملقطاً معدنياً وبدأ بإخراج القطع الصغيرة المنحشرة بين طيات جلده، ثم قام بعدها بعملية التطهير، واختتمها بوضع لاصقة طبية على مواضع الجروح.
ثم عاد يعرج إلى غرفته، حيث أمل أن يجد بعض السلام هناك، ليغفو لبعض الوقت. أغمضت عيناه عن غير قصدٍ، ليغرق في نومٍ عميق، مثقل بالتعب. لم ينتشله منه إلا همسة دوت بجانب أذنه، كانت لها نصيب الأسد في إفزاعه:
-"لماذا يا أريك؟"

* * * *

لم يستطع معاودة النوم ليلتها، كانت عيناه عاجزتين عن إسدال

ستارهما مرة أخرى بذات الهدوء. حتى أنه فضل إضاءة أنوار المنزل كله، من شدة الخوف الذي ألم به.
كانت الساعة الثالثة صباحًا، لكن ذلك لم يمنعه من الإتصال بكاثرين في هذا الوقت المتأخر.
-''كاثرين، أشعر بأن روحها ما زالت بالمكان تلاحقني!''
كاثرين وهي تتثأب:
-''هيا يا أريك، أنت فقط تتوهم ذلك. عد إلى النوم يا صديقي، لا داعي للقلق بعد الآن. وسآتي لزيارتك في الصباح لأطمئن عليك''.
-''لكني لا أستطيع النوم، أقسم أني قد سمعت صوتها تهمس لي بتلك الكلمات''.
-''أريك، أريك، أنها مجرد هلوسات. أنت لم تنم كثيرًا، كما أن وقع الأمر كان عليك شديدًا ''. كاثرين وهي تعتدل في جلستها، وتضيء المصباح بجانبها.
-''أنا فعلاً خائف. لن أنام حتى تأتي إليّ صباحًا''.
-''لا يمكنك قضاء الليل دون نوم، يمكنك إن أردت أن تأتي لقضاء الليلة هنا على الأريكة. إن كان هذا سيشعرك بالأمان''.
-''لا داعي لذلك، نامي أنتِ الآن. ولا تنسي الحضور غداً صباحًا''.
-''حسنًا، أريك. حاول النوم الآن. نومًا هنيئًا''.
حاول أريك أن يبقى مستيقظاً قدر المستطاع، لكن ساعة واحدة هي التي مرت، لتزيد من تعبه ورغبته في النوم. لذا ترك المصابيح مضائة وشغل جهاز التلفاز، ثم تكور كالجنين، مغمضًا عينيه. لكنها دقائق تلك التي مضت حتى استيقظ مذعوراً على صيحة عالية:

-"سأنتقم منك يا أريك".

* * * *

عندما أتته كاثرين، لم يكن أريك بحالة جيدة. كان ممسكًا برأسه يهزها ترافقًا مع هزة جسده. أحاطت بعينيه دائرتان سوداوان، دلتان على ليلة لم يهنئا فيها بالنوم، لشدة القلق الذي أصاب صاحبهما.

أمسك بيدها مرتعبًا، يجذبها لجانبه:

-"ستقتلني يا كاثرين، أقسم لكِ".

-"من تلك يا إريك؟" وهي تربت على كتفه لتهدئته.

-"أنها هي، جينيفر. لقد رأيتها البارحة تتقدم نحوي ببطئ. لقد كان رأسها مشجوجًا، وشعرها مسدل يلامس الأرض في طوله، ملابسها كلها تدر الدماء، وعيناها.. عيناها بيضاوتان لا سواد يخالطهما. لقد كانت مقززة ومفزعة إلى حدٍ كبير".

-"هه، أن ما تصفه لي، قد يفسر إما أضغاث احلام، أو فيلم رعب قد شاهدته فأسقط خيالاته عليك".

-"أنا لا أكذب، ولست مجنونًا. أنا واثق مما رأيت جيدًا. ولا أهتم لعدم تصديقك لي، لكنها ما زالت هنا وتنوي قتلي".

تنهدت كاثرين، وهي تنظر لحالة أريك المزرية، ثم عاودت التحدث إليه بطريقة أكثر جدية:

-"حسنًا، دعنا نصدق أن جينيفر ما زالت روحها تسكن المكان. ماذا تتوقع علينا فعله؟"

-"لا أعرف، لكنها توعدتني بالقتل. لذا يجب أن أغادر هذا المنزل، وفي الحال".

ثم أسرع إلى غرفته، ليخرج ملابسه من الدولاب، استعدادًا للرحيل. حين أوقفته كاثرين:

-"لا يمكنك مغادرة المنزل في الوقت الراهن. قد يزيد ذلك الشك لدى الشرطة بأنك وراء اختفائها. لتصبح بذلك المتهم الأول".
-"لكن.. لكني لا أستطيع البقاء هنا وهي موجودة. يجب أن أغادر قبل أن تنتقم مني. فمن يدري ما قد تفعله بي وأنا وحيد".
-"أوه، إريك. لا أدري ما كان يدور بعقلك عندما أقدمت على فعلتك تلك؟".
جثى على ركبتيه يتوسل إليها:
-"أرجوكِ كاثرين، ساعديني".
* * * *
اتصلت كاثرين تخبر ريجينسي بما حدث مع إريك، وبأنها تفضل البقاء بجانبه الليلة حتى يهدئ.
-"لقد حذرتك يا كاثرين، لكن لا أحد يبالي بما أقول".
-"لا تقلقي، لا بد أن إريك يتوهم. تعلمين أن ما حدث لم يكن سهلًا نسيانه أو تجاوزه".
-"كوني حذرة، فليس كل حقيقة وهم".
انتهت المكالمة بينهما، وكلًا منهما قد شغلها كلام الأخرى. فريجينسي تفكر فيما يحدث مع إريك وانتقام جنيفير منه، والذي لن يمر بسلامٍ بالطبع. بينما تفكر كاثرين بحقيقة أن يكون ما رأه إريك صحيحًا، وأن جينيفر قد عادت حقًا، طلبًا للانتقام.
لم يتناول أريك طعامه ذلك اليوم، رغم محاولاتها العديدة للضغط عليه. بل قضى يومه جالسًا على الأريكة، دافنًا رأسه بين ساقيه كالنعامة، هازًا جسده بتوتر.
كان مرهقًا وفزعًا، لدرجة أن أي شيء قد يحدث على سبيل الصدفة، بإمكانه أن يثير جنونه، ليبدأ بالصراخ باسمها

”جينيفر.. جينيفر“. وكأنه ينتظرها.
قضت برفقته يومًا عصيبًا، حتى جاء موعد النوم، الذي رفض فيه أن يُريح عينيه. وعدته كاثرين بالبقاء بجواره، لقراءة كتاب، حتى يغط في النوم. أراحته تلك الفكرة، فجذب الغطاء، وكفن به نفسه، ثم بدأ يسترسل في النوم.
لم تجد كاثرين شيئًا لقراءته، بعد بحث قصير، إلا بعض المجلات الخاصة بالموضة والفن.

* * * *

مضت ساعة من الوقت، كان على كاثرين فيها التأكد كل بضع دقائق من نوم إريك. حتى تأكدت من أنه قد سقط في نومٍ عميق، لا يوجد له فرصة للخروج منه. تثائبت هي الأخرى، وقد شعرت بالنعاس ورغبة بالنوم، فأطفأت الأنوار واتجهت نحو الأريكة حيث قامت بوضع غطاء قديم، وقصير بعض الشيء على جسدها، ثم سارعت في النوم.
في الغرفة، كان إريك يهنئ بنومٍ لم يذق طعمه منذ لياليٍ مضت حين شعر ببرودة شديدة، تأتيه من حيث موضع قدمه. جذب الغطاء بقدمه، يحاول تغطيتها، معتقدًا بأن الغطاء قد غافله هاربًا.
لكن قدمه لامست الغطاء، في إعلان صارخ عن وجوده، إلا أن البردوة ما زالت في أوجها ألقى نظرة من تحت غطائه نحو قدميه يتفحصهما، حين لفح عينيه ضوء أبيض ساطع، تأمل قليلاً ذلك الضوء الذي بدأت نقطة سوداء بالانسلال منه. حيث أخذت في الكبر، حتى اتضحت معالمها.
إنها جينيفر، تزحف نحوه، وقد غطى شعر رأسها الجزء العلوي من وجهها، مخبأ عينيها تحت ستارٍ مظلم. أمتد شعرها ببطئ من الخلف ليقيد يديه وقدميه، ثم التفَ حول فمه يكممه.

ثم علته ببطئ، وهو نائم على ظهره مقيد، لا يستطيع معها حراك.
أخذت تقرب وجهها نحوه، لتضرب أنفاسها الكريهة خلايا أنفه، التي نفرت منها في الحال. حاول الصراخ، لكن بلا جدوى، حتى صوته أقدم على خيانته. تأمل فمها الذي أخذ يتحرك ، مخرجًا كلمات لا صوت لها، وكأنه كان عاجزًا عن سماعها.
مالت برأسها قليلًا، ورفعت شعرها بهدوء عن رأسها، في محاولة لتريه شيئًا ما، لكنه ظل جاهلًا بما تريده حقًا منه. حتى تفاجأ بها تضع يدها على رأسه، حيث ذات الموضع الذي كشفت عنه. ثم قامت بضغطة، حتى تفجر الدم منه، فأخذ يصرخ من شدة الآلم.

* * * *

المرة الثانية لزيارة الطبيب لإريك، كانت بعد شهر واحد، مما حدث ليلتها. وصف له المهدئات وأدوية النوم، لكن الأمر كان أقوى من أي شيء يستطيع ابتلاعه. وكأن جفنيه قد تم خياطتهما، لإبقاء عينيه مفتوحتان طوال الوقت. وبعيدًا عن عدم قدرته على النوم، والإرهاق الذي دب في جسده، كما النمل الأبيض في الخشب، يقتاته.
بدأت أعراض الهلوسة تجتاحه أيضًا حيث حولت كلماته إلى طلامس غير مفهومة. كلها تأتي مرافقة بتعابير الذعر التي تخط وجهه، حتى بدأ جديًا بالتحدث لنفسه عن كونه السبب في قتلها، بل وأنه القاتل، وكأنه يعترف بذلك ضمنيًا, أخاف ذلك كاثرين كثيرًا، فلو أن أحدًا سمعه، لربما صدقه. وبذلك أصبحت كلماته اعترافًا عما اقترفته يداه، والذي سيؤدي بهما إلى الانزلاق إلى الهاوية. حيث ستصبح هي رسمياً مساعدته

في إخفاء جريمة قتل، وقد يذكر إريك ريجينسي، ويورطها معهم بدون وجه حق. فالسبب الأول والأخير لوجودها ولما فعلته، كان كاثرين.
فكرت كثيرًا بالأمر، وكيف أنه سيطالها في النهاية. فحالته أصبحت مؤخرًا غير مستقرة. لقد أصبح الشاب شاحبًا، وكثير الحديث عن شبح جينيفر الذي يلاحقه، والذي بالمناسبة لم تره ولو لمرة واحدة.
حتى تلك المرة التي باتت على الأريكة، وكان هو نائم بالغرفة حين بدأ بالصراخ، لم تجد أحدًا حين أسرعت إليه. وجدته يتقلب صارخًا على فراشه، مدعيًا بأنها كانت تمسك به، حين أفاق. ورغم بحثها في كل الغرفة لطمئنته على عدم وجودها، إلا أنه لم يقتنع بذلك.
أكثر المشاكل التي واجهتها تلك الفترة، هي إقناعه بأن لا شيء يُدعى شبح جينفير، وأنها مجرد هلوسات لكثرة التفكير بالأمر، لكنه كل مرة كان يقسم بإصرار، جعل كاثرين تشك في نفسها.

* * * *

مع الوقت ازدادت حالة إريك صعوبة، ذات صباح لم تجده كاثرين في غرفته. كادت تجن، وهي تبحث عنه في الأماكن القريبة من المنزل، حتى وردها اتصال من ضابط الشرطة، المكلف بالبحث عن جينيفر، والذي التقته ذات مرة في إحدى زياراته لإريك لسؤاله عن بعض الأشياء، التي لم يجد لها إجابة بالطبع، لما يمر به.
أخبرها بأن إريك متواجد لديهم بقسم الشرطة، وهو الآن يدلي باعتراف كامل بقتله جينيفر وإخفاء جثتها. وأن عليها الحضور للقسم، وطلب محامي. ترددت لبرهة قبل أن تجيبه،

لكنها تماسكت حتى أنهت المكالمة.
لتسقط بعدها صريعة أفكارها، فلو أنه قد اعترف عليها، لما وردها هكذا إتصال، في الغالب ستكون الآن مقيدة من رسغيها، يجرها ضابط الشرطة وهو يتلو عليها حقوقها، إلى القسم. أصابها الخوف، فحاولت التراجع عن فكرة الذهاب، والهرب. لكنه كان في حاجتها، كما أن الهروب بدون داعٍ قد يكون مدعاة لإثارة الشك حولها. لذا لم يكن بيدها خيار، إلاَ أن تُسلم بالأمر الواقع.
توجهت من فورها نحو مركز الشرطة، حيث التقاها الضابط واصطحبها لمكتبه:
-"لا أدري آنسه كاثرين، لكن على ما يبدو أن إريك يعاني من خطبٍ ما. لقد اتصلنا بالطبيب النفسي التابع لقسم الجرائم، ليلقى نظرة على الأمر. في البداية جائنا يعترف بأنه قد قام بقتل جينيفر، وإخفاء جثتها في مكانٍ بعيد. وعند سؤاله عن مكان الجثة، أخبرنا بأنه لا يعرف، وبأن الجنية هي من تعرف. بالطبع اعتقدنا أنه يهزء بنا، محاولًا تضليل العدالة. لكنه بدأ يصرخ، ويشير للحائط حيث المرآة، طالبًا منا أن نبعدها عنه. وبسؤاله عن ماهيتها، أخبرنا بأن جينيفر تحاول الانتقام منه. لذا كان من الضروري الإتصال بكِ للحضور".
-"أه سيدي، لقد عاني إريك كثيرًا مذ اختفاء جينيفر. لقد كان يحبها حقًا، أحضرت له الطبيب عدة مرات. لكنه اكتفى بوصف بعض الأدوية المهدئة، والتي للعلم لم تبدي نفعًا يبدو أن اختفاء حبيبته قد أثر عليه".
-"على سيرة الاختفاء، لقد وردنا اتصال منذ قليل، من شرطة ميامي. بأن أحدهم قد تعرف على صورة جينيفر. وقد أرسلت

الشرطة هناك من يتحقق من الأمر".

-"أتعني بذلك، أنها ما زالت حية؟" كاثرين متلعثمة.

-"لم يصلنا تأكيد بأي شيء بعد. فقد يكون الشخص قد خالط بينها وبين أخرى تشبهها. كل ما أخبرهم به بأنه يعرف طريقها، تردنا الكثير من الإتصالات بهكذا شأن. أغلبها يكون صاحبها متوهمًا أو..." وحرك يده بشكل دائري، في دلالة على الجنون، قبل أن يكمل: "تعلمين، في الغالب سنرى".

* * * *

أثبت الطبيب النفسي أن إريك يعاني من هلوسات شديدة، وعلى إثرها تم إدخاله مصحة نفسية للعلاج. حيث أشار الطبيب أن هذه الهلوسات، قد تؤدي لأن يؤذي المريض نفسه، لذا وجب وضعه تحت الملاحظة. حيث أن فترة الشفاء، قد تطول لبعض الوقت، وقد تأخذ سنوات.

لم يعطي الطبيب الكثير من الأمل في سرعة شفاء حالة إريك، أخبر كاثرين فقط بأنه سيفعل ما يطلبه منه الأمر لشفائه، حتى يتقبل فكرة أن جينيفر حية، وأنه لم يقتلها كما أنها لا تسعى للانتقام منه.

من جهة أخرى، أخبرها الضابط، بعثروهم على جينيفر حية ترزق. حيث وجدها طبيب ما أمام باب منزله، حيث يقطن في إحدى البلدات القريبة، وهي مصابة بجرح في الرأس. مما أفقدها الوعي، وتسبب بخسارتها الكثير من الدماء.

اعتنى بها حتى أفاقت، لكن للأسف بلا ذاكرة. اتخذها الطبيب كمساعدةٍ له، وبعد شهرين تقدم لخطبتها وتزوجا، وكانا يقضيان شهر عسلهما في ميامي، حين رأها ذلك الرجل.

* * * *

الفصل السابع

ما الفشل
إلا نقطة للبداية من جديد

(1)

إنها المرة الأولى، التي تغيب فيها كاثرين لوقتٍ طويل خارج المنزل اعتادت زيارة إريك بالمصحة، لكنها لم تتأخر يومًا عن العودة في الوقت المحدد لها. ربما كان لعودة جينيفر معافاه، أثرًا في شعورها ببعض الارتياح. فقط ألم إريك ما زال يؤرق مضجعها، حارمًا إياها من الشعور التام بالراحة.
حين عادت كاثرين ليلة وضع إريك بالمصحة، أخبرت ريجينسي بما عرفته، بينما لم ترفع الأخرى عينيها من صحنها، تتناول حبات البطاطا المسلوقة بشكلٍ عادي.
-''هل اعتقدتي أن قلبي قاسي لهذه الدرجة؟ لم أكن لأرمي جثتها على قارعة الطريق كالحيوانات لقد أرسلتها لمن يستطيع مساعدتها، إن كان ذلك، أو دفنها بشكلٍ لائق إن لم يستطع''.
-''تتهمينني الآن بأني ذات قلبٍ قاس. ألا يكفي ما حدث لإريك؟''.
-''لقد حصد إريك ما زرعته يداه. الشر لا يولد إلا الشر كما تعلمين. أرأيتي يومًا مزارعًا يغرس بذرة وردة، وبدلًا عنها تزهر شجرة صبار؟''. أكملت تهز رأسها نفيًا، مطقطقة بلسانها: ''لا أعتقد''.
-''لا أحتاج لمحاضرة أخرى ريجينسي، يكفيني ما ألاقيه''.
-''أنا لا ألقي محاضرات كاثرين، لكنك احتاجتي لصفعة صغيرة لتتعلمي أن لا شيئًا بالمجان''.
-''لماذا إذًا لا يصفع الأشرار كما نصفع نحن إذا حاولنا أن نسير في خطاهم؟''

-"الأصل في الشيء المنبت، إذا كانت البذرة خيرة وبدأت الأفة تغزو جذوعها، فما علينا إلا قطعها لتنبت معافاه من جديد. لكن البذرة السيئة، مهما قطعت جذوعها فستبقى تنبت الشر من جديد. هؤلاء عندما يُصفعون لا يمُنحون الوقت للندم، الشر فقط ينقلب عليهم في النهاية ليمزقهم".
-"كفاني فلسفة إلى هذا الحد، سأذهب للنوم".
غادرت المطبخ حانقة إلى حيث غرفتها. وهناك قضت ليلتها تشعر بالذنب حيال الأمر، لقد علمت في قرار نفسها بأن ما فعلته صديقتها الجنية كان صحيحًا. فعلى الأقل، منحتها بفعلتها درسًا يذكرها بإنسانيتها التي تخلت عنها وقتًا ما، من أجل أن تطلق ما تحمله من كره لجينيفر دفعه واحدة.
كانت ريجينسي بانتظارها حال عودتها، تبتسم في وجهها، وتُقبل على احتضانها. تسألها عن سبب ذاك التأخير:
-"لا أعرف، أنا فقط ما زلت ضائعة أبحث عن مأوى يحميني من نفسي". أجابتها محبطة.
-"عزيزتي، تناسي ما حدث. لقد انتهى الأمر".
-"ربما لم ينتهي بعدّ. فلماذا لم أعاقب كما عوقب إريك؟"

* * * *

كانت ريجينسي تستقل المترو في السادسة، لتصل إلى عملها مبكرًا، وبذلك تصبح أول الواصلين لمكتب الوكالة، حيث أعمالها التي لا تنضب. في هذا الصباح اختلف الحال، لتصحو وقد ضاع من الوقت ما لا يمكن استعادته بسهولة. أسرعت ترتدي ملابسها، ودون تناول الفطور، غادرت إلى محطة المترو، حيث انتظرت قدوم عربتها قلقة فاليوم بالذات، كان عامرًا بالاجتماعات التي يتوجب عليها حضورها، الذي قد

يؤدي عدمه إلى مشاكل لا تحصى.
حملت حقيبتها، وقت اقتراب عربة المترو المنتظرة، واقتربت من الرصيف لكي لا يمنعها التدافع من اللحاق بها. لتفاجأ برجل يجذب حقيبتها عنوة، هاربًا. مما أصابها بفقدان توازن، كادت معه أن تسقط في الجانب المخصص لسير العربات. لولا أن أمسك بها أحد منتظري عربة المترو، في الوقت المناسب.
كانت تلك لحظة فارقة بالنسبة لها، تلك التي كادت تسقط فيها بين خيطي الحياة والموت، ولسببٍ لا تعلمه أعاد خيط الحياة جذبها إليه.
حاولت التماسك لبرهة، قبل أن تقدم الشكر لمنقذها، في حين اختفى السارق عن الأنظار أبدى الرجل سعادته بسلامتها، ممسكًا بيدها في محاولة لمساعدتها على ركوب العربة.
وما كادا يجلسان، حتى سارع الرجل بتقديم نفسه، يدعى ستيفن وهو يعمل مدير لقسم الحسابات في شركة فورست التجارة.
اقتصر تعريفه بنفسه على تلك الكلمات، التي ظل معها ينتظر من ريجينسي أن تبادله ذات الشيء. بينما هي تتأمل منقذها ممتلئ الجسم، ذو النظارة السوداء، والوجة المنتفخ، قصير القامة ولما لم تجد بُدًا من ذلك، أخبرته باقتضاب، بأنها تدعى ريجينسي، وبأنها تعمل سكرتيرة، دون ذكر أسم الوكالة التي تعمل بها.
اكتفى الرجل بذلك كمؤشر لإمكانية تبادل الحديث معها، فأخذ يخبرها نزقًا عن تعطل سيارته المفاجئ، وإضطراره للاستعانة بوسائل المواصلات الأخرى –وكأن ذلك كرمًا منه وتواضع-، ولما لم يجد من يسكت فمه الثرثار،لم يتوانى بعدها عن الحديث في كل شيء تقريبًا. بينما تستمع له في ضيقٍ لم

تُبده، فرغم الحالة النفسية والعصبية السيئة التي تمر بها، بعد أن تعرضت لحادثتي السرقة والموت. لم يراع الرجل أيًا من ذلك، وهو يُطلق كلماته دون توقف.
"لم تكن الحقيبة ذات أهمية على أي حال" همست لنفسها لتهدئ من روعها. فالحقيبة التي أعدت لليوم، نستها في عجالتها الصباحية. لعل بعض الأوراق النقدية هي ما فقدت، وهو بالأمر الذي يمكن تعويضه. على عكس هاتفها الذي ما كان قابلًا لأن يعوض، والذي لحسن حظها نسيته بجوار الشاحن.
لم يكن يومها يحمل بداية محببة، كان أقرب للعجيب منه لما اعتادت عليه. انتصبت في سرور، حين وصلت العربة لإحدى المحطات، معللة بأنها خاصتها، لتنجو من ثرثرته. شكرته مرة أخرى، قبل أن تركض نحو الباب تستعجله الفتح.

* * * *

لم يكن يومها بالسيء كليًا، هذا ما عرفته عندما علمت بتأجيل الاجتماع الأول من سلسلة اجتماعات متتالية. جاءت الأمور بالتأجيل، من قبل حتى أن تصل إلى مكتبها.
لاحظت كاثرين تأخرها غير المعهود، فأسرعت تتصل بها ما أن شعرت بوصولها، تسألها عن السبب لم تكد تجيبها حتى قاطعتها سكرتيرة مجلس الإدارة بإتصالها، تطلب منها إخبار مديرتها بالحضور للمكتب فورًا.
أغلقت كاثرين الهاتف، تزفر متجهمة الوجه:
-"يا إلهي، حفنة من الأغبياء الأغنياء".
ثم أشارت إليها بأن تعود لمكتبها على أن يكملا حديثهما فيما بعد: "سأعود بعد قليل". ثم تمتمت لنفسها: "كما آمل".
في تلك اللحظة، رسى رأس ريجينسي على كرسيها بثقل مرساة قد رميت في الماء لتثبيت السفينة عن الحراك لقد كان

صباحًا متعبًا، زاد فيه شعورها بالإحباط، وقتما رأت تلك الأوراق المكومة أمامها.
أخذت نفسًا عميقًا، تهمس لنفسها ببعض الكلمات المحفزة، ثم بدأت ترتيبها، قبل أن تعود لمباشرة بقية أعمالها.
تذكرت للحظة باتريك، لا تدري لم تذكرته الآن؟!
ربما لأنها لم تره منذ فترة على الأرجح قد مل من انتظار صفح كاثرين، أو لعله غائب في رحلة من رحلاته العاطفية.
ظلت فكرة غيابه تشغلها، حتى رن جرس الهاتف:
-"مرحبًا يا فتاة الحفلة". جائها صوته مهللًا فرحًا."ماذا لديكِ الليلة؟"
-"مرحبًا باتريك. في الحقيقة، لا شيء سأكمل عملي كالعادة وأعود للمنزل".
-"لا.. لا عودة للمنزل الليلة. أنتِ مدعوة إلى حفلٍ أقيمه".
-"لكني لا أستطيع ذلك..."
-"كاثرين!" مقاطعًا. "نعم..نعم، أعرف. هي أيضًا مدعوة، لكن أن استطعتي إقناعها بذلك. هيا دوني مكان الحفل. سانتظركما الليلة".

* * * *

كان رد فعل كاثرين حال إخبارها بأمر الحفل، كسحابة ربيعية رائقة، لا تنذر بالعواصف، بل بالصمت المطبق الذي لم يتجاوز حدود تعابير وجهها. كانت تُيقن بأن الماضي قد انتهى، فلماذا ذلك العقاب الذي تفرضه على نفسها وعليه؟ لو أن ريتشارد أحبها بحق، ما أثرت به كلمات العالم جميعًا. الواقع أن انتهاء علاقتهما كان حتميًا في وقتٍ ما، وقد كان من الأفضل حدوثه مبكرًا عن تأخره. لكنها ظلت لفترة كبيرة تلقي اللوم على باتريك، الذي لم تستطع أن تغفر له فعلته، على

الرغم من ذلك.

-"حسنًا".

علت وجه ريجينسي الدهشة:

-"ما.. ماذا؟ حسنًا. هل ستحضرين؟"

-"نعم".

-"لست مجبرة على فعل ذلك؟"

-"أعرف".

-"إذن ماذا؟"

-"لقد دعاني وأجبته، ثم أنك ظللتي لساعات تتوسلينني الحضور".

-"لا، لم أفعل؟"

-"حسنًا، لقد بدى أنك تفعلين. سنغادر اليوم باكرًا، لن تبقي بالمكتب كعادتك. اذهبِ الآن لإكمال عملك".

صرفتها، وعادت لعملها، وكأن شيئًا لم يكن. بينما لم تجد ريجينسي تفسيرًا منطقيًا لقراراها ذاك. هل حقًا قد سامحت باتريك، أم أنها قد سامحت نفسها فقط؟ أو ربما تحاول الانتقام منه عبر التقرب إليه، إن كان كذلك، فلماذا لم تحاول كل تلك السنوات، لماذا الآن؟

قاطع شرودها إتصال هاتفي آخر:

-"مرحبًا ريجينسي".

-"نعم، مع من أتحدث؟"

-"أنا ماثيو".

* * * *

عند الساعة الثامنة، دق جرس الباب أسرعت ريجينسي تفتحه، بينما تضع كاثرين لمساتها الأخيرة.

-"تبدين فاتنة"؟

-''أنت أيضًا تبدو كذلك''.
-''ريجينسي، من هناك؟'' جائهم صوتها من الداخل.
ترددت ريجينسي قليلًا قبل أن تجيبها:
-''أنه ماثيو''.
لم تكمل نطق اسمه، حتى اندفعت الأخرى من غرفتها، كطلقة أُطلقت دون وعي صاحبها كانت على أهبة الاستعداد، لطرد المدعو ماثيو القذر للشارع، مع تهديدٍ له بعدم العودة إلى هنا. لكنها عوضًا عن ماثيو القذر، وجدت رجلًا في حلة أنيقة وشعر مشذب، يقف أمام باب شقتها، حاملًا باقة صغيرة من الورود.اندهشت، وداهمها شعور بالحرج:
-''آسفه سيدي، لقد اعتقدتك شخصًا أخر أعرفه.. شحاذ''.
انطلقت ريجينسي تعتذر له، وهي تهز رأسها نحوها، كاظة على أسنانها:
-''أنه ماثيو يا كاثرين، الذي أخبرتك عنه''.
-''ماثيو.. ما.. ماثيو.. هو''. كاثرين متلعثمة.
ابتسمت له ابتسامة صفراء على مضض، وهي تجذب ريجينسي من ذراعها إلى غرفتها، هامسة:
-''هل جننتي؟ سترافقين ماثيو الشحاذ إلى الحفلة''.
-''وماذا في ذلك؟'' سألتها ببراءة.
-''في ذلك الكثير، أنه شحاذ.. شحاذ. ثم من أين له بتلك البذة؟''
-''لقد أقرضته المال لشرائها''.
-''يا إلهي!، كم هم الحمقى حولي؟ كيف لكِ فعل ذلك؟''
-''لا أفهم، أين المشكلة؟''
قاطع شجارهما صوت ماثيو بالخارج يستعجلهما.
-''يا إلهي، ها هو قد أعتبر نفسه صديقًا يحق له الحديث في هذا المنزل. لقد أخطأتي يا ريجينسي خطأً كبيرًا، اتمنى ألا

يعود ذلك بالسوء عليكِ".

لم تفهم ريجينسي سبب غضبها مما فعلت، لقد دعاها ماثيو لعشاء بسيط، ظل يجمع ماله لوقتٍ طويل. وكونها قد قررت حضور حفلة باتريك، لم ترغب بإشعاره بالضيق حيال رفضها لدعوته، فلا داعي للمقارنات التي سيضعها ماثيو به. لذا أقرضته المال –الذي لم يرضى به إلا بعد إصرارها على أخذه- لشراء بذة جديدة، ، مما جعلها تقع في حب كبريائه – على حد وصفها-. وذلك على غير وعي لما تراه كاثرين في ماثيو، ولا تراه هي.

سبقتهما كاثرين إلى حيث سيارة التاكسي، ووجهها شبه منبعج مما يحدث. لم تنطق بكلمة طوال الطريق، وفي محاولة لتهميشه كانت توجه حديثها لريجينسي فقط. حتى إن حاول التحدث، كانت تتجاهله تمامًا.

عندما وصلا سبقتهما للداخل.

-"أرى أن كاثرين لا تطيقني". ماثيو مستشعرًا الحزن.

-"لا تهتم لكاثرين، أنها دائمة التذمر".

* * * *

عندما رأى باتريك كاثرين، ترك كأسه وتقدم نحوها مرحبًا بها.

-"لم أتوقع حضوركِ الليلة!؟

-"لم أكن لأحضر، لولا ريجينسي. لم أرغب في إشعارها بالضيق".

-"ممم، إذن علي شكرها لمساعدتها لي على إخراج هذا القلب الكبير إلى حيز الرؤية".

-"على الأقل لدي قلب، لا يملكه غيري". قالت متهكمة.

-''وما أدراكِ بأني بلا قلب'' باتريك وقد تغيرت نبرة صوته، لنبرة هادئة لطيفة.
-''عذرًا باتريك، لكني لست إحدى فتياتكِ الحمقى. فلا داعي لهذا اللطف المصطنع''. كاثرين تنصرف عنه ساخرة، متوجهة نحو المدعوين للاختلاط بهم.
-''أوه كاثرين، متى تفهمين؟'' همس لنفسه.
-''مرحبًا باتريك، أرى أن الحفلة على أوجها الليلة''. جاءه الصوت من خلفه.
-''مرحبًا يا فتاة الحفلة. من هذا برفقتك؟''
-''باتريك هذا ماثيو. ماثيو هذا باتريك''.
-''أهلًا ماثيو لا أدري يا صديقي لكني قد أقسم بأني أعرفك أو رأيتك من قبل. ماذا تعمل؟''
تجمد كلاهما، لا ينبس أحدهما ببنت شفة، حتى بادرته ريجينسي:
-''لدية مشروع يديره بالمدينة؟''
-''أه، حقًا. ربما أكون قد رأيت صورتك في إحدى صفحات صحف العمال أو شيء من هذا القبيل. أهلًا بكم على أي حال، يمكنكم التعرف على البقية هنا. إن احتجتم لي ستجدونني في إحدى الزوايا هنا على الأرجح''.
حدجها ماثيو بنظرة عتاب، بعد مغادرة باتريك:
-''لماذا كذبتي؟''
-''لم أكذب، فأنت يوماً ما ستدير مشروعًا ناجحًا، أنا أثق بك''.
-''لكنكِ كذبت''.
-''لا تقلق لن يتذكر شيئًا، على الأرجح أنه قد ثمل الآن''.
لم تنل كلماتها إعجابه، ولضيقه –على حد قوله- ظل طوال الحفلة مجاورًا للبار، يتناول الكأس بعد الآخر، حتى اشتدت

ثمالته. لتلكزها كاثرين في تضايق:

-''انظري إلى فتاكِ الغبي الذي أحضرته معنا. أرجوكِ خذيه وغادري قبل أن يتسبب لنا في المتاعب''.

-''ماذا عنكِ؟''

-''سأغادر بعد قليل، ما زلت في انتظار مدير إحدى المجلات، سمعت باتريك يخبر أحدهم بحضوره اذهبي أنتِ وأعيديه إلى حيث وجدتيه.. بالزقاق''.

* * * *

بحلول منتصف الليل، كانت كاثرين تفتح باب منزلها المعتم من الداخل اعتقدت نسيان ريجينسي لترك الضوء مشتعلًا كما طلبت منها قبل مغادرتها الحفل، وهي تتحسس خطاها في طريقها إلى غرفتها. لم تجد داعٍ لإشعال الضوء، معتقدة بأنها قادرة على إيجاد طريقها بيسر، حتى تعثرت أرضًا، جراء إعاقة شيء لخطواتها.

خرجت ريجينسي من غرفتها فزعة، على صوت الواقعة، تُضيء الأنوار لينكشف لكاثرين، وجود ماثيو ببذته ملقًى على الأريكة، وساقاه منطلقتان خارجها. يغط في نومٍ عميق، لم يُقظه منه شيء، حتى صوت سقطتها كما بدى الأمر. مضت لغرفتها ترمق صديقته بنظراتٍ غاضبة، تلقي فيها باللوم عليها.

-''أخبرتك بأن تتخلصي منه، لا جلبه إلى هنا''.

-''نعم، لكن الوقت كان متأخرًا، وقد غطى في النوم قبل وصولنا. لم أرى مشكلة في أن يقضي ليلته هنا حتى الغد''.

-''أوه، ريجينسي. أنتِ حقًا لا تفهمين كيف تجري اللعبة. هاه، أو أنكِ لا تبالين حقًا بالأمر''.

-''لا أفهم ما تقصدينه؟''

-" لا يهمني ذلك، كل ما أريده أن يختفي هذا الشخص صباحًا من منزلي لا أريد أن أراه ثانيةً. حياتك لكِ وأنتِ حرة باختيارك لكني لن أقبل بوجود شخصٍ كهذا في حياتي ولو على سبيل الصدفة. أفهمتي؟".
تجادلا لبعض الوقت، قبل أن يتوقفا بعد سماع صوت الباب يُصفق، معلنًا مغادرة ماثيو للمكان.

* * * *

(2)

ذات صباحٍ متكاسل، قررت ريجينسي أن تستقل سيارة أجرة عوضًا عن المترو، حتى تصل في موعدها بالضبط، مما يمنحها وقتًا أكثر بالمنزل. لم تنم جيدًا بعد شجارها مع كاثرين من أجل صديقها، كما أنها شعرت ببعض الإرهاق بسب ضغط العمل بالأمس.

فبعيدًا عن الاجتماعات، كان عليها تنظيم أكثر من عشر مخطوطات وكتابة ملخص لكلٍ منها -على غير العادة من أجل كاثرين- والذي لم تنتهي حتى الآن، إلا من اثنين منها.

الجميع يهرع في تلك الساعة لإيجاد سيارة تاكسي، تقله إلى عمله، بغية الوصول باكرًا.

لذا كان من المتوقع ألا تجد أي سيارة أجرة شاغرة،لإستحواذ الأشخاص السريع على أي منها، حال وقوفها. عندما توقفت إحدى سيارت الأجرة لها بعد نصف ساعة من الوقت، هرع رجل آخر نحوها، دفعها بقوة حتى سقطت أرضًا، مستوليًا عليها.

كالت له الشتائم لأول مرة، بعد أن أخرجها فعله عن وقارها. أفلا يكفيها ما لديها من تزاحم في الأفكار، الآن عليها أيضًا أن تتعامل مع الحمقى من أمثاله. مد أحدهم يدًا لمساعدتها على النهوض، وحين بادرت بشكره، وجدته ذات الرجل -رجل المترو كما سمته- الذي ساعدها سابقًا، وكأنهما على موعدٍ غير معلوم.

-"لا بد أنه يوم سعدي، يبدو أنني قد وفقت لخدمتك وإنقاذكِ للمرة الثانية".

-"أه على ما يبدو أن ذلك صحيح، شكرًا لك مرة أخرى".
كادت تهم بتغيير طريقها، لتبتعد عنه، حين ناداها بلباقة:
-"هاي انتظري، على الأقل يمكنك دعوتي على فنجان قهوة. لنتحدث قليلًا".
-"أود حقًا ذلك، لكن لدي الكثير من العمل، وقد تأخرت".
-"حسناً، يمكننا على الأقل مشاركة سيارة الأجرة".
بادرها، وهو ممسك بباب سيارة الأجرة مفتوحًا. كانت تلك الفرصة الممنوحة لها عظيمة، رغم ما سيلم بها من وجع في الرأس من ثرثراته، وهو ما كان فنجان القهوة كافٍ لإزاحته. لم يكن هناك العديد من الخيارات، فإما التأخر عن العمل أو انتظار سيارة أجرة أخرى، وهو ما كان مستحيلًا في هذا الوقت المبكر.
-"أنا ستيفن، مدير قسم الحسابات بشركة..." عاد يذكرها بنفسه، حين قاطعته:
-"أعلم، فورست للتجارة".
-"أوه، نعم.. لقد نسيت أنني قد أخبرتك بذلك بالأمس". قال مبتهجًا، متظاهرًا بالنسيان.
قاطعها رنين هاتفه:
-"مرحباً عزيزتي، نعم أنا في الطريق للعمل. نعم وأنا أيضًا.. أحبك".
-"زوجة؟!"
-"بل حبيبة. زوجتي لا تستيقظ في هذا الوقت وحتى لو فعلت فهي لا تتصل بي على الأرجح".
-"هاه خائن". بادرته بجراءة.
-"ليست خيانة، أنا أحب هذه المرأة كثيرًا. لو أني لم أتزوج لكنت قد تزوجتها".

-''ولماذا لا تطلق زوجتك لتتزوجها، ألا تحبها؟''
-''أجننتي؟، أطلقها لتأخذ نصف ما أملك. المنزل والمال الذي تعبت لجنيه''.
-'' لا يهم ما دام ذلك سيسعدك''.
-''أنا سعيدٌ هكذا، لدي زوجة تخدمني ومنزل يأويني ومالٌ أنفقه وحبيبة ترضيني وتسعدني''.
-''هل تعرف زوجتك بهذا؟''
-''لا بد أنها تعلم، لكن لا يهم، المهم أني سعيد وهي لا تعترض على ذلك''.
-''أنت أناني''. قالتها بجفاء وقليل من الاحتقار. ثم أشارت للسائق أن يتوقف.
أمسك يدها بسرعة:
-''انتظري أرجوكِ، ابقي حتى تصلي إلى وجهتك. لا أرغب في أن أكون سببًا في ازعاجك''.
-''لا بأس، سأستقل سيارة أجرة أخرى''.
-''أرجوكِ انتظري، أعتذر منكِ على أي حال''.
حدجهما السائق بنظرة حانقة:
-''هل ستنزلين أم أكمل؟''
أشار له الرجل أن يكمل، ثم التفت نحوها:
-''أه منكن يا معشر النساء، تتعاركن طوال النهار وتقفن بجانب بعضكن عندما تتعرض إحداكن للأذى''.
-''أنا لا أعرف زوجتك. لكنك تظلمها بفعلتك هذه''.
-''أعتقد بأني قد ظلمت نفسي أولاً حين تزوجتها. كانت جميلة ويافعة، لكن لا أدري ما حدث لها بعد ذلك. تغيرت للأسوء، ازداد وزنها وأصبحت تعشق النوم، متجهمة طوال الوقت ولا تتحدث كثيرًا. لقد مللت العيش معها، أبدو وحيدًا بها. كم

اتمنى لو أني لم أتزوجها، أتعلمين لو يعود بي الزمان للوراء لما قبلت بهذه الزيجة".
-"ربما لأجلها تستحق ما سأفعله، وليس لأجلك. لك ما تمنيت أيها الأحمق".
ثم أوقفت سيارة الأجرة، وغادرت بعد صفعها للباب، بينما بقي الرجل فاغر العينين.

* * * *

”الأمنية السابعة“

أمسك ستيفن ببعض الأوراق يتفحصها، وهو يرتشف قهوته الساخنة على مهل. أتصل بعد ذلك بسكرتيرته يسألها الإتصال بمكتب المدير العام، لتحديد موعد الاجتماع صغير معه. أغلق متأففًا السماعة في تضايق من مديونيات الشركة، التي تزداد تكاثرًا كيرقات الباعوض، الذي سيقضي على الشركة لا محالة خلال بضعة شهور. باغته رنين هاتفه المحمول، حيث عرضت شاشته رقمًا لم يميز أوله من أخره. أعتقده أحد العملاء، فأسرع يجيبه بلطف:

-”مرحبًا، معكم ستيفن“.

-”مرحبا ستيفن، أنها أنا سيلينا زوجتك. كنت أرغب بتذكيرك بموعد اليوم، أنا أحدثك الآن من هناك“.

استحالت نبرة صوته إلى نبرة غاضبة:

-”عن أي موعد تتحدثين؟“

-”عن موعد الحقن، أنا هنا لدى الطبيب، انتظرك منذ نصف ساعة“.

-”أخبرتك سابقًا، أن لا رغبة لي بإنجاب أطفال“.

-”لكننا أتفقنا على زيارة الطبيب، الذي حدد الموعد للعملية“.

-”لم أوافق على شيء، أنتِ من زرته، أتذكرين؟ لقد سمحت لكِ بذلك، بغيه إنهاء الازعاج الذي سببتهِ لي. الآن انتهى الأمر، عودي إلى المنزل“.

-”لكن ستيفن، أنا أريد...“.

-”لا، لكن. عودي للمنزل الآن. ثم أني أخبرتك مئات المرات ألا تتصلي بي وأنا خارج المنزل. لا وقت لدي لثرثرتكِ. قال

مقاطعًا، قبل أن يغلق الهاتف منزعجًا، ناهيًا الحديث بينهما.
لم يكد يضع هاتفه جانبًا، حتى عاود الرنين مجددًا. فأسرع يجيب غاضبًا:
-''أخبرتك ألا تتصلي بي مجددًا!''.
-''أوه عزيزي، لم أكن أعلم بأن إتصالي بك يزعجك إلى هذه الدرجة''. جائه الصوت مفعم بالأنوثة.
-''مارجريت، حبيبتي. لم أقصدك بتلك الكلمات، فأنت الوحيدة المصرح لها الإتصال بي في أي وقت''. أجابها بنبرة لطيفة قبل أن تعود نبرته إلى القسوة: ''لقد كنت أتحدث لتلك الحمقاء. الغبية تريد أن تنجب أطفالًا، ألا يكفيني هي.. لا. ترغب بأن تجلب لي صغارًا يشبهونها''.
-''أوه عزيزي، أرجوك لا تغضب. فأنا لا أحب رؤيتك بهذا الشكل. فما يزعجك يزعجني. تعلم ذلك''.
-''لا بأس عزيزتي، لتعلمي فقط أن وجودك بحياتي نعمة، أحمد الله عليها كل ليلة''.
-''لم تسألني عن سر إتصالي بك الآن''.
-''وهل لإتصالاتك أسرار؟ لا بد أنكِ اشتقتي إليّ''.
-''بالطبع عزيزي، لكنِ في الحقيقة احتاج لبعض النقود، لشراء بعض الأشياء الخاصة''.
-''حسنًا، سأمر عليك مساءً. وسأجلب معي النقود التي تحتاجين''.
-''لكني أرغب بالحصول عليها الآن''. قالت بدلال.
-''الآن!''
-''أوه، هل لدى ستيفي العزيز ما يمنع؟''
-''لا عزيزتي، مريّ عليّ بأي وقت. أنا رهن إشارتك''.

ضحكا معًا، وتبادل القبل عبر الهاتف، ثم أنهيا المكالمة.
عندما عاد مساءً للمنزل، أسرع نحو غرفة مكتبه، متجاهلًا صوت بكاء سيلينا. أوصد الباب، واضعًا بعض الأوراق التي أخرجها من حقيبته أمامه، وبدأ يعمل في هدوء وكأن شيئًا لم يحدث. عدة ساعات مضت في غرفته دون أن يشعر، حتى قاطعته سيلينا بعينين منتفختين، تستأذنه في الحديث معه.
تجهم وجهه ما أن سمع صوتها، وأنزل نظارته قليلًا يحدجها بنظرة منزعجة، ثم أشار لها أن تغلق الباب. تقدمت بضع خطوات بهدوء، ثم التفتت نحو الباب تغلقه، حين صاح بها:
-''أمرتك بإغلاق الباب، لا أن تدخلي وتغلقي الباب''.
-'' ستيفن، إلى متى سنظل هكذا؟''
-''إلى أن تموتي أو أموت''. أجابها بجفاء.
-''أنت لا تحبني، أليس كذلك؟''.
-''حمدًا لله، أنكِ قد فهمتِ ذلك. ولو أنه قد جاء متأخرًا''. قال ساخرًا.
ترددت قليلًا، خوفًا منه، قبل أن يطلق لسانها تلك الكلمة التي لا بد وأن تثير غضبه:
-''طلقني، أرى أنه من الأفضل لكلينا أن ننفصل''.
-''عزيزتي، أن العهد الذي قطعته يوم تزوجتك، يقضي أن حياتنا معًا لن تنتهي إلا بالموت. يمكننا فقط الانفصال في هذة الحالة فقط''.
-''إذن سأقتل نفسي، حتى ينتهي هذا العذاب''. قالت مهددة.
-''جيد، لكن أرجوكِ لا تتسببِ بالكثير من الضوضاء والفوضى. تعرفين أكره الفوضى. الآن اتركيني أنهي عملي''.
أسرعت للخارج تجهش في البكاء، حين سمعت صوته يناديها:
-''سيلينا، انتظري''.

عادت يعلو وجهها الأمل في كونه قد أشفق لحالها، وأنه سيتركها تمضي بسلام:
-''نعم ستيفن''.
-''لقد نسيتِ إغلاق الباب خلفك''.
* * * *
أخذ ستيفن يفكر فيما سيفعله مع زوجته، المرأة تطالبه بالانفصال علنًا، لم تعد تخشى شيئًا، غير آبه لما قد يحدث لها. تساءل من أين لها بهذة الجراءة، سيلينا الخاضعة، الآن تتحدث دون خوف. متناسية أنه من أنقذها من العودة لبلدها الفقيرة، حين تزوجها. نسيت مجيئها لبلاده عن طريق الهجرة غير الشرعية، ونسيت أن زواجه منها فقط، هو من أجل منحها الحق في البقاء في بلاده أمنة.
تلمس صورة زفافهما، المتروكة منذ زمن بدرج مكتبه، يتأملهما معًا. أحنى رأسه للخلف متأففًا:
-''ليتني لم أتزوجها، العاهرة ستأخذ كل شيء''.
مزق الصورة إلى نصفين حانقًا، ثم رماها بسلة المهملات بجانبه وعاد يكمل عمله، بعد أن حادث مارجريت قليلًا ليهدئ.
لم تمضي الساعة، حتى غفى على أريكة مكتبه، بعد ساعات عملٍ طويلة.
* * * *
-''هل تقبلين يا سيلينا الزواج بستيفن؟''.
أجابته بلكنة غير متقنة للانجليزية:
-''نعم، سيدي''.
التفت الكاهن نحو ستيفن، الذي كان فاغرًا فمه وعينيه على إتساعهما:
-''هل تقبل يا ستيفن الزواج من سيلينا؟''

نظر لنفسه يتفحصها، ليجده مرتديًا بذة عرسه:
-''لا يمكن أن أصدق ذلك؟'' قال مشدوهًا ثم أكمل فرحًا: ''لقد عُدت، أنا هنا.. أنا هنا''.
نظر الجميع نحوه، يحدجونه بنظراتٍ متسألة، عن إن كان قد فقد صوابه في حين أجابه الكاهن:
-''نعم يا بني، أنت هنا بالفعل الآن أجبني، هل تقبل الزواج بسيلينا؟''
نظر هو للكاهن، ثم التفت نحوها وأمسك يديها بحنان:
-''عذرًا أيتها الحمقاء، لن أدعك تحصلين على كل شيء في النهاية''. ثم صرخ في الكاهن: ''لا أقبل الزواج بها''.
وركض خارج الكنيسة، بعد أن رمى بجاكيت بذته على الحضور، صارخًا بفرح:
-''أنا حر.. أنا حر''.

* * * *

في ذلك اليوم، لم يصدق ما حدث له، لوهلة ظن أنه يحلم، فأخذ بقرص ذراعيه وضرب وجنتيه. لكنه أيقن بأن هذا لا يمكن له أن يكون حلمًا أو حتى كابوسًا. لقد عاد لنقطة الصفر كما تمنى.
تجاهل ستيفن يومها إتصالات أصدقائه، وكل الرسائل الصوتية التي تُركت له، حتى أنه لم يجب والدته التي كانت غاضبة مما فعله بالفتاة يوم زفافها. ظل الجميع لأسابيع يتسأل عما حل به، ليفعل ما فعله البعض علل ذلك بأن جنونًا قد أصابه، بينما رجح البعض أن الخوف من اللحظة هو ما جعله مترددًا.
لم يفكر ستيفن يومها بأي أحد غير نفسه، التي أخذ يسألها عما عليه فعله ليرضيها، بعد حصوله على حريته أخيرًا. في ظل تلك الفرحة العارمة، فكر في الإتصال بمارجريت وإخبارها

بهذا الخبر السعيد.
لكنه تراجع خوفًا من ألا تتعرف عليه، خاصةً وأنه هو نفسه ما زال غير مصدقًا بأنه يعيش الواقع. كما أن لقائهما جاء بعد عدة سنوات من زواجه، فهل عليه البدء من جديد في تكوين علاقة معها؟ أم أنها ستتذكره؟ رجح حدوث الأولى، إعجابًا بفكرة بدء كل شيء من جديد.
فكر في محاولة سريعة، قبل أن يبدأ في وضع احتمالات زائفة. ما كان عليه سوى الإتصال بمنزل والدتها، والتحدث معها. ''لا بد أنها هناك'' حدث نفسه. حيث اعتاد الإتصال بها، حين كانت تقضي عطلة نهاية الأسبوع معها، لكره والدتها للهاتف المحمول.
ما أن تهادى صوتها إلى أذنيه، حتى رفرف ملاكي الحب من شدة السعاده بجانبه،.
-''مارجريت، أنت لا تعرفين من أكون؟ لكنني أعرفك جيدًا، وأرغب بلقائك لأمرٍ ضروري''.
* * * *
عامين ونصف، هو عمر زواجهما، منذ واعد ستيفن -أو عاد ليواعد- مارجريت، التي أسرع لخطبتها والزواج بها ما أن نال رضاها.
-'' ستيفن''. يأتيه صوتها صارخًا.
-''نعم، عزيزتي''.
-''تعال ونظف مارك، لقد أتسخ مرة أخرى''.
-''حاضر عزيزتي''.
عامين ونصف، لم يعي فيه ما حدث لحياته، التي انقلبت رأسًا على عقب.
-'' ستيفن''.

-''نعم عزيزتي''.
-''اطعم مارك وساعده على النوم''.
-''حاضر عزيزتي''.
عامين ونصف، لم يحصل فيها على ترقيته التي توقعها، بل ووجه له إنذار لتأخره الدائم والذي سببه عدم أخذ كفايته من النوم، بسبب سهره الدائم مع مارك –ابنهما-. بينما مارجريت تنام، حفاظًا على بشرتها.
في البداية، كان ستيفن في قمة السعادة، مارجريت تأمر وهو ينفذ بحب حتى مضت الأيام والشهور والسنوات، وهي ما زالت تأمر وهو ينفذ. لم يعرف حينها، ما الخطأ الذي ارتكبه؟ لقد حصل على المرأة التي لطالما حلم بها. والتي لولا وجود سيلينا، لأسرع بالزواج منها وقتذاك.
الآن مارجريت، ليست بمارجريت التي عرفها. فما الفرق إذًا؟ إن كانت هي نفس الشخص حينذاك.
-'' ستيفن، ستيفن، اسرع أيها الأحمق''. على صوتها بالصراخ مجددًا.

* * * *

بعد الظهيرة، وضع ابنه في عربة الأطفال، وقاد به إلى مركز التسوق، لشراء بعض الأغراض التي دونتها له زوجته في قائمة المشتريات. أخرج ستيفن الورقة المطوية من جيب بنطاله، وأخذ يبحث عن الأشياء في الأرفف الموضوعة عليها. كلما وجد شيئًا، أمسك به ورماه بحنقٍ في عربة التسوق.
وبينما هو يتسكع هنا وهناك في مركز التسوق، مبرطمًا ببعض الكلمات ''افعل هذا يا ستيفن، لا تنسى كريم الشعر يا ستيفن ، نظف مارك يا ستيفن''. اصطدم برجل يرتدي ملابس مهندمة، يقود عربة تسوق هو الآخر.

-''أنت أيضًا تتسوق للمنزل مثلي، لا أدري إلى متى سنتحمل ما تفعله نسائنا بنا؟'' ستيفن ساخرًا.
ابتسم الرجل بكياسة:
-''أنا هنا بالفعل اتسوق لمنزلي، لكن مع المرأة التي أخترتها شريكة لحياتي. أنا من عرضت عليها مساعدتها''.
-''أعتقد أنك محظوظ لذلك. فأنا هنا وحدي اتسوق أشياء لم أعرف عنها شيئًا من قبل، في حياتي الماضية''.
-''في حياتك الماضية!''
-''نعم، لقد كان لي حياة أخرى. لكني كنت أحمقًا كفاية لتدميرها من أجل أوهام، أدفع ثمنها الآن''. قال هامسًا.
نظر الرجل إليه بشفقة، لما لمسه من ذهاب عقله. وأسرع ينهي الحديث معه، لولا أن قاطعتهما زوجته.
-''سيلينا''. قال فاغرًا فمه.
-''أوه، ستيفن. لم أعرفك، تبدو مختلفًا''.
-أنتِ أيضًا تبدين كذلك''.
نظر الرجل لزوجته مستفسرًا وهو يحاوط خصرها بذراعه:
-''هل تعرفينه يا عزيزتي؟''
-''أوه نعم، مايكل. هذا ستيفن الذي حدثتك عنه''.
-''أتقصدين ذلك الحقير الذي تركك على المذبح، يوم عرسكما''.
هزت رأسها، بينما وثق هو حديثه:
-''نعم، أنا هو الأحمق. الذي لم يدرك حقيقة ما يفعل''.
-''لا أدري ما يجب عليّ الآن فعله بك؟ هل أقوم بضربك لما فعلته بقلب سيليني الصغير؟ أم أشكرك لأنك لو لم تتركها لما كنت لالتقيها وأحبها كما الآن؟'' ثم أتبع ذلك بقبلة.
-''على ما يبدو لقد حصلت على ما تستحقه. سيلينا امرأة

رائعة''. أجابه وهو يرمقهما بنظرة حسرة.
-''بل أكثر من ذلك، انظر'' ثم التقط المجلة التي بحوزتها، ليريها له:
''انظر، صورتها على المجلة، لقد تم اختيارها من ضمن أفضل 100 شيف بالولايات المتحدة أنا حقًا، أسعد رجل بذلك''.
نظر جورج لكلاهما مستاءً، لقد كانت سيلينا كالحلوى الشهية، تلوح له من بعيد لأكلها. شعرٌ وملابس مهندمة، جسمٌ رشيق، يكاد يذوب في الملابس من فرط جماله.
-''لقد تغيرت حياتها إلى الأفضل، لم أكن أستحقها على ما يبدو''. همس لنفسه.
حينها فقط تذكر كلمات ريجينسي له، حين قالت له قبل مغادرتها لسيارة الأجرة:
-''لأجلها، ليس لأجلك''.

* * * *

عاد ستيفن شاردًا إلى المنزل، تؤلمه ذكرياته، كلما تذكر سيلينا وما فعله بها. إذلاله لها بإنقاذها من الترحيل –على حد قوله، أسلوبه الغاضب في التعامل، ثم مارجريت، التي قام بخيانتها معها. أطفئ محرك سيارته ووضع طفله بعربته، ثم حمل الأغراض إلى المطبخ، حيث وضعها على الطاولة. بحث عن مارجريت بالأسفل فلم يجدها، فصعد لغرفة طفله الغاط في نومه، ليضعه في سريره. تأمل برائته قليلًا، وهمس ''لولاك، لربما كان الوضع مختلفًا'' قبله على جبينه، ثم أغلق باب غرفته بهدوء.
عندما فتح باب غرفتهما، وجدها تضع ملابسها في حقيبتها:
-''مارجريت، ماذا تفعلين؟'' سألها مشدوهًا.

-"يا إلهي!، ما الذي عاد بك مبكرًا".
-"أسألك عما تفعلين؟ إلى أين أنتِ ذاهبة؟"
-"حسنًا يا ستيفن ، في الحقيقة لم أرغب بأن ترى هذا المنظر. لكن على ما يبدو قد قُدر لك. أنا راحلة".
-"لكن، إلى أين؟ ولماذا؟"
-"أه عزيزي، يجب عليك ألا تسأل هكذا سؤال. انظر إليك، عندما تزوجتك كنت تعمل بمكان مرموق، راتبك ممتاز، تهتم بمظهرك. لكن انظر لنفسك، ستطرد من عملك ولن أجد من ينفق عليّ وأنا امرأة تستحق الأفضل".
-"لكني أحبك".
لمست وجنتيه بلطف، ومالت برأسها:
-"أوه، هذا لطيف. لكن الحب لا يكفي أريد رجلًا يُغدق عليّ بالمال".
أنهت ملئ الحقيبة، وهو يقف بجانبها مصدومًا، لا يعي ما يحدث أمامه. تبعها للأسفل يتوسلها أن لا تتركه، مذكرًا إياها بطفلهما، لعلها تُشفق عليه.
-"أرجوك، لقد انتهى كل شيء. لا داع لهكذا حديث" قالت وهي تجر حقيبتها خلفها، حيث ينتظرها أمام الباب سيارة لمبرجيني، يقودها رجل ثري. وقبل أن تغادر، التفتت نحوه:
-"عزيزي، أرجوك اهتم بمارك. ولا تنسى إغلاق باب المنزل بعد أن أمضي".

* * * *

الفصل الثامن

إن لم تتعلم من مرة
فانتظر الألف مرة

(1)

-"الحب ليس له مرآة، لذا كل ما ترينه هو من تحبين فقط".

دائمًا ما كانت كاثرين تقول لها كلما أغدقت في مدحها لماثيو، مع تطور علاقتهما للأفضل.

خاصةً بعد حصوله على عمل في أحد المطاعم، -بفضل ريجينسي التي أخفت الأمر عنها- وأمله في البقاء معها سويًا مدى الحياة. كانت كاثرين تمط شفتيها، عن عدم إعجابٍ بما تسمع، فقد حرصت على تحذير ريجينسي من الانغماس الأعمى في الحب، ناصحةً إياها بأن تعطي عقلها فرصة للعمل هو الآخر.

لم تستغرب ريجنسي موقف كاثرين من ماثيو، مرجحة ذلك للخيبات التي تعرضت لها. والتي جعلتها أكثر شكًا، وأقل إيمانًا بأن هناك ما يسمى بالحب الحقيقي ففي وسط انغماسها بتلك القناعات، لم تلاحظ اهتمام باتريك الدائم بها، ومحاولاته المستميتة للتقرب منها منذ لاحظت ريجينسي ذلك وهي تشجعه بطريقة غير مباشرة على إتخاذ خطوة للأمام. على الرغم من شعورها الدائم بأن كاثرين تعلم بما يكنه لها باتريك، لكنها نوعًا ما تبدي تجاهلًا نحوه، مدعية عدم الفهم على الأقل، تحسنت العلاقة بينهما، إلى حد أن أصبحا صديقين.

حين أخبرها ماثيو، بأن رؤية الأزهار صباحًا، تبعث في النفس الراحة وتبث السعادة بالإنسان، حتى نهاية اليوم إهتمت بالعناية ببعض الأزهار التي زرعتها في أواني فخارية، ووضعتها بالشرفة، لتتفائل بها كل صباح. هي تصدقه، تصدقه لأنها تحبه، تصدقه لأنها تحب الأزهار.

* * * *

في الشهور الأخيرة,بدأت الكوابيس تطارد ريجينسي، حيث ترى والدها حزينًا أو تطارده وحوش مفزعة. كان تكرار ذلك الحلم لفترة طويلة، أثر أنعكس على حياتها، التي أصبحت أكثر توترًا، على الرغم من طمئنات صديقتها لها. معللة حدوث تلك الكوابيس، لكثرة تفكيرها في والدها.
فقدت ريجينسي اهتمامها بنتائج الأمنيات التي منحتها، لمساعدة الغير، حتى وأن كان ذلك سيعود بالنفع على الشخص غير المتمني، كحادثة جورج. أن لم ينجح صاحب الأمنية في اختيار أمنيتة أو الحفاظ عليها لتحقق النتائج المرجوة، فعليها على الأقل أن تصل بتلك المنفعة لمن يستحقها، فكرت.
حتى عندما رأت جورج مرة أخرى صِدفةً بمحطة المترو، وقد بدا عليه بأنه يعيش أسوء أيام حياته، التي أنطلت على سحنته وملابسه غير المهندمة. لم يعرفها، لكثرة انشغاله البائس بالتفكير. حيث كان شاردًا ومهمومًا، كما لم تره من قبل. اختفت عنه تلك النظرة التي كرهتها، نظرة الزهو بكل شيء.
ذلك اليوم التقت بماثيو، الذي دعاها مرة أخرى للعشاء، احتفالا بحصوله على مسكن خاص به، وإن كان بالإيجار ساعدته هي أيضًا على إيجاده، كما ساعدته في تأثيثه بأثاث بسيط. كما أن راتبه الآن أصبح جيدًا، بعد حصوله على تلك الترقية، التي معها أصبح مشرف عام لعمال المطعم.
كان عشاءً هادئً في أحد المطاعم زهيدة الثمن. كان الطعام سيئًا، والطاولات قذرة نوعًا ما، إلا أنها لم تُبدي اعتراضًا، في حين لاحظ استيائها غير المعلن اعتذر منها ليلتها، وهما في طريقهما إلى منزلها. أمسك يديها برفق، وأعلن حبه لها ورغبته في قضاء حياته معها لكنه عاد منكس الرأس، مبديًا

بعض الحزن.
-''ماذا بك ماثيو؟''
-''لا شيء، أنا أحبك ريجينسي. لكني أشفق على نفسي أحيانًا. كم أتمنى العودة لحياتي السابقة!''.
-''لكن، لماذا؟ أنت الآن تبدأ في صنع حياة جديدة. وهذا جيد''.
-''نعم، عندك حق''. قال تعلو وجهه ابتسامة لطيفة، لكنها ما فتأت أن اختفت مرة أخرى: ''أوه كم أتمنى أن يصبح لدي الكثير من المال. هل تعلمين كنت لأفعل به؟''
-''ماذا يا ترى؟''
-''أولاً، سأبني مبنى خاص بالمشردين، سأجمع كل الرفاق بالزقاق وأضعهم به''. ثم تابع وقد بدا عليه التأثر: ''لقد جربت حياة الفقر والتشرد ولم تكن تلك الحياة بالسهلة''.
التمعت عيناها، وفاضت مشاعر حب نحو ماثيو الحنون:
-''أه ماثيو، أنت لطيف جدًا''.
-''لكن المشكلة، كما أخبرتك سابقًا.. المال. احتاجه لتحقيق هذا الحلم. اتمنى لو أني أحصل على مالٍ كثير، انشئ به شركة وربما بأرباحها يمكنني أيضًا، مساعدتهم بدعم مشاريعهم الصغيرة''.
-''أنا واثقة أن يومًا ما، ستحقق أحلامك هذه''.
ابتسم لها، ثم أخذ يسألها عن عملها مبديًا اهتمامه بها. وفور وصولهما، قبل يدها، مودعًا إياها على أمل لقائها بالغد. غادرها تاركًا إياها تفكر جديًا في أمنيته، التي باستطاعتها مساعدة أناس كثيرين، تمنت لو استطاعت مساعدتهم. فكرت أنه لربما قد حان الوقت لفعل ذلك، عبر ماثيو الراغب في ذلك.
فورعودتها، حدثت كاثرين بفكرتها، التي عارضتها بشدة.

محذرةً إياها من منح ماثيو أي أمنية، لأنه فقط يستغلها لتحقيق مصالحه. لكنها أكدت لها بأنه لا يعلم عن حقيقتها شيئًا. كما أنه ما كان ليستغلها وهو يعلم بأنها لا تملك مالاً لذلك.
-"أن هذا الرجل لا يشعرني بالراحة، أشعر بأن وراءه لُغزًا كبير". كاثرين بانزعاج.

****

بينما كاثرين تثرثر لبعض الوقت عن باتريك، ورحلة الياخت التي دعاها إليها، كانت هي شاردة بكل حواسها. حتى أن عينيها ظلت مسمرتين على الزهرية الصغيرة أمامها، لا تتحركان. حتى وضعت يدها أمامها، تشير لها، في محاولة لقطع ذلك الإتصال باللاشيء.
-"بماذا تفكرين؟ ماثيو".
-"لا، فقط بعض الأعمال المعلقة.. وبأبي، تعلمين. أكملي، ماذا فعل باتريك؟".
عادت الأخرى لثرثرتها، وهي تفكر مليًا، بأنها المرة الأولى التي تكذب فيها على صديقتها، لكن لم يكن باليد حيلة.
شغلها تفكيرها بما حدث بالأمس، حيث ظهر لها الوزير من العدم، وقت نومها، لتستيقظ على هالةٍ من نور تنبثق من أحد زوايا الغرفة.
-"الوزير، لا بد أني أحلم؟" قالت تفرك عينيها من فرط المفاجأة.
-"لا، أميرتي. اسمعيني، لا وقت لذلك. لقد وضعني أخوكِ الأمير زورا بالسجن بعد أن حبس والدك المريض في غرفته. يجب عليكِ العودة إلى المملكة بأسرع وقت".
-"لكن كيف، لقد خانتني مولي وسرقت صرة سحر العودة".
-"أعلم ذلك، لقد قام بإعدامها فور عودتها إلى هنا. لقد استحقت

ذلك، لما فعلته بكِ".
-"إذن ما العمل؟"
-"هل بقي لديكِ أي امنيات؟"
-"نعم، ثلاث أمنيات". ثم أعادت التفكير مرة أخرى: "أقصد اثنتين".
-"هذا جيد، على العموم لم نعد في حاجتهم، فلقد عاد أدم بعد مغادرتك لينفذ وصية جده. الآن كل ما عليك فعله هو إيجاد شخص يحبك بصدق ليتمنى لكِ العودة مره أخرى لمملكتك. لن يكون هذا صعبًا عليكِ، أن واثق بأن الجميع يحبك عزيزتي. لكن احذري، يجب أن يكون حب صادق، وإلا ضاعت الأمنية هباءً ولن يتم تحقيقها. وأنت كما ذكرتِ لم يعد لديك إلا اثنتان. فأحرصي عليهما، فنحن بحاجتك".
ابتسمت له ابتسامة عريضة تملئها الثقة:
-"نعم، لدي من يمكنة التمني لي، لا تقلق ثم عادت مترددة تسأله: "لكن هل سيكون بإمكاني العودة إلى هنا مرة أخرى".
-"ربما، لكن بعد أن تساعدينا".
-"هل أبي بخير؟"
-"لا أعلم عنه الكثير لقد كان من الصعب الوصول إليكِ، بعد سلبي كل جرحات السحر وعصا التمني. لولا أبيك، لما استطعت محادثتك الآن. اسمعي، لن استطيع البقاء كثيرًا، فلقد غافلت الحراس لأستطيع محادثتك. ولقد استنفذت أخر ما لدي من رماد مسحور، أُحضر لي. يبدو أن أحدهم قادم، لا تنسي عودي بسرعة".
اختفى الوهيج، مخلفًا وراءه الحزن لها.
-"هاي يا فتاة، ما بالك؟"
-"لا شيء كاثرين، فقط أفكر ببعض الأمور. سأذهب لملاقة

ماثيو. هل ترغبين بشيءٍ ما؟''
-''لا، لكن احذري هذا الفتى''.
-''لا تقلقي كاثرين، لا تقلقي''.

* * * *

جل ما كانت تفكر به في طريقها لماثيو، هي أمنيته التي قررت تحقيقها له، قبل عودتها لمملكتها. بعدما لم تعد تملك الكثير من الوقت لإضاعته، فوالدها المسكين والمملكة بحاجتها. لكن ما سبب لها معضلة، هي كيفية إخباره بكونها جنية لديها القدرة على منح الأمنيات. كان خوفها من ابتعاده عنها أو خوفه منها، يشغلها. ومع اقترابها من مكان عملها، قررت ألا تخبره الحقيقة إلا بعد مضي بعد الوقت على تحقيق أمنيته. ربما ستخبره الحقيقة، وتطلب منه حينها أن ينطق بتلك الكلمات التي ستمنحها، حرية العودة إلى مملكتها مجددًا، مستخدمة أمنيتها الخاصة.
تنفست ريجينسي الصعداء، بعد أن باتت خطتها أفضل الآن. حين رأها ماثيو تقف بجانب باب المطعم، لوح لها للدخول، فأشارت له بأنها في انتظاره. استأذن المدير، وعجل نحوها يسألها أن كان هناك خطبٌ ما. وضحت له رغبتها المفاجأة في رؤيته، فقط رؤيته والتحدث معه. طلب منها الانتظار حتى يقوم بتبديل ملابسه، ليغادرا بعدها إلى مكان آخر يمكنهما التحدث فيه دون أن يزعجهما أحد.
دقائق من المشي أوصلتهما إلى أحد الكافيهات القريبة من المطعم، تحدثا قليلًا وتمازحا، قبل أن تباغته بسؤالها:
-''ماثيو، تخيل لو أن باستطاعتي تحقيق أمنية واحدة لك، ماذا ستكون؟''

-''بالطبع، أن أحيا بجانبك طوال حياتي''. قال بثقة.
-''هيا ماثيو، أتحدث عن أمنيتك تلك التي ستساعد بها الفقراء''.
-''اوه نعم، بالطبع يمكنني تمنيها أن كنتِ أنتِ من سيشاركني تحقيقها''.
-''حسنًا، سأمنحك إياها''.
-''هل أنتِ ساحرة أم جنية لتفعلي ذلك؟'' قال مازحًا.
شعرت بالارتباك قليلًا، قبل أن تجيبه:
-''لا هذا ولا ذاك. لكني سأدعو من قلبي أن تتحقق أمنيتك، كثيرًا ما ينجح ذلك معي. لكن عليك أولًا أن تتمناها''.
-''حسنًا، يمكنني تصديق ذلك''. ثم انفرط بالضحك.
-''هيا ماثيو، خذ الأمر بجد''.
-''حسنًا، أتمنى أن أمتلك مالاً كثيرًا، لا، بل ثروة كبيرة''.
-''لك ما تمنيت''.

* * * *

كان قلبها ينضح بالسعادة، حين استقبلتها كاثرين بوابل من الأسئلة المستفسرة عن سر تلك البهجة، التي تطلي ملامحها. فأخبرتها عن ماثيو الذي يحبها، وعن تحقيقها لأمنيته اليوم. سائلةً إياها ألا تغضب منها لفعلها ذلك، فهو شخصٌ جيد وهي تثق به. برطمت كاثرين بالكثير من الكلمات الغاضبة، بينما حاولت هي تجاهلها تارة وطمئنتها بأن كل شيء سيكون بخير تارةً أخرى. لكنها كانت غاضبة للدرجة، التي لم تعطي لفعل ريجينسي أي منطق، يمكنها معه أن تغفر لها.
بررت مجددًا فعل صديقتها بالغضب النابع من الخوف عليها، لكنها هذه المرة على غير العادة تعرف ما تفعل. المهم أن تتحقق أمنية ماثيو سريعًا، ليسعد بالأمر.

”الأمنية الثامنة“

-”ريجينسي، لن تصدقي ما حدث“. أتاها صوت ماثيو عبر الهاتف في غاية السعادة.
-”ماذا هناك؟“
-”لقد حصلت على الثروة التي تمنيتها. لن تصدقي لقد ربحت بطاقة اليانصيب التي اشتريتها بالأمس. يا إلهي لم أكن مؤمن بأن الحظ سيبتسم لي مرة أخرى. سأدعوكِ اليوم للاحتفال بهذه المناسبة“.
كانت هذه المكالمة منذ عدة أيامٍ مضت، حين فاجأها هو بذلك. قضيا تلك الليلة، يحتفلان وكاثرين التي لم تصدق حصول هذا الصعلوك على كل هذة الثروة، لكنها عادت لتتذكر أنه لولا تحقيق ريجينسي لأمنيته، لما عاش ليرى هذا الحلم يتحقق.
شاركهما باتريك ليلتها الاحتفال، كان يتصل بكاثرين، حين أخبرته بتواجدها بحفلة الصعلوك –كما دعته وقتها-. جلسا على البار، يتناولان بعض المشروبات، بينما ترمق ماثيو القابع بجانب ريجينسي سعيدًا، بنظرات مشمئزة.
-”أيع.. أن هذا الرجل يثير غثياني“.
-”لماذا؟“ سألها باتريك.
-”لا أعلم، لا أثق به“.
-”حتى الآن لم أستطيع تذكر أين رأيته من قبل؟. أنا واثق من رؤيتي له في مكانٍ ما“.
قاطعهما البارمان، هامسًا:
-”أنه روبرت باركر، المليونير السابق، كنت أخدم ذات مرة بإحدى حفلاته“.

-''أه، نعم. لقد رأيت صورته على إحدى المجلات، التي أجريت معه حوار. لكني لم أكن لأذكر اسمه جيدًا''.
التفتت كاثرين نحو البارمان، وهي تمد له بورقة ماليه فئة المائة:
-''أخبرني ماذا تعرف عن روبرت ذاك؟''
****
طلبت كاثرين منها إنهاء هذا الاحتفال والعودة للمنزل، كونها تشعر بالتعب. بعد أن أصرت على باتريك أن لا يخبرها بشيء، حتى تستطيع التحدث معها بعيدًا عن ذلك الوغد. كان ماثيو منزعجًا من طريقة إنهائها لحفلتهم الصغيرة، لكنه حبًا بريجينسي لم ينبس ببنت شفة.
عندما عادتا للمنزل، أخبرتها بكل شيء، وعلى غير المتوقع، لم تصدقها. بل غادرت مسرعة إلى حيث يقطن ماثيو، وأخبرته بما أخبرتها به كاثرين.
فاحتضنها بحنان:
-''عزيزتي، ربما اخفيت عنكِ ماضيا، لرغبتي أن تحبيني لشخصي، وألا تكرهيني لمجرد أخطاء فعلتها بالماضي''.
-''لكنك خدعتني، هل ستُضيع هذا المال على القمار أيضًا؟''
-''عزيزتي، لقد تغيرت. أنا الآن رجلاً جديد. أرجوكِ، لا تدعي أحدًا يفسد ما بيننا''.
-''لماذا غيرت اسمك؟ لماذا أدعيت أنك شخصًا أخر؟''
-''خفت من ملاحقة الماضي لي. أرجوكِ ثقي بي، أنتِ الوحيدة التي أعطتني هذة الثقة. أرجوكِ ألا تأخذيها مني''.
عادت بعدها كالمنومة مغناطيسيًا، تبرر لكاثرين أن ما فعله روبرت -أو ماثيو كما كانت تدعوه-، لم يكن إلا محاولة لتخلص من جلد الماضي للبدء من جديد.

-''ريجينسي، حاولي أن تفهمي. أن هذا الشخص سيء، بل سيء جدًا. لقد خدعك للحصول على أمنيته''.
-''لكنه لا يعرف من أكون؟''
-''كما أخبرتك أنه رجُلٌ سيء، لا بد أنه قد علم بطريقةٍ ما. حاولي تذكر أي شيء قد يفيد. وأرجوكِ أن تبتعدي عنه هذة الفترة حتى تتكشف لكِ الأمور''.
-''لكنه تغير، كاثرين''.
-''يبدو أن لا فائدة من الحديث معكِ. سنرى أن كان جديًا قد تغير، أراهنك بأن ما فعله لم يكن إلا خدعة قد خدعكِ بها''.

* * * *

مضى شهر، وأموال ماثيو التي ربحها، في تزايد على عكس علاقته بريجينسي التي بدأت وتيرتها في الخفوت، بحجة العمل. مضى وقت كان عليها فيه التأكد أولاً من أنه الشخص الذي يحبها بصدق، لتطلب منه منحها حريتها. لكن ابتعاده الذي أخذ يخطو عائدًا للخلف، أثار شكها. خاصةً وأنه لم يحقق بكل الثروة التي حصل عليها، ما كان يريده منها، ألا وهو بناء مكان خاص بالمتشردين.
ظلت تعتقد بأن لمشاغله الكثيرة، يد في نسيانه لذلك الأمر. ففضلت أن تذكره به بنفسها، حتى يأخذ الموضوع بأهمية أكبر.
توجهت يومها لمكتبه، حيث قضت نصف وقتها في انتظاره بعد أن ظل يومين يعتذر عن لقائها، لانشغاله ببعض الاجتماعات الخاصة بالعمل. وبعد طول انتظار، منحتها سكرتيرته الأذن بالدخول. كان يجلس على كرسيه، متصنعًا انشغاله ببعض الأوراق، حين دلفت لمكتبه. فلم يستقبلها كعادته، أو حتى يدعها للجلوس.

-"لقد تغيرت كثيرًا، ماثيو. أو دعني أقول يا روبرت، أليس هذا اسمك؟" بادرته وقد آلمها ما فعله من عدم الأكتراث لزيارتها، كما اعتادت.
-"عذرًا عزيزتي، ليس لدي الوقت الكافي للثرثرة والحديث. أخبريني بسرعة ما جئتِ لأجله".
-"يا إلهي!، أنت لم تتغير، بل أنت كما أنت. أنت كما حذرتني كاثرين".
-"دعينا من الحديث عن تلك المعتوهة، وأخبريني عن سر زيارتك الكريمة".
-"للأسف، جئت اذكرك بوعدك لي".
-"عن أي وعدٍ تتحدثين؟ لم أعدكِ يومًا بشيء".
-"صحيح لم تعدني، لكنك وعدت المشردين بملجأٍ لهم. أنسيت أمنيتك؟".
-"لم أنسى أمنيتي، فعلى ما أذكر تمنيت أن أحصل على ثروة من المال. ولم اتمنى أن أبددها على مجموعة من الصعاليك". أجابها وهو ينفث دخان سيجارته.
-"لكنك ما تمنيت ذلك إلا لهم. الآن تدعوهم بالصعاليك".
-"في الحقيقة ريجينسي، ما تمنيت ذلك إلا لأثير شفقتك لتحققي لي ما أريد، بعد أن فشلت في جعلك تفعلين ذلك بإدعائي لحبك".
-"كيف استطعت فعل ذلك بي؟ وماذا تقصد بأن أحقق لك أمنيتك؟". قالت مبدية عدم فهم غير الحقيقي، علها تكشف ما يكتمه عنها.
-"الأمنية يا ريجينسي، أم عليّ أن أدعوك بجنية الأمنيات".
ثار ذعرها، انتفضت من كرسيها، ترتعد كورقة في فصل الخريف:

-''عما تتحدث؟ أنا لا أعرف عن أي شيء تتحدث؟''.
-''حسنًا، ربما في البداية لم أصدق ما أخبرني به جيمس. لكني لم أجد ضُرًا من التجربة، التي أدت بي إلى ما أنا عليه الآن''.
-''جيمس!!''.
-''نعم، اعتقدته مغفلًا في البداية. لكن على ما يبدو كنت أنا المغفل''.
-''وماذا يمكن لجيمس أن يخبرك؟''.
-''اسمعي عزيزتي، لم يعد هناك وقت للحديث. لقد انكشفت جميع الأوراق، ولم يعد وجودك مرغوبًا به. يمكنك إكمال حديثك هذا مع جيمس''.
ثم قام بالإتصال بالأمن، ليرافقوها -على حد قوله- إلى خارج المبنى، بعد أن أعطى تعليمات بمنعها من دخوله. مغادرًا مكتبه في تباهٍ.
-''يا ترى بماذا أخبرك جيمس يا ماثيو الوغد؟'' همست لنفسها.

* * * *

الطريق إلى حيث جيمس كان مليئًا بالدموع والعثرات. كادت تُجن، كلما تذكرت رجال ماثيو يقذفون بها إلى الشارع، بينما هو يستقل سيارته الفارهة، التي لولاها لما تحصل عليها. لم يكن لجيمس مكان محدد يقبع فيه لوقتٍ طويل، لذا كان من المتوقع ألا تجده في الزقاق. آثرت انتظاره لبعض الوقت، وهي تفكر فيما عليها قوله لكاثرين، التي حذرتها منه كثيرًا. ولسوء حظها، كانت تتصل بها في ذلك الوقت للاطمئنان عليها، لتقص عليها متلعثمة، تنشج من البكاء ما حدث منه. كل ما استطاعت كاثرين التفوه به وقتها، كان ''أخبرتك''. في

حين أنها لم تكن بحاجة في تلك اللحظة لحديث يملئه العتاب أو الفرح بنجاح التحذيرات، جل ما أرادت سماعه هو ما يمكن أن تصلح به قلبها المهشم. لكن ما من كلمات كانت لتضمد جرحًا، سيظل يدميها إلى حين.
هناك أشياء كثيرة تؤلمها، قلبها، عقلها وكامل جسدها، وكأنها ظلت تركض لأميالٍ كثيرة دون توقف. في ظل تلك الحالة من الوعي واللاوعي، جاءها صوت جيمس من خلفها يسألها عما جاء بها في هذا الوقت. لم يعتد رؤيتها إلا مساءً، كخفاش الليل.
عندما رأته ريجينسي اختلط عليها الأمر، هل تصرخ في وجهه؟ هل تصفعه؟ هل تحتضنه وتبكي؟ كل ما جاءت من أجله هو سؤاله، فلماذا تجتاحها تلك المشاعر المضطربة؟
-"جيمس، ماذا أخبرت ماثيو؟" بصوتٍ يكاد يختنق.
-"أخبرته ماذا؟ عما تتحدثين؟" مبديًا لا مبالاة كعادته.
-"أنت تعرف جيمس، من أين عرفت بكوني جنية أمنيات؟"
-"ها، تقصدين هذا. ألا تتذكرين تلك الليلة في الزقاق؟" أسرع إليها، مشيرًا بأصبعه.
-"عن أي ليلة تتحدث؟"
-"عندما كنتِ تتحدثين وتلك الفتاة المعتوهة عن مملكتكم. أتذكرين عندما طلبتِ منها مساعدتك في إخفاء جناحيكِ مرة أخرى؟"
-"لماذا أخبرت ماثيو؟ لم أخبره، هو جاء يسألني عنك؟ فأخبرته. تعرفين أنا لا أكذب. لكن لماذا الآن تسألين؟ ألن تتزوجي به؟"
نكست رأسها حزنًا وأسفًا على كل شيء، فقط لوحت له بيدها:
-"إلى اللقاء يا جيمس".

كانت كاثرين تحتضنها، في محاولة للتخفيف عنها، وهي تخبرها بأن هذا ما كان متوقعًا من أحمق مثله. لكن بداخل ريجينسي، كان شعور آخر يندلع، شعور جامح غاضب أراد أن يبتلع الأخضر واليابس. لكن لفرط عجزها، بكت فأبكت كاثرين معها.
-"ريجينسي، تماسكِ أرجوكِ. ما زال والدك بحاجتكِ".
-"لا أعرف، لقد عاد آدم كما أخبرتك، وأنقذ الكتب بناءً على وصية جده. وللحق لم أعد أدري، أن كان باستطاعتي مساعدة والدي بعد الآن. حتى الآن أنا عاجزة عن فهم ما حدث لي. لا أعتقد بأن عليّ العودة يا كاثرين، أعلم أني سأفشل، وقد القى حتفي على يد أخي أيضًا".
هزتها كاثرين برفق:
-"أظنك تستحقين الصفع يا فتاة. أسمعيني، أن ريجينسي التي أعرفها أقوى من مائة ماثيو. أنها فقط الحياة يا عزيزتي، هكذا تجري الأمور، لذا عليكِ انتظار صفعتها كلما أخطأتي".
-"لكني جئت هنا لمساعدتكم، فلماذا اللاقي هذا الجزاء؟"
-"عزيزتي، لقد جئتِ هنا لمساعدة نفسك أولًا. كل تلك الأمنيات ما هي إلا أمور ستلاقينها دومًا في حياتك. في بيتك، في بيت جيرانك، في مملكتك. هكذا يعيش الناس، ما بين الحلم والعلم خطوة. عليكِ فقط فهم الحياة بشكلٍ جيد، لتقودي مملكتك بشكلٍ ممتاز. كما أن الوقت هنا يختلف عن الوقت بمملكتك كما أخبرتني، إذن ما زال بإمكانك إنقاذ والدك".
-"أنا الآن أضعف من أن أعود".
-"ستصبحين أقوى، سينتهي الحزن سريعًا، لتتجلى ابتسامة اليوم الجديد. والدك ومملكتك الآن بحاجة أكبر إليكِ. والدك يحتاجك أن تكوني قوية. كوني قوية لأجله".

-''أهٍ، يا كاثرين كنت أبحث عن الحب الصادق، في المكان الخاطئ''.
-''لا بأس عزيزتي ستجدينه يومًا ما''.
-''هل تتمنين لي بأن أعود لمملكتي؟''
سكتت كاثرين لوهلة من فرط تعجبها، ثم سألتها ببلاهة:
-''ماذا تقصدين؟''
-''لقد حان وقت رحيلي. لقد منحني الوزير الأمنيات المتبقية لأبحث عن حبٍ صادق يتمنى لي ذلك. لكني سأبقي على أمنية واحدة أمنحك إياها، يا صديقتي''.
هزت رأسها وقد فهمت ما ترنو إليه ريجينسي:
-''أتمنى لكي أن تعودي بسلام لمملكتك وأن تنتصري على أخيك''.
-''ماذا عن أمنيتك يا كاثرين؟''
-''ربما لاحقًا، أن عدتي مرة أخرى سأتمناها''.
أمسكت يدها بثقة:
-''سأعود.. سأعود لأجلك''.
ثم بدأ صوتها يخفت فجأة، وتراءت لها كقطعة من الزجاج الشفاف. الذي ما كادت تلمسه حتى اختفى بسرعة.
-''ريجينسي!'' صاحت.

****

مضت أربعون ليلة، على عودة ريجينسي إلى عالمها، لم تستطع فيها كاثرين التأقلم مع حياتها بدونها. بالرغم من أن باتريك، بدأ في الاستحواذ على جزءٍ منها. لكنها ظلت تفكر بها، وتتمنى لها الفوز في معركتها مع أخيها.
-'' لا تحزني كاثرين، أنا بجانبك الآن. لم تكن ريجينسي لترغب بكل هذا الحزن''.

-''نعم، باتريك، أنا فقط أحاول. في البداية إريك، والآن ريجينسي. لم يعد لدي أصدقاء''.
-''ماذا عني، ألست صديقك أيضًا؟''
-''نعم، أنت كذلك''. قالتها بتملل لإرضائه.
-''أه، لم أخبرك. تعرفين روبرت''.
-''روبرت!''
-''أقصد ماثيو''.
-''ماذا عن هذا الحقير. هل ازدادت ثروته حتى أختنق بها؟''
-''لا، لكن على ما يبدو أن لدية مشكلة مع عصابةٍ ما، اقترض منها مالاً سابقًا. حيث سمعت بأن أحدهم قد أطلق عليه النار''.
-''لعله مات''.
-''لا، يقولون بأنه قد لا يستطيع الحراك مرة أخرى''.
-''جيد، أرجوك لا تخبرني عنه شيئًا بعد الآن''.
-''ربما يتعلم من هذا الدرس''.
-''هؤلاء لا يتعلمون. هؤلاء يخطئون فقط''.
دقائق حتى أغلقت الهاتف مع باتريك، بعد أن وعدته بلقائه غدًا لتناول العشاء سويًا على يخته الجديد. أطفأت الإضاءة بجانبها، ثم كفنت نفسها بغطاء السرير. وما كادت تغمض عينيها لبعض الوقت، حتى شعرت بيد باردة تلمس أسفل قدميها تشدها إليها. ما فتأت تحاول الإفلات منها وهي تصرخ في هلع، حتى استحوذت عليها تجذبها إلى أسفل.

تمت

****